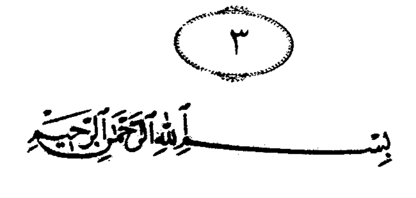
أضـواء الإيمـان

دكتور / السيد محمد الديب
الأستاذ بجامعة الأزهر

١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م





المقدمــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، ونورا وضياء لعباد الله المتقين .. وبعد

فهذا هو الكتاب الثالث لى ، والذى سُبق بشقيقين له هما " أنوار اليقين" و " بصائر الناس " ، وهى تعرض – فى أسلوب سهل مبسط – للأخلاق الإسلامية التى يجب الالتزام بها ، والحرص عليها ؛ لأنها بعض الضوابط لشخصية المسلم ، التى صار الزمن الراهن فى أشدّ الاحتياج إليها ، فقد زاد الاقتراب بين الأمم والشعوب المعاصرة ، وتأثرت الهوية الإسلامية بالصدام الحاصل بين الحضارات، فى ظل تفاؤل أو تلاشى الحوار بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية ، مما يحتم إعادة النظر فى أساليب الإعلام الدينى ، خاصة ما كان منه باللغة العربية ، والتى تراجعت أهميتها فى الدول الناطقة بها ، بينما زاد الاعتراف بها عالمياً ، وهذه من المفارقات التى تثير العجب ، وتستلزم معالجة الواقع ، فى ظل صيرورة الكون إلى ما يشبه القرية الصغيرة، التى يعرف أهلها بعضُهم بعضاً .

وقد اشتمل هذا الكتاب على عرض وتنوير لخمسة وستين خُلقاً إسلامياً ، مستوحاة من القرآن الكريم ، وسنة المصطفى – ﷺ – ، وأسميته " أضواء الإيمان " ؛ ليكون قريباً فى الدلالة والهدف من المعنى المراد فى العنوانين المذكورين بالكتابين السابقين .

وقدمت هذه الأخلاق فى برنامج (عباد الرحمن) بإذاعة القرآن الكريم ، والذى يعده الإعلامى المتميز (فؤاد حسان) كما عرضت بعضها فى برنامج (المكتبة الإسلامية) بإذاعة البرنامج العام ، تقديم الإذاعى الطموح (خالد الزنفلى) باستثناء عدد قليل من الموضوعات فى طريقها إلى النشر بالصحف والمجلات مع الانتهاء من طبع الكتاب ، أى أن الموضوعات قد استمع الناس إليها ، أو قرؤوها على الأوراق ، ورغبتُ فى أن تكون محفوظة فى كتاب يرجع إليه القراءُ متى أرادوا ، وأخصُّ بالذكر العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية ، فما أحوجنا إلى الكتاب الورقى ، الذى لا يغنى عنه ما يطالعه الباحثون فى الصحائف الالكترونية فهذه — مع ذيوعها وسهولتها وكثرة الإقبال عليها — لها مشكلاتها، التى لم نتجاوزها بعد ، كما أن جمع المقالات المسموعة أو المقروءة فى كتاب مطبوع بعد تصنيفه ومراجعة إعداده ليس مرفوضاً أو مفروضاً، والمعول عليه فى ذلك هو قيمة الكتاب ومدى الحاجة إلى موضوعاته ، وذلك أمر يحال إلى القراء المخلصين فى النقد ، الصادقين فى الحكم، وهم بالكثرة التى تبعث الاطمئنان فى القلوب .

ولما كانت الأهداف من الموضوعات واحدة ، والمصادر والمراجع واحدة ، والمنهج ثابت لا يتعدد ، فكان تقديمها موزعة على أقسام أو أجزاء ليس سهلاً ميسَّراً ، فخضعنا فى توصيفها وتبويبها إلى التغليب ، الذى يبدو الاختلاف فيه بين موضوع وآخر غير ذى بال ، وجاء ذلك على النحو التالى .

القسم الأول : بعنوان " من أخلاق الإسلام فى العقيدة والإيمان " واشتمل على ثمانية عشر خُلقاً ، وأولها : " الثقة فى الله تعالى " . وآخرها " الحرص على وحدة الأمة الإسلامية " .

والقسم الثانى : " من أخلاق الرسول – ﷺ – فى بعض العبادات والمناسبات " واحتوى ثمانية أخلاق ، وأولها بعنوان " حسن الإعداد للهجرة النبوية " وآخرها عن إتقان العمل من خلال عرض لحديث نبوى شريف .

والقسم الثالث : وهو الأكبر من حيث عدد الموضوعات، وجاء بعنوان " الأخلاق الإسلامية وأثرها فى التماسك الاجتماعى ، وعددها تسعة وعشرون ، وبدأت بخلق " التعفف " وخُتمت بموضوع " محبة الأخ لأخيه ،" وهى بعض ما يجب أن تتصف به الشخصية الإسلامية أينما وُجدت فى الزمان والمكان .

والقسم الرابع : فى التأمل والاعتبار ، وبدأتْ موضوعاته بالحديث عن " التدبر فى آيات القرآن الكريم " ، وانتهت " بالدعوة إلى اجتناب التشاؤم " ، واحتوت عشرة أخلاق .

ونؤكد أن مجموع الأخلاق الإسلامية فى هذا الكتاب تدور فى فلك واحد تتحرك تحته سائر المواصفات الإيمانية لعباد الرحمن فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .

وقد خضعت موضوعات الكتاب – وهى خمسة وستون خلقاً كانت معدة للإذاعة أو الطبع فى جريدة أو مجلة – لبعض التعديلات والإضافات

والحذوفات بما يتناسب مع إخراجها فى كتاب مطبوع ، كما أنها لم ترتب وفق تواريخ تسجيلاتها وإذاعتها، أو نشرها على الورق ، وإنما كان الخضوع فى تقسيمها وتصنيفها إلى القسم الذى يمكن أن تندرج تحته .

وأدعو ربى – إذا أمدّ الله فى عمرى وبارك فيه – أن أقدم كتاباً أو أكثر فى هذا الموضوع العام ، وهو البناء الأخلاقى لشخصية المسلم،الذى يتوافق مع خصائص عباد الرحمن فى كل زمان ومكان ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

٢٦ من ربيع الأول ١٤٣٥هـ
٢٧ من فبراير ٢٠١٤م

الدكتور
السيد محمد الديب
Sayed. Addeeb@hotmail.com

القسم الأول : من أخلاق الإسلام فى العقيدة والإيمان

١- الثقة فى الله تعالى .

٢- الأخذ بالأسباب .

٣- الاستغفار .

٤- الاستقامة فى الأقوال والأفعال .

٥- الافتقار إلى الله تعالى .

٦- الفرار إلى الله تعالى .

٧- إسلام الوجه لله تعالى .

٨- تفويض الأمر لله تعالى .

٩- الفرح بفضل الله ورحمته .

١٠- اجتناب الفرح غير المرغوب فيه .

١١- اجتناب الابتداع فى الدين .

١٢- عمل المعروف والدعوة إليه .

١٣- اجتناب المنكر ، والنهى عنه .

١٤- التمتع بالطيبات .

١٥- سؤال أهل الذكر .

١٦- قيمة الشهيد ، ومنزلته فى الدنيا والآخرة .

١٧- الشهداء بين الحقيقة والادعاء .

١٨- الحرص على وحدة الأمة الإسلامية .



١- الثقة فى الله تعالى

ترتقى نفسُ المسلم ؛ سعياً إلى اليقين الإيمانى والثقة فى الله تعالى فيزداد التسليم له سبحانه فيما يتصل بالحاجة لمتطلبات الدنيا من رزق مقدر ، وعمر محدد ، ولمتطلبات الآخرة من عفو ومغفرة، تهدأ معها القلوب الواجفة من خوف يتسرب إليها، وقلق يسيطر عليها .

١- معنى ثقة المؤمن فى ربه .

تخلقُ الثقة بالله تعالى فى كيان المسلم؛ اطمئنانا إلى قضاء الله وقدره واعترافاً بأنه سبحانه وتعالى عادلٌ فى حكمه رحيمٌ فى أمره ، بصير بشئون خلقه .

والثقة من الميثاق وهو العهد ، ومنه المواثقة وهى المعاهدة ، وعهدُ الله هو العروة الوثقى ، التى تعطى من تمسك بها وحرص عليها مزيداً من القناعة فى عهد الله وميثاقه لكل من آمن به سبحانه وتعالى وكفر بالشيطان ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾[1] فهذه الثقةُ هى من متطلبات الإيمان والإحسان والرضا، وعدم التبرم مما يلحق بالمسلم من ابتلاءات بالشر أو بالخير ، فهؤلاء الراضون بقضاء الله وقدره فى درجة عليا من السمو والصفاء ؛ والالتزام بعهد الله الذى هو ثابت فى حقهِّ سبحانه وتعالى ، ومتفرق البيان فى القرآن الكريم ، ولذا تكررت كلمة الميثاق وهى شاملة لعموم الثقة فى الله وتفيدُ معنى العهد المؤكد

---

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٥٦ .

الذى يلزم به المسلم ويُخلصُ له فهو شديد الإتصال بالله جل جلاله ، حيث تثق به النفس ويطمئن إليه القلب ، وجاء هذا المعنى مرتبطا بإنعامات الله على عباده وميثاقه الذى تجلت مضامينه فى آيات القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(١) .

وكتب ابن القيم رحمه الله عن مدلول كلمة الثقة التى يسكن القلب إليها فيما يتصل بالله تعالى فقال : " واللفظة كأنها – والله أعلمُ – من الوثاق وهو الرباط ، فالقلب قد ارتبط بمن وَثِق به ، توكلاً عليه وحسنَ ظن به ، فصار فى وثاق محبته ومعاملته والإستناد إليه والاعتماد عليه ، فهو فى وثاقٍ بقلبه وروحه وبدنه ، فإذا صار القلب إلى الله ، وانقطعَ إليه تقيد بحبِّه ، وصار فى وثاق العبودية فلم يبق له مفزع فى النوائب ولا ملجأُ غيرهُ ، ويصير عدته فى شدته ، وذخيرته فى نوائبه ، وملجأه فى نوازله ، ومستعانه فى حوائجه وضروراته " (٢) .

تلك هى الثقة فى الله التى يستلزم أن تكون نابعةً من القلب، ومتطابقة ، مع السلوك قولاً وعملاً ، وأخطرَ أن تنفصلَ ظواهر الإنسان عن دواخله فتبقى ثقته فى ربه مهتزة غيرَ راسخةٍ ، ولها الأطماع والرغائب ولا ترضى بحكم الله وقضائه .

---

(١) سورة المائدة : الآية / ٧ .

(٢) الروح لابن القيم ص٤٤٤ .

٢- مظاهر ثقة المسلم فى ربه .

تتجلى ثقة عباد الرحمن فى الله سبحانه وتعالى فيما يتصل بمسألة تلح على الإنسان وتطارده فى خلوته وجلوته ، وهى قضية الرزق ؛ لأن الإنسان فى ظل ثقته فى الله يجب عليه أن يَرْضى بما قُدر لـه نظيرَ جهده واجتهاده فى الحياة .

وقد تكفل سبحانه وتعالى بإيصال الرزق إلى الساعين إليه من سائر الكائنات الحية، حتى لو كانت دابة لا تعقل قال تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾(١) .

وتبقى مسألة الرزق شُغْلا شاغلا للإنسان يسعى إليه ، ويختصم بشأنه، وربما يموت سعْياً إلى الإكثار فيه،كما أن عمر الإنسان وأجله هو سرٌّ من الأسرار الإلهية لا يعرف الإنسان كنهه، ولا متى سينتهى أجله ولا أى مكان سيموت فيه، وهذه الأمور هى بعض ما يسعى إليه الإنسان فى حياته وغيرها كثير .

كما يجب أن تتأكد ثقة المسلم فى ربه بما يسعى إليه فى العبادة والطاعة أملاً فى استحقاق عفوه سبحانه وتعالى، ومغفرته فى الآخرة، فقد قال رسول الله- ﷺ - : " سلوا الله العفوَ والعافية ، واليقين فى الآخرة والأولى "(٢) .

إذن فالثقة فى الله تحقق إيماناً قوياً لا يتزعزع فيما يتصل بثواب الله وعقابه للبشر، وذلك بعض متطلبات العدل الإلهى، الذى يولد فى أعماق

---

(١) سورة هود : الآية / ٦ .

(٢) رواه أحمد فى سنده

الإنسان مزيداً من الثقة بالله والاطمئنان إلى حكمه وقضائه، قال تعالى :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[(١)] .

٣- معالم الثقة فى النفس والثقة فى الآخرين .

إن الإيمان الحقيقى والثقة فى الله تعالى تولد فى أعماق الإنسان ثقة واطمئناناً يتقوى بها فينتصر على نفسه، إذا ما اتجهت به إلى الشرِّ ، كما يتحول من خلال ثقته فى الله إلى مؤمن قوى، قريب من الله ، واثق فى نفسه لا يخشى أحداً سوى الله تعالى ، ولا ينهزم أمام اغراءات دنيوية زائلة،أو تتزعزع إرادته التى تمنحه القوةَ وعدمَ الخوف، وتقدير الذات، والارتقاء بالنفس إلى أفاق عليا يقترب بها من الله سبحانه وتعالى ولا تلينُ عزيمته إلا لربٍّ الأرض والسماء، كما أن الأصل فى الإنسان هو الخير والبراءة، إذ أنّ الثقة الحقيقية فى الله يرتقى معها إيمان المؤمن ، وترسخ عقيدته ثبوتاً واستقراراً ، فيثق فى عباد الله الصادقين ، ولا يكون الشك والارتياب هو الأساس فى منهاج العلاقة بهم بل إن متطلبات الإيمان تجعل المسلم شديد الحرص على سائر المتعاملين معه والأقرباء منه ، فى الإقامة والعمل وسائر شؤون الحياة .

---

(١) سورة الزلزلة : الآيتان / ٧ ، ٨ .

٢- الأخذُ بالأسباب

يقتضى الإيمان الحقيقى بالله تعالى تفويض الأمر إليه والتحرك الإيجابى نحو استكمال مسيرة المؤمن فى الحياة، مع حتمية الأخذ بالأسباب وعدم التواكل، وذلك شأن المتقين من عباد الرحمن .

١- الأخذ بالأسباب وتفويض الأمر لله تعالى .

أورد القرآن الكريم السبب الواحد والأسباب المتعددة فى الشؤون العامة للحياة ، والسبب كما يقول علماء اللغة: هو كل شئ يُتوصل به إلى غيره .

قال تعالى فى حق ذى القرنين : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[١] .

وقال المفسرون عن ذى القرنين إنه كان من أهل مِصْرَ وقيل إنه اسمه " الإسكندر المقدونى " وهو الذى بنى الإسكندرية فنسبت إليه .

وقد كتب القرطبى عن بعض أخباره فقال : " وكان من خبر ذى القرنين أنه أُوتى ما لم يؤت غيرهُ ، فمُدَّت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغربها ، لا يطأ أرضاً إلا سُلِّط على أهلها حتى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء مِن الخلق "[٢] .

قد تحدَّث القرآن عن بعض الأسباب التى هُيِّئتْ له فاتخذ بها ما استطاعَ معها أن يسيطر على أجزاء كثيرة من الأرض، وقد جاء ذكره ليكون مضرباً

---

(١) سورة الكهف : الآيات / ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) تفسير القرطبى جـ١١ ص ٤٥ .

للمثل فى كيفية سيطرته على أجزاء كثيرة من مشارق الأرض ومغاربها ، وأسباب السماء هى : مراقيها أو نواحيها .

وفى غمرة أخذ المسلم بالأسباب على تنوعها واختلاف وسائلها لا ينبغى الغفلة عن تفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، وبذلك تتحقق بعض أوصاف المؤمن فى حتمية جمعه بالأمرين معاً وهما التوكل على الله حق التوكل، والأخذ بالأسباب ؛ حتى لا يتحول إيمانُ المؤمن وجمعه للأمرين معاً إلى تواكل بغيض لا يليق بأى حال من الأحوال أن يكون شأنا من شؤون المسلمين .

ويلاحظ هذا فى كثير من أمور الحياة ، ذلك أن الناس فى مجال الزراعة يحرثون الأرض ويضعوُن فيها الحبَّ ، وتلك أسباب واجبة ؛ لكى تكونَ مقدمةً أو سلوكاً إيجابياً يعضد خلق التوكل على الله، وذلك مما يُستنبط مضمونه من قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[1] .

وقد قال بعض أهل التصوف : " وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافى القيام بالأسباب ، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها .

فهذان الأمران الأخذ بالأسباب والتفويض اللذان سبق بيانهما لا ينفرد أحدهما عن الآخر .

وكتب أحد العلماء عن هذا الأمر فقال : " فيما يتصل بطلب الرزق فلابد من التوكل .. فالتوكل من الإيمان ؛ لأن السعى والجدَّ فى العمل وحده لا يمكن أن يُوصِّلَ إلى النتيجة إلا بإرادة الله سبحانه ، فقد يكون هناك سعى وجدٌّ وعمل، ولا يكون من وراء ذلك تحقيق ما يريده الإنسان فلابد من الأمرين الأخذ بالأسباب ، ثم تفويض الأمر إلى الله سبحانه "[2] .

---

(١) سورة الواقعة : الآية / ٦٤ .

(٢) أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام للشيخ عطية صقر جـ ٧ ص٢٢٩ .

والذين يرون أن الأمر كله لله ولا إرادةً ولا اختيارَ للعبد ، ويتكاسلون عن الأخذ بالأسباب فيُهملون فى المسئوليات الملقاة على عواتقهم بحجة أن ذلك تفويضٌ إليه، وأنه كفيل بسوق الرزق إليهم دون تحرك واستعانة إيجابية بالوسائل المؤثرة ، فإن ذلك كسل وتواكل لا يعبر عن أخلاق عباد الرحمن ، كما أن الذين يعتمدون على الوسائل والأسباب ، التى يستعينُون بها دون يقظةٍ لرعاية الله للبشر ودون تفويض الأمر إليه سبحانه فإن انتصارهم على الواقع وتحقيقهم لبعض ما يهدفون إليه يُعد غروراً زائفاً وهوىً بَاطلاً لا يلبث أن يتوارى ويتضائل فتمسك السماءُ عن إنزال المطر أو تفيضُ الأنهار بما يعطل الأسباب وما شابه ذلك .

٢- بعض السلوكيات التى تؤكد حتمية الأخذ بالأسباب .

لقد تركت المسيرة الإسلامية من عهد رسول الله - ﷺ - إلى عصرنا الذى نحياه كثيراً من السلوكيات ، التى تدين تواكل المسلم وتدفعه إلى حتمية الحركة الإيجابية، فيما يتصل بالسعى على الرزق وجمع المال ودفع الصدقات، وما شابه ذلك من سُبُل الحياة التى يستعين بها عباد الرحمن ، فقال تعالى فى تأكيد الإيمان الحقيقى به سبحانه ، ودعوة الخلق إلى السير فى الأرض والاستفادة من رزقه ، الذى يسوقُه إلى خلقه سبحانه، فإليه المرجع وإليه النشور قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[1].

---

(١) سورة الملك : الآية / ١٥ .

وقد عرض رسول الله – ﷺ – لسلوك أحد المسلمين فى السنوات الأولى من عصر المبعث النبوى ، وقد كان– ﷺ – بصدد تثبيت العقيدة فى القلوب؛ ليتحول بالتصرفات من التواكل الذى يناقضُ جوهرِ الإسلام إلى السلوك الإيجابى، المعتمد على وجوب الأخذ بالأسباب مع عدم الغفلة عن حتمية التوكل على الله ، وتفويض الأمر إليه فقد جاء رجل إلى الرسول – ﷺ – يريد أن يترك ناقته بلا رباط وقال للرسول– ﷺ – – فى ضوء بعض الروايات — يا رسول الله : أعقلها وأتوكل ، أم أطلقها وأتوكل ؟ فقال له : اعقلها وتوكل"[١] .

وهذا بالتأكيد إشارة واضحة إلى حتمية أن يتخِذَ المسلمُ كلَّ ما يمكنه من وسائل وأسباب لتحقيق الهدف المنشودَ .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه — فى هذا الأمر – : " لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : " اللهم ارزقنى ، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة "

ونذكر فى هذا الصدد قول أحد الشعراء :

توكّلْ على الرحمنِ فى كُلِّ حاجـةٍ ∴ ولا تتركَّن الجِدَّ فـى شدِّه الطلـبْ
ألم تـر أن الله قـد قـال لمـريمَ ∴ وهُزِّى إليك الجذعَ يتساقط الرطبْ
ولو شاءَ أنْ تجنيه من غير هَزِّه ∴ جنتهُ ولكنْ كلُّ شىءٍ له سببْ

تلك هى المرعيات التى يجبُ ألاَّ تغيبَ عن فكر المؤمن فى تعامله مع الأحداث، التى تمتلئ بها مسيرةُ حياته ، وكانت إحدى السمات الإيمانية التى يتصفُ بها عبادُ الرحمن فى مسيرة الإسلام ورحلته الطويلة مع الحياة .

---

(١) رواه الترمذى وابن حبان .

٣- الاستغفار

يكون الاستغفار نتيجة لاثم صغير أو كبير، أحدثه المسلم فى حق الله تعالى، أو فى حق البشر ، وعندما يعود للمذنب وعيهُ الإيمانى ، يسعى إلى تصحيح وضعه ، ومعالجة ضعفه بطلب المغفرة والقبول من الله تعالى .

١- تنوع دعوة القرآن والسنة إلى الاستغفار.

لقد تحددت طُرق الخطاب الدينى لحضِّ سائر عباد الرحمن على تصحيح أوضاعهم، وإعلان أخطائهم بالإقرار بها والندم عليها ، والعودة إلى الله تعالى بطلب المغفرة ، وكثرة الدعاء للبراءة من الذنب ، والسعى للتصالح العام مع البشر ، فلا يسمح أن يبقى المذنب على خطئه فى حق الله تعالى ، وفى حق عباد الله ، بل يجب الإسراعُ إلى الاستغفار الذى يُعَدُّ العمود الفِقَرى أو المخ المفكر فى جسد العبادة .

والاستغفار طلب المغفرة من الله تعالى ، وهو مقدمة ضرورية وواجبة للتوبة الصادقة ؛ لأن هذه تحتاج إلى مرعيات كثيرة ، واشتراطات متعددة ، وتنوعت دعوة القرآن الكريم ؛ لتفعيل الاستغفار، الذى يأتى غالبا فى أعقاب الخطأ البشرى الذى يستلزمُ العودةَ إلى الله تعالى ، قال عزَّ من قائل : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

الاستغفار هدف كبير وعبادة مرعية فى حق أنبياء الله ورسله إذ جاء الاستغفار لأنفسهم ولسائر أممهم، خاصة نبىَّ الله نوحاً، الذى جاء

---

(١) سورة المزمل : الآية / ٢٠ .

على لسانه قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾[١] .

وجاء طلب الاستغفار على لسان أخوة يوسف عليه السلام فى مخاطبة أبيهم ، قال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾[٢] .

فالاستغفارُ إعلان صريح ومباشر عن حاجة الإنسان لتصحيح وضعه الإيمانى، ومحو كل تقصير سابق فى حقّ الله تعالى، وفى حق البشر ، وفى مقام السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التسليمات نورد نصا اصُطلح على تسميته سيد الاستغفار قال – ﷺ – فيه : " اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعت ، أبوءُ لك بنعمتك علىَّ وأبوء لك بذنبى ، فاغفرْ لى فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت " ثم قال النبى– ﷺ – عن هذا الدعاء : " ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات بها من يومه قبل أن يُمْسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يُصبحَ فهو من أهل الجنة "[٣] .

لقد اصُطلح على تسمية هذا النص الكريم سيدَ الاستغفار، لما فيه من عبارات محكمة ومناجاة صادقة وتبرؤ المستغفر مما صنع ، وطلب المغفرة من الله تعالى واشتماله لمعانى التوبة، التى عُدَّ الاستغفارُ مقدمةً لها .

---

(١) سورة نوح : الآيتان / ٩، ١٠ .

(٢) سورة يوسف : الآية / ٩٧ .

(٣) رواه البخارى والترمذى وأحمد والنسائى .

٢- دوافع الاستغفار والحدود التى يتوقف عندها.

يأتى الاستغفار غالباً فى أعقاب ارتكاب خطأ أو خطيئة يستشعر معها المؤمن ضعفاً وانهزاماً أمام نفسه، ورغبة فى تكفير ذنبه فيكون الاستغفار لتحقيق المعالجة الإيمانية ، والعودة إلى تنشئة علاقة مليئة بالصفاء والنقاء والتوافق مع خصائص ومميزات عباد الرحمن، وفى ظلال هذه الشمولية قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[١] .

ومن بين هذه الشمولية يأتى تحديد بعض المنكرات التى استحقت أن يلوذ أصحابُها بطلب المغفرة فى أعقاب فعل الفاحشة وظلم النفس ، وذلك ما أشار إليه قول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[٢] .

ويُعدّ ظلمُ النفس من أخطر الذنوب التى تستوجب الإقرارَ بالذنب ، وطلب المغفرة من الله تعالى . وتتواصل آيات القرآن الكريم فى تصوير الشواغل عن ذكر الله، والتى تستلزم طلب الغفران من رب العالمين وذلك مثل قول الحق جلت قدرته، على ألسنة طالبى المغفرة الذين تخلفوا عن مصاحبة رسول الله - ﷺ - للمشاركة فى وقائع صلح الحديبية : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾[٣] لكنَّ بيان الذنب ليس على

---

(١) سورة الزمر : الآية / ٥٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ١٣٥ .

(٣) سورة الفتح : الآية / ١١ .

إطلاقه وإنما يتوقف قبول الاستغفار فيما لو كان نتيجة للإشراك بالله تعالى وذلك في ضوء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١]،والمعلوم من القرآن والسنة اتساع مجالات المغفرة والرحمة من الله تعالى .. حيث تكرر ذكر هذين الاسمين لله تعالى في القرآن الكريم مما يقوى عزيمة المؤمن في مواصلة الاستغفار ليل نهار كما رَوَى ذلك أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى – ﷺ – قال : " والله إنى لاستغفرُ الله وأتوب إليه فى اليوم أكْثر من سبعين مرة "[٢] .

٣- ثمرات الاستغفار .

تتعدد ثمرات الاستغفار بين مؤمن وآخر ، ذلك أن الشعور بالتقصير لارتكاب المنكر يحرك كثيراً من الرغبات الصادقة لطلب المغفرة، ذلك أن الإنسان مهما بذل في الحياة من حرص على العبادة فإنه مُعرَّض للخطأ والتقصير ، ولذا يَسْعَى إلى مواصلة الدعاء والاستغفار، آملاً فى تحقيق عفو الله ومغفرته ، واستكمال مؤهلات التوبة والرجوع إلى الله ، فعن أنس رضى الله عنه عن النبى – ﷺ – قال: "كل بنى آدم خطاء،وخير الخطائين التوابون"[٣] .

ومعنى : " كل بنى آدم خطاء " أى لديه استعداد لارتكاب الخطأ ، وأن الأفضل من هؤلاء : هو من يبادر إلى طلب المغفرة ويسعى إلى تحقيق التوبة .

---

(١) سورة النساء : الآية ٤٨ .

(٢) رواه البخارى وابن ماجة ورواه الترمذى بلفظ آخر .

(٣) رواه البخارى .

وَروى أنس بن مالك ، رضى الله عنه قال : كان النبى - ﷺ - يقول :
" اللهم إنى أعوذُ بك من العجز والكسل ، والجبن والهَرَم والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات "(١) .

ويحتاج المستغفر إلى الصدق فى طلبه، ومواصلة الدعاء والمناجاة لله تعالى؛ حتى يتغمدَهُ الله برحمته وينجوَ من العذاب الأليم الناتج عن الفساد والضلال، ذلك أن الاستغفارَ المستكملَ لشروطهِ ومتطلباته يُنمىٌّ الحياء والخجل فى نفس الإنسان عند ما يرتكب جُرْماً، ويستشعر تقصيراً فينتابه الحُزْن ، ويسعى إلى الاقتراب من رحمة الله تعالى ، وإظهار فضل الله على عباده الضعفاء ، وهو الذى أنعم عليهم بما لا يُعَد ولا يُحْصَى، كما أن للاستغفار لذةً رُوحيةً وطمأنينة نفسية واتصالاً بالله تعالى الذى قال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾(٢) كما تَحْدُثُ هذه اللذة عند إفطار الصائم فى رمضان أو عند الوفاء والالتزام بما فرضه الله سبحانه وتعالى على عباده ، والله أعلم .

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم ، ورواه غيرهما بصياغات أخرى .

(٢) سورة غافر : الآية / ٦٠ .

٤- الاستقامة فى الأقوال والأفعال

يسعى عبادُ الرحمن إلى الالتزام بالمنهج الإسلامى للحياتين (الدنيا والآخرة) فهم يحرصُون على الاستقامة فى أقوالهم وأفعالهم وسائر عباداتهم، وبما جاء الأمر به والنهى عنه ؛ وصُولا للهداية إلى صراط الله المستقيم .

١- معنى الاستقامة، ومظاهر تحقيقها فى الأقوال والأفعال :

إن المعنى الظاهر للاستقامة هو الاعتدال ، ولا يقتصرُ ذلك على أمر دون آخر، أما فى نطاق المنهج الإسلامى فإن بيانَها متسعٌ ونوُ معالم كثيرة ، وأبرزُها الاهتداء إلى طريق الله تعالى ، ولزومُ طاعته ، والإيمانُ به إلهاً واحداً لا شريك له ، والخضوعُ للأوامر والنواهى التى تشكل كياناً واضحاً وصراطاً مستقيماً ، لا عوج فيه ولا التواء، وهى منهج قويم ، وتطبيق إيجابى للإيمان .

إن النماذج المؤمنة من العباد قد يتلاعب بها الشيطان فى حالات غيابها عن المنهج الإسلامى للحياة ، فتنحرفُ عن الطريق ، وتبتعدُ عن الإيمان ، وتنسى ما تتوجه به إلى الله فى كل صلاة ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[1] ، وعندما تتحقق اليقظة ، وتكتمل معرفة المؤمن على ما له وما عليه ، ويتوجه إلى ربه بالدعاء، ويسلكُ سبيلَ الاستقامة باعتدال فى ضوء آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول- ﷺ - ، وسلوك الصحابة والتابعين فإن ذلك يمثل أسمى درجات الاستقامة، التى جاءتْ دعوةُ الإسلام بها ووجبَ التزامُ باشتراطاتها .

٢- حديث القرآن والسنة عن خُلق الاستقامة :

لقد تعدد ورود خُلُق الاستقامة فى القرآن والسنة إخباراً عن حتمية

---

(١) سورة الفاتحة : الآيتان / ٦ ، ٧ .

الالتزام بها ، أو من خلال توجيهه وتطبيقه فى حق الرسول- ﷺ - ، أو من خلال نتائجه وآثاره في حق عباد الرحمن ، فقال تعالى خِطَاباً للرسول- ﷺ - بأسلوب الأمر : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾[1] أى فاستقم يا محمد على دين ربك ، واعمل به ، وادعُ له واحرِصْ عليه .. ويخضع لذات المنهج من تاب معك ، وصار على هديك .. وقد رُوى عن مسروق قال : " قلت : يا رسول الله ، لقد أسرعَ إليك المشيبُ " قال : شيَّبتنى هود والواقعة ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمسُ كورت" [2] ، وجاءت رواية أخرى بإضافة أسماء بعض السور إلى ما أوردته الرواية المذكورة ، والمقصود (بهود) ما جاء فيها بشأن الاستقامة وهو قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ فهذا الأمر وهو (فاستقم) فزِعَ له النبى . والفزع يورث الشيب .

وجاء بيان الاستقامة فى حديث نبوى شريف أجاب به رسول الله- ﷺ - عن سؤال لأبى عمرو — وقيل : عمرة — سفيان بن عبد الله رضى الله عنه ، الذى قال : قلت : يا رسول الله ، قلْ لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك قال : قل : آمنت بالله ثم استقم " [3] .

فالإيمان وهو لب العقيدة ، وأساس المنهج يأتى أولاً ويليه الالتزامُ والاعتدالُ فى السير على الصراط المستقيم .

٣- آثار الاستقامة ونتائج الالتزام بها :

لقد حددتْ الآياتُ والأحاديثُ الآثار والنتائج التى يُنالُهَا المستقيمون على طريق الله ، فلا يتسربُ إليهم التلونُ والرياءُ والنفاقُ والشقاق ، ذلك أنهم قد

---

(١) سورة هود : الآية / ١١٢ .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٣) رواه مسلم .

عَرَفوا طريقهم والتزموا بحدوده ومعالمه ، ولا ينفكون دوما عن محاسبة أنفسهم، وإصلاح الشأن مع غيرهم ، وسرعة التوبة إلى خالقهم ، قال تعالى عن إحدى بشارات الخير للمستقيمين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] .

وبذات البداية جاءت آية أخرى تحددت فيها آثار هذا الخلق وجزاؤه العظيم ، فقال : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[2] وقد أوضح الرسول- ﷺ - للمستقيمين طريقاً واحداً يتبعوه ، ولا ينحرفون عنه ، وأن ذلك يحقق الائتلاف بينهم ، ويقاوم التفرق والتشرذم الذى يؤدى إلى الضعف والذلة والاستكانة ، ورسم- ﷺ - لذلك رسماً عملياً دقيقاً ؛ للوصول بالمضمون إلى المستهدف ، وهو وحدة المسلمين وعدم تفرقهم ، وجاء عنه – ﷺ – أنه خط خطا مستقيما ، وخط عن يمينه خطوطا ، وعن شماله خطوطا ، ثم قال مشيرا إلى الخط المستقيم : " هذا سبيل الله " ، وقال مشيرا إلى الخطوط التى عن يمينه وشماله : " هذه سُبُل على كل سَبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ – ﷺ – : " وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه " [3] .

تلك هى بعضُ آثار الاستقامة على عباد الله فى الدنيا والآخرة ، مما يُحتم السيرَ فى هذا الطريق وعدم الانحراف عنه يمينا أو شمالاً تأكيداً على استواء المنهج واعتداله ، والله أعلم

---

(١) سورة الأحقاف : الآية / ١٣ .

(٢) سورة فصلت : الآية / ٣٠ .

(٣) رواه الدارمي (أبو محمد بإسناد صحيح عن ابن مسعود)

٥- الافتقار إلى الله تعالى

لا يقاس الغنى الحقيقي بمقدار ما يملكه الإنسان من ثروات ، فقد يملك الكثير ، ولكنه يبقى ذليلاً لرغباته في تحصيل المال ، ويصير الغِنَى الحقيقي ماثلاً في شأن عباد الرحمن، الذين يَحيون بإحساس دائم في افتقارهم إلى الله ، فهو الغني بقدرته على المنح والمنع لسائر البشر .

١- الفقر الحقيقي ودلالة افتقار عباد الرحمن إلى الله تعالى :

إنَّ معنى الفقر هو شدة الحاجة إلى كلَ ما يُعين الإنسان على متطلبات حياته، وهو ضد الغنى، وقيل إن أصل معنى الفقر : الداهية التي تكسر فقرات الظهر ، وتزيد الإنسان يأساً وعجزاً واحتياجاً ، والغَنِيّ الحقيقي هو الله تعالى الذى لا يحتاج إلى غيره ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾[1] .

والإنسان – مهما زادت ممتلكاته ، وكثرت ثرواته ، واتسعت معارفه وثقافته – فإنه محتاج إلى غيره ، ولا يستغنى بنفسه ، ويكون أعظمُ الاحتياج ما كان إلى الله تعالى ، فإن كل ما لدى الإنسان إلى تغيير وتبديل، وعدم ثبات في سائر منظومات الحياة ، ولذلك يبقى فقيراً ومحتاجاً إلى الله تعالى فهو الغنى ، وهو الكبير المتعال ، كما أن ثقة المسلم بنفسه تجعله يتمسك بكرامته وعزته ، ولا يضع نفسه في موقف الاحتياج ، لما في أيدى الناس ، لكن تمام إيمانه بالله يجعله مفتقراً إليه ، ومعلنا وداعيا إلى عدم الاستغناء عنه سبحانه وتعالى ، وهذا ما أكدته آيات القرآن وأحاديث الرسول ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة محمد : الآية / ٣٨ .

ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[١] فالناس محتاجون إليه فى كل أحوالهم ، وهو سبحانه ليس فى حاجة إلى أحد ، ولا علاقة لذلك بحالة المسلم من حيث الغنى والفقر .

إن بعض البشر يغفلون كثيراً عن حقيقة أوضاعهم وقدراتهم فى الحياة ، ويتسرب إليهم الوهم بالقوة الخادعة ، التى تحت أيديهم ، فإذا أُلحق بهم ابتلاء محدود بالشر أو بالخير ، فإنهم يستيقظون من غفواتهم ، ويتنبهون إلى احتياجهم إلى الله فيتضرعون إليه ، ويطلبون منه ما يعجز الآخرون عن تحقيقه ، وذلك هو بيان الافتقار إليه تعالى ، قال جلت قدرته : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[٢] .

٢- منازعة أعداء الإسلام فى معنى افتقار الناس إلى الله تعالى :

لقد كان الرسول- ﷺ - معنيا بتأكيد الاحتياج إلى الله تعالى ؛ لأن ذلك من شأنه أن يَحمْى الإنسان من عبادة ذاته ، وكان الرسول يعلن لأمته افتقاره إلى الله بمثل دعائه: "اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أظْلِم أو أُظلم"[٣] وقد نازع فى ذلك بعض أعداء الإسلام،ونزل بهذا الشأن قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[٤].
وقد روى " أن رسول الله- ﷺ - كتب مع أَبى بكر إلى يهود بنى قينقاع يدعوهم إلى الإسلام ، وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن يقرضوا الله قرضاً حسنا ،

---

(١) سورة فاطر : الآية / ١٥ .
(٢) سورة النساء : الآية / ٢٨ .
(٣) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .
(٤) سورة آل عمران : الآية / ١٨١ .

فقال فِنْحاص بن زوراء ، وهو من علمائهم : " أتزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا فهو إذن فقير ونحن أغنياء ، فغضب أبو بكـر ، ولطمـه فـى وجهـه ، وقـال : لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك ، فذهب فنحاص إلى رسول الله - ﷺ - ، وقال : يا محمد انظر إلى ما صنع بى صاحبك ، فقال الرسول لأبى بكر : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ فقـال : يـا رسـول الله إن عـدوّ الله قـال هكذا ، فجحد ذلك فنحاص ،فنزلت هذه الآيـة تـصديقاً لأبـى بكـر" [١] فهـذا الفنحاص المعاند لم يكن يعنيه سوى التشكيك فى عقيدة المسلمين ؛ حتى وصـل فى غيه إلى التطاول على ذات الله تعالى ، ووصفه بما يكون فى حق البشر .

٣- كيفية التفعيل الصحيح للإيمان بغنى الله تعالى،وفقر البشر :

لقد ذكر الدكتور / أحمد الشرباصى – رحمـه الله – دلالات الافتقـار إلى الله تعالى فذكر متطلبات ذلك فى حتميـة الاحتيـاج إليـه ، وعـدم تملـك البـشر لعطاءات الدنيا، وعدم اللجوء والاعتماد على ذلك فى تحقيق الرزق، مصداقاً لما ذكره القرآن الكريم على لسان موسى عليـه الـسلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾[٢] .

وربما يُساء فهمُ معنى الافتقار إلى الله تعالى فيتكاسل المؤمن فى السعى إلى الرزق ، ومداومة العمل بحجة أن الله غنى ومتكفـل بـرزق عبـاده ، ولكـن هـذا الفهم إذا تحقق فإنه مخالف لما نصّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقـد كانت حيـاة الرسـول وأصحابه نمـاذج مـضيئة ، وإشـارات دالـة لـسائر عباد الرحمن فى كل زمان ومكان ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) غرائب القرآن للنيسابورى جـ٣ ص٤٢٩ .

(٢) سورة القصص : الآية / ٢٤ .

٦- الفرار إلى الله تعالى

يُمثلُ الفرار إلى الله منتهى الثقة في الله ، وعدم اليأس من رحمته ، والشعور بالأمن والطمأنينة في معيته ، أما الفرارُ من الله فهو التهرب من المسئولية ، والعجز عن المواجهة ، والانهزام من تحمل تبعات الحياة ، وهذا شأنُ الأشقياء المتواكلين الذين لا يُعتمد عليهم ، ولا يؤهلون لحماية عقيدتهم مما يجعلهم يبتعدون عن خصائص عباد الرحمن .

١- كيفية تحقق الفرار من الله تعالى .

إن الخروجات على منهج الله تمثل ضياعاً لواقع المسلمين ، وتهديداً لمستقبلهم الذى يجب أن يستعدوا له بكل ما أوتوا من قوة وعزيمة ، فإذا فرطوا فى واجباتهم ، وقصّروا فى أعمالهم فإن ذلك يعد تهديداً لواقعهم ، وإهمالا فى مستقبلهم ، ولذلك يجب أن يأخذ المسلمون الأمر فى سائر أحواله مرتبطا بالتوكل على الله ، وعدم اليأس من رحمته ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[١] وفى ظلال هذا الواقع ينبغى الحرص على تقوى الله ، والاعتصام بحبله المتين ، وعدم التفرق ؛ حماية لواقع الأمة من التشدد ، وحرصاً على نبذ الفرقة ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾[٢] .

---

(١) سورة الطلاق : الآية / ٣ .

(٢) سورة الممتحنة : الآية / ١١ .

والفرار إلى الله – كما قال الدكتور / أحمد الشرباصي – رحمه الله :

" من أخلاق القرآن ، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم ، وجانب من هدى النبى عليه الصلاة والسلام ، ومعناه أن يلجأ الإنسان دائماً إلى حمى ربه وساحته ، فيفر من أسباب العقاب إلى أسباب الرحمة والثواب ، ويفرد الله وحده بالعبادة، والطاعة لا يشرك به أحداً سواه "[١] وقد قال رسول الله- ﷺ - فى ذات المعنى : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به "[٢] .

وقد عرض القرآن الكريم لمصطلح الفرار من حيث وقوعه وارتباطه بأحوال متعددة ، وأقرب ما قيل فى خلق الفرار إلى الله قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[٣] ، والتعبير بهذا اللفظ يوحى بالأثقال والقيود والأغلال ، ولقد جاءت هذه الآية كما قال القرطبى : فى أعقاب ما تقدم عليها بخصوص ما جرى من تكذيب الأمم لأنبيائهم ، وإهلاكهم ، لذلك قال الله لنبيه محمد- ﷺ - قل لهم : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[٤] أى فروا من معاصيه إلى طاعته ، وهذا هو فرار السعداء .

٢- معنى الفرار من الله :

يعنى هذا النوع من الفرار : فرار الأشقياء الذين يتحللون من مسئولياتهم ، ويقصرون فى واجباتهم بدعاوى كاذبة ، كما قال تعالى :

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن جـ ٦ ص ١١٢ .
(٢) رواه البخارى .
(٣) سورة الذاريات : الآية / ٥٠ .
(٤) تفسير القرطبى جـ ١٧ ص ٥٣ .

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[1] ، فالذى يتحلل من مسئوليته فى الدفاع عن وطنه ، أو من تبعات أسرته أو مِنْ سائر الواجبات المنوطة به ، ويتحايل على ذلك بالكذب والافتراء ، فإن ذلك سلوك شائن ، وتصرف خائن لا يعد إلا انهزاما ساقطا لا يليق أن يكون شأنا للمسلم الذى يدين بالإسلام ، لكن هذا الفريق من البشر إن تهرب فى حياته ، وفرّ من مسئوليته فلن يستطيع الفرار من الحساب والجزاء يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾[2] وما كان سابقا لذلك فهو الموت الذى قال الحق سبحانه وتعالى فيه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾.

٣- رؤية بعض العلماء حول حقيقة الفرار إلى الله .

لقد تعددت أقوال العلماء فى هذا الشأن فقال ابن عباس رضى الله عنه بخصوص الفرار إلى الله : " ففروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم ، وفروا منه إليه ، واعملوا بطاعته " ، وقال ذو النون المصرى : " ففروا من الجهل إلى العلم ، ومن الكفر إلى الشكر "[3] .

وقال الشيخ سيد قطب فى شأن الفرار إلى الله : " والتعبير بلفظ الفرار عجيب حقاً ، وهو يوحى بالإثقال والقيود والأغلال والأوهاق التى تشدُّ النس البشرية إلى هذه الأرض ، وتثقلها عن الانطلاق ، وتحاصرها وتأسرها وتضعها

---

(١) سورة الأحزاب : الآية / ١٣ .

(٢) سورة القيامة : الآية / ١٠ .

(٣) تفسير القرطبى جـ ١٧ ص ٥٤ .

في عقال ، وبخاصة أوهاق الرزق والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة بالنصيب الموعود ، ومن ثمّ يجيئ الهتاف قوياً للانطلاق والتملص والفرار إلى الله من هذه الأثقال والقيود " [١]

فما أعظم أن يحتمي المؤمن بالفرار إلى الله وحده دون سواه من المعصية إلى الطاعة والتوبة لله تعالى .

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٣٨٦ .

٧- إسلام الوجه لله تعالى

يحرصُ عبادُ الرحمن على الارتقاء بإيمانهم ، وذلك بالإقبال على الله تعالى ، وابتغاء وجهه ، وتسليم الأمر إليه ، والإخلاص في العبادة ، والاستمساك بحبل الله المتين ، والإنفاق في سبيل الله إلى غير ذلك من سائر القربات والطاعات .

١- معنى إسلام الوجه لله تعالى :

إن أول ما يذكر في هذا الموضوع هو قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1] .

ومعنى إسلام الوجه لله : أي تفويض الله في كل ما يعن للمسلم .

ووجه الله : هو ذاته ، التي لا تدرك ولا تحس ، أما وجه الإنسان فهو مجموعة الأعضاء الظاهرة ، التي يواجه بها الناس ويتجه من خلالها إلى ربه ويسجدُ على جزء منها .

والوجه : الجاه ، والمواجهة : المقابلة ، ورجل ذو وجهين : إذا لقي الآخرين بخلاف ما في قلبه .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها : " وكان لعلي رضوان الله عليه وجه من الناس ، في حياة فاطمة ، رضوان الله عليها ، أي جاه وعز ، فقدهما بعدها" [2] ومعنى ابتغاء وجه الله : أي الاجتهاد في طلب الشئ خاصة في العبادات، التي ينبغي أن تؤدى بالصدق والإخلاص .

---

(١) سورة لقمان : الآية / ٢٢ .

(٢) ذكره ابن منظور في لسان العرب .

وقد روى عن الرسول- ﷺ - قوله : " لا يُقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصاً ، وابتُغى به وجهه " (١) .

وتعد الصلاة أهم العبادات التى ينبغى أن يتجلى فيها تمام الوجه إلى الله تعالى، وأعظم أركانها هو السجود الذى يحصلُ بالوجه الذى يوضع على الأرض؛ شعاراً بعظمة التوجه إلى الله ، ثم تكتمل الصلاة بما فيها من حتمية الصدق والاجتهاد فى الدعاء وإسلام الوجه لله تعالى ، إذ قال القرآن على لسان خليل الرحمن : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢) .

ففى هذه الفريضة يتحتم أن يشعر المؤمن بإقباله على الله والارتقاء الإيمانى بالحديث إليه ، وذلك ما ينبغى الحرص عليه ، والالتزام بسائر آدابه ومتطلباته ، قال جلت قدرته : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾(٣) .

ويلزمُ فى التوجه إلى كل صلاة أن يكون ابتغاءُ وجه الله هو الغطاء الذى يتحصنُ به المؤمن من غوائل الشيطان، عندما يهم بالصلاة أو فى كل طاعة يقبلُ بها عليه سبحانه وتعالى .

٢- من ثمرات إسلام الوجه لله تعالى :

إن إسلام الوجه لله تعالى يدعو المؤمن إلى طائفة آخرى من القربات

---

(١) رواه النسائى .

(٢) سورة الأنعام : الآية / ٧٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية / ١١٥ .

والطاعات ، التى يزداد فيها اقتراباً من الله تعالى ، ومن سائر خلقه ؛ لأن هذا الشعور عندما يكتسى المؤمن به فإنه يستشعر حماية الله له ، وذلك بالمنح والعطاءات، التى يحظى المؤمن بها، ونذكر من ذلك ما ينفقه المؤمن ابتغاء وجه الله ؛ لأن الدفع إلى غير ذات الله ليس إلا عبثاً وإنفاقاً للمال فى غير وجوهه المشروعة ، والعصر الحاضر يشهد بكثير من التجاوزات المقوتة فى هذا الشأن وأقرب الدلالات لذلك ما يُدفع من أصحاب رؤوس الأموال إلى ما لا يعود بنفع على المنفق، وعلى الناس خاصة المبالغ الطائلة المدفوعة إلى دعاة اللهو واللعب والعبث الذى لا يفيد ، ذلك أن النفقة المعتد بها ما كانت ابتغاء لوجه الله فى الطرق المشروعة قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾[1] ويتواصل عطاءُ المؤمنين ابتغاء لوجه الله تعالى ، فيصلُ إلى الزكاة المفروضة ، التى تقدم لمستحقيها بالأصول المقررة فى القرآن والسنة ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[2] .

والمضعفون : أى المؤمنون الذين ينالون ثوابا مضاعفا ، جزاءً لحُسْن صنيعهم ودفعهم لزكاة أموالهم؛ ابتغاءً لوجه الله تعالى .

إن حرصَ المؤمن من عباد الرحمن على الارتقاء بإيمانه وسائر عبادته إلى أن تكون تحت ظلال إسلام الوجه لله تعالى واتبغاء فضله يجعله — أى المؤمن — فى أمن من الخوف الذى ينتابُ البشرَ عندما يستشعرُ الواحد منهم خوفاً من

---

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٧٢ .

(٢) سورة الروم : الآية / ٣٩ .

تقلبات الزمن فيحزنُ على ما لمْ يأَت ، أو يمرض لوهم يتخيله دون أن يلمسه؛ ويحتاج في ظلال أزمته مع نفسه أن يحتمي بأعلى درجات التحصن والصبر على النوائب، والرضا بقضاء الله وقدره ما دامت كل توجهاته قد استهدف بها وجه الله تعالى، وذلك أن خُلق الصبر من أقوى التحصينات، التي يلوذ بها المؤمنون ابتغاءً لوجه الله تعالى، الذى قال في بعض خصائصهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾[1] فهم أولو الألباب الذين تنتظرهم جنةُ عدن ، وهم فيها ليسوا وَحْدهم ، وإنما يلحق بهم الصالحون من أبائهم وأزواجهم وذرياتهم فهؤلاء وهؤلاء فى نعيم مقيم لابتغائهم وجه الله ، وإسلامِ الأمر إليه سبحانه وتعالى.

والله الهادى إلى سواء السبيل

---

(١) سورة الرعد : الآية / ٢٢ .

٨ - تفويض الأمر لله تعالى

تفويض الأمر لله تعالى : خُلق إسلامى عظيم يتنحى فيه الإنسان عن بعض ذاته ، ويستسلم لعجزه البشرى الضعيف ، ويلوذ بخالقه البر الرحيم ، فيحتمى به راضياً بحكمه ، راغباً فى قضائه فهو السَميع لخلقه ، البصير بعباده ، العليم بخائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولا يجد سائر عباد الله المتقين إلا العلى الكبير ، الذى يفوضون الأمر إليه سبحانه وتعالى .

١- معنى التفويض والفرق بينه وبين التوكل على الله تعالى :

إن معنى التفويض هو سيرورة الأمر إلى الله تعالى ، وجعله الحاكم فيه ، وفى الدعاء : " فوضت أمرى إليك " أى رددته إليك،ولم يُذكر مصطلح التفويض إلا فى موضع واحد بالقرآن الكريم وذلك قول الله تعالى:﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[(1)] ، وأما التوكل فقد جاء كثيرا بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، ومن ذلك قواه تعالى :

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[(2)] ، وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه قال : " قرأت فى التوراة صفة النبى- ﷺ - محمد رسول الله سميته المتوكل " .

---

(١) سورة غافر : الآية / ٤٤ .

(٢) سورة الطلاق : الآية / ٣ .

ويمكن أن يقترب معنى التفويض مما يفيده قول الله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[(١)] ويرى بعض العلماء أن التفويض أوسع معنى من التوكل ، بينما يرى ابن القيم أن التوكل فوق التفويض ، ولذا تكرر الأمر بالتوكل في القرآن الكريم ، وهو صفة خاصة برسول الله وأوليائه ، وصفة المؤمنين .

واتسع خلاف المفكرين وعلماء العقائد والمذاهب في التفريق بين التفويض والتوكل، وإن كنت أرى أن المعنى فيهما متقارب ، إن لم يكن اللفظان مترادفين كما يكون التفويض في حالة الشدة والعسرة ، وقد حدث في شأن الرجل المؤمن الذى تصدَّى لعتاة المجرمين من فرعون وقومه ، بينما التوكل أكثر اتساعاً وأشمل لأحوال المؤمن .

٢- حديث القرآن الكريم عن التفويض .

لقد ارتبط ذكر التفويض في القرآن الكريم بقصة الرجل المؤمن من آل فرعون والتى وردت بسورة غافر، بدءاً من قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[(٢)] .... إلى قوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾[(٣)] .

---

(١) سورة النساء : الآية / ٥٩ .

(٢) سورة غافر : الآية / ٢٨ .

(٣) سورة غافر : الآية / ٤٥ .

واختلف المفسرون فى هذا الرجل فقيل إن اسمه " حبيب "،أو "شمعان"، أو غير ذلك ، وقيل إنه كان قبطياً وكان ابن عم فرعون ، وهو الذى نجا مع موسى عليه السلام ، وهو المراد بقول الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ .... ﴾[١] وقال ابن عباس : " لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره ، وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذى أنذر موسى . فقال إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك "[٢] ، وقيل : " كان هذا الرجل من بنى إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون ... ففى الكلام على هذا تقديم وتأخير "[٣] ، وقد استنكر أن يسعى الطغاة لقتل موسى ؛ لأنه يقول ربى الله .

وواصلت الآيات فى سورة غافر صراع هذا الرجل المؤمن مع الكافرين ، ومما أورده القرآن على لسانه قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾[٤] .

ويصل الحوار إلى ما قبل نهاية أمره مع هؤلاء العتاة الكافرين ، فيعلن وعيده وتهديده الذى أشفعه بإعلان استقوائه بالله تعالى ، وتفويض أمره إليه والحاصل فى قول الله تعالى : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[٥] .

---

(١) سورة القصص : الآية / ٢٠ .

(٢) تفسير القرطبى ج ١٥ ص٣٠٦ .

(٣) السابق الجزء والصفحة .

(٤) سورة غافر : الآيتان / ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) سورة غافر : الآية / ٤٤ .

وقد استنكر هذا الرجل المؤمن أن يقتل الكافرون موسى عليه السلام ، ثـم واجه عنادهم إلى أن أبلغهم التهديد والوعيد بسوء العذاب ، وقيل إنهم فكـروا فى قتله والقضاء عليه، ورُوى أنه هرب إلى الجبال ولن يقدروا عليه، ولم يملك إلا أن يفوض الأمر لله تعالى ، وهذا شأن عباد الله المؤمنين فـى سـائر الأزمـان ، وفى ظل دعوات الأنبياء والمرسلين إلى التوحيد وعبادة إله واحد لا شريك له .

٣- بيان التفويض فى الحديث النبوى الشريف :

لقد جاء التفويض فى هدى النبى- ﷺ - لأمته ، وذلك فى سائر الأحوال إذ يتحقق عندما يأوى المسلم إلى فراشه ، ذلك أن النوم موته صغرى ، فالإنسان ينام ولا يدرى ما هو مقبل عليه ، فى ليله أو فى غده،وقال القرآن الكـريم عـن النـوم" إنــه وفـاة ، وذلـك قـول الله تعـالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾[١] ، ولـذا أوصـى الرسـول - ﷺ - المسلم بـأن يستقبل نومه بدعاء الضعيف إلى القـوى ، فعـن البـراء بـن عـازب قـال : قـال رسول الله - ﷺ - : " إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قـل : " اللـهم أسلمت وجهـى إليـك وفوضـت أمـرى إليـك ، وألجأت ظهرى إليك ؛ رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منـك إلا إليـك، اللهم آمنتُ بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت ... فإن مِـتَّ مـن ليلتـك فإنك على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلم به "[٢] .

---

(١) سورة الأنعام : الآية / ٦٠

(٢) البخارى .

٤- بعض تجليات التفويض :

لقد ذكر د/ أحمد الشرباصي رحمه الله بعض تجليات التفويض فى حياة أبى الأنبياء عليه ، وعليهم الصلاة والسلام [١] ، ومما ذكره الله تعالى فى حق خليل الرحمن مع ابنه قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ [٢] ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٣] .

لقد صدر الأمر الإلهى لإبراهيم عليه السلام بذبح ابنه وقياس مستوى مقدرته على الصبر والتحمل فى مواجهة الشيطان ، الراغب فى صرفه عن تنفيذ التوجيه الإلهى ، وانتصرت عزيمة الخليل عليه السلام ، وجهز ابنه للذبح بسائر متطلباته ، لكن هذا الاستعداد من الأب والابن عليهما السلام كان فى قمة الرضا والتفويض والقبول لأمر الله تعالى ، وقريب من معنى التفويض ودلالته تسليم الوجه لله تعالى المذكور فى قوله عز من قائل : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [٤] .

فالتفويض خُلق إسلامى فريد يتجلى بيانه وتحقيقه فى شأن عباد الرحمن الذين يؤمنون بقضاء الله ويرضون بقدره خيره وشره ، حلوه ومره ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) راجع موسوعة أخلاق القرآن ج ٣ ص٢٥٥ .

(٢) تله الجبين = أى ألقاه على وجهه حتى لا يراه فيرق له

(٣) سورة الصافات : الآيات / ١٠١ – ١٠٥ .

(٤) سورة لقمان : الآية / ٢٢ .

٩ – الفرح بفضل الله ورحمته

يتجلى الفرح بفضل الله ورحمته فى كثير من أحوال المسلم ، التى يزداد بها قربا من الله تعالى ، كما يتحول الفرح إلى بطر وتعلق ذميم بالحسيّات الدنيوية، التى تحطُّ من شأن المؤمن ، ولا ترقى به إلى المستوى الإيمانى عن عباد الرحمن .

١- معنى الفرح بفضل الله ورحمته :

إن الفرح هو السرورُ الذى يلحقُ بقلب المؤمن فينشرحُ صدرهُ وتنفرجُ أساريره ، ويكونُ ذلك غالباً فى اللذات الجسمانية، أما الفرح الحقيقى فهو الذى يتعلقُ بفضل الله ورحمته ، وهو أحد أخلاق الإسلام ، ذلك لأن المسلم ينبغي أن يكون متفائلا وغير متشائم،بسّاماً ضحّاكا،صاحب أريحية عند اللقاء، ولا تنمُّ حالتُه إلا عن الفرح والسرور ، الذى ينبغى أن يكون خلقاً حميداً ، ينعكسُ على المؤمن وعلى الآخرين ، الذين يلتقى بهم ، ويتعامل معهم .

والمراد من فضل الله هو الإسلام ، الذى حمله الرسولُ- ﷺ - دعوة إلهية جديدة ، وأما الرحمة فهى القرآن ، تلك المعجزة الخالدة الباقية التى حملت الهداية إلى الناس بما فيها من الموعظة الحسنة ، والشفاء لما فى الصدور .

فالفرح بالإسلام وبالقرآن هو الفرح الحقيقى الذى ينبغى أن يَفْرحَ ويُسرَّ به كل مؤمن تقى يستجيبُ للمتغيرات التى تحيط به،وهو الذى تضَمنه قول الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1]

---

(١) سورة يونس : الآية / ٥٨ .

وهذا الفرح هو الخلق الإسلامي الذى يجعل صاحبه متميزاً عن غيره من البشر الذين ينهزمون أمام اللذات الدنيوية ، والتى لا تنفعُ ولا تفيدُ المسلمَ كثيراً فى علاقته بربه .

٢- كيفية تجلى الفرحُ بفضل الله تعالى :

إنَّ من بين ما يتحقق به وله الفرحُ الحقيقى هو الاستشهاد فى سبيل الله، قال تعالى فى تصوير هذا الذى يناله الشهداءُ فى الدنيا والآخرة : ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (١) .

كما أن الفرح بالشهادة فى سبيل الله يأتى فى غالب الأحوال مرتبطاً بالفرح عند تحقيق النصر ، وكان ذلك شأن المؤمنين الأوائل الذين بشرهم القرآن الكريم بخبر متقدم على زمن القتال بأن النصر سيكون للمؤمنين من حملة الكتاب ، وهم الروم فى حربهم مع الوثنيين من أهل الفرس .

وقد ارتبط الفرح بالنصر من قبل أن يتحقق ، والذى أخبر القرآن الكريم عنه المسلمين ، وذلك بقول الله تعالى : ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾(٢) .

وأعظمُ ما يكون الفرح عندما يرتبط بالعبادة والإقبال على الله ، ومن ذلك الفرح برحمة الله ، التى عَبّر بها القرآن تعبيراً حسياً ، فجعل لها طعما وذوقا

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٧٠ .

(٢) سورة الروم : الآية / ٤ .

يستشعره الإنسان – فيفرح بمسبباته وهى رحمة الله ، ومن بين آيات القرآن فى هذا الشأن قولُ الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ﴾(١) .

ولرحمة الله أحوال كثيرة ، وتجلياتٌ رائعة تلحق بالمؤمن ، فيسعدُ بها ، وتنعكسُ على سائر تعاملاته مع الآخرين ، وأن الفرح قد يرتقى ويسمو إلى أعلى درجاته عندما يتجلى فيما يأتى به رسل الله،ومنهم سيدنا محمد– ﷺ–، وذلك فيما يأتون به من آيات بينات ، وذلك بأن تكون وَحْياً وكلاَماً يُتلى على الخلق ، أو فى صوره معجزات حسية يتلقاها الناس فيفرحون بها ، ويصدقونها ، وتكونُ بمثابة دلالات على رحمة الله ومغفرته ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾(٢) .

ويتواصل فرح المؤمنين من خلال عباداتهم لربهم ، وعمل الطاعات المفروضة عليهم كالصوم الذى يلتقى عليه المؤمنون ، فيفرحون به ، خاصة عند الإفطار ، وعند لقاء الله سبحانه وتعالى ، وهذا ما أخبر به رسولُ الله– ﷺ – فى قوله : " للصائم فرحتان يفرحهما: عند فطره ، وعند صومه " (٣) .

وإذا كان الفرح المراد هو الكائن فى حق البشر ، فإن الفرح بإطلاق آخر يكونُ فى حقّ الله تعالى عندما يرتبط بتوبة العبد ورجوعه عن الذنب ، ورد المظالم إلى أصحابها ، تلك هى بعض تجليات الفرح والسرور التى يسعد بها المؤمن من عباد الرحمن ، وذلك يعنى الفرح بفضل الله ورحمته .

---

(١) سورة الروم : الآية / ٣٦ .
(٢) سورة الرعد : الآية / ٣٦ .
(٣) رواه البخارى (الصوم) .

١٠- اجتناب الفرح غير المرغوب فيه

يحرص عبادُ الرحمن على السعادة والبهجة والفرح والسرور، ولا يُلْحِقون أىّ لون من ألوان الإيذاء للآخرين ، فإقامة الأفراح بصورة مبالغ فيها لا يتفق مع آداب الإسلام، خاصة إذا مورست فيه بعض الإسرافات التى تسيئ إلى الآخرين هؤلاء الذين ربما يكون لديهم من الأحزان ما يحتمُ على الآخرين مراعاتها وعدم الغفلة عنها .

١- أحوال الفرح الحسّى غير المرغوب فيه :

لقد دعا الإسلامُ سائر المؤمنين إلى التواضع ولين الجانب وشكر الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به من فضائل ، تلين بها الدنيا ، وتبسط جناحيها لكل عاشق وراغب فيها ، وأن فرح المؤمن بهذه العطاءات ينبغى أن يكون محكوماً بالضوابط الإسلامية ، التى تقرب بين الناس ، وبحيث لا ينفر الواحد منهم من الآخر . لكن أن يتحول الفرح إلى بطر وغرور واعجاب بالنفس فإن ذلك لا يليق بالمسلم ، ولا يصح أن يأتى منه ما يؤثر فى سلوكه بما يسئ به إلى نفسه وإلى الآخرين ، الذين يتعامل معهم ويرتبط بهم ، وقد تحقق ذلك فى حديث القرآن الكريم عن قارون وقومه عندما اغتر بماله وتبطر على قومه فخاطبه القرآن على لسان قومه قائلاً : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾[١] .

فالفرح فى أساسه صفة من صفات الكمال ، الذى يَعْنى اللذة والبهجة والسرور،لكن أن يكون الشأن كما كان من قارون لقومه فهذا مما حذر الإسلام منه

---

(١) سورة القصص : الآية / ٧٦ .

وفى دنيا الناس تحدث النـواقصُ التـى ينبغـى ألاَّ يتحقـق بهـا أى فـرح وإعجاب ، فلربما انقلبتْ وبالاً على صاحبها فى العاجل والآجل ، مع أن بعض الجماعات فى هذا الشأن تفرح بما لديها من الضلال والفساد ، إذ يتـسابقون إلى المنكر ويفرحون بتحقيقه ، وليس ذلك إلا ضلالا وزيْفاً لا ينبغى أن يرتبط شأنه بالفرح الذى عبر عنه قول الله تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[١] .

وقريب من ذلك أو شبيه له حال القاعـدين عـن الجهـاد ، الـذين فرحـوا بتخلفهم عن المشاركة فى القتال مع رسول الله– ﷺ – وهؤلاء هم المعنيون بقول الله تعـــالى : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٢] .

٢- اجتناب التجاوزات السيئة :

ينبغى أنْ يُراجع كلُّ مؤمنٍ نفسه ويقوِّمُ تصرفاته ؛ لأن التجاوز لمتطلبـاتُ الفرح والسرور يأتى بعواقب وخيمة فى الدنيا ، حيث يكون ذلك سـببا لـسلْب النعمة منهم ، أو أن يأخذهم الله سبحانه وتعالى بغتة ، دون أن ينفـع النـدم ، ويجب على المؤمن أن يحذر غضب الله عليه ؛ إذا تجاوز آداب الفرح وضوابطه .

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[٣]

إن كثيراً من السلوكيات المعاصرة التى ترتبط بالأفراح تلحـق أضـراراً بعبـاد الله

---

(١) سورة المؤمنون : الآية / ٥٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية / ٨١ .

(٣) سورة الأنعام : الآية / ٤٤ ، ومبلسون : أى آيسون من كل خير .

ونذكر من خلال بعض السلوكيات والمشاهدات الراصدة لحركة الحياة أن الرغبة في الفرح تسيطر على مشاعر بعض الناس فيبالغون بأفراحهم ، ولا يعبأون بجراح الآخرين فتقام الأفراح في بعض الأماكن ، وإلى جوارها الأسى والحسرة على من مات ، أو كان الحزن لضياع الأموال أو سرقة الثروات ، ولذا ينبغي مراعاة مشاعر الآخرين ، ومشاركتهم في أحزانهم وأخذ الحيطة عند نصب الزينات وعدم إطلاق الرصاص في الهواء بلا داعٍ ، فالفرحُ له آدابه التي ينبغي أن يحرصَ الناس عليها ، كما أن الفرح الزائد عن حدِّه ، والذى يبالغ الناس فيه ليس من أخلاقيات عباد الرحمن ، هذا الذى يرتبط كلية بالأعراض والأغراض الزائلة ، والتي يتصل معظمها بالحسيات الدنيوية ، قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾(١) .

ذلك أن ابتلاءات الله تعالى أنه قد يُبسط الرزق لمن هو على غير إيمان وتقوى ، ويقدّره على المؤمن ، فالأولون يفرحون بما عندهم ويجهلون ما عند الله ، مع أن ما جاء إليهم في الدنيا قليل ذاهب ، وغير ثابت ، ولا وزن ولا قيمة له في الآخرة ... والله أعلم .

---

(١) سورة الرعد : الآية / ٢٦ .

١١- اجتناب الابتداع فى الدين

لقد نهى الإسلام عن استحداث عبادة فعلية أو قولية ، ذلك أن الثوابت المتفق عليها قد حددتها الشريعةُ ، ولا يصحُ الزيادةُ عليها أو الانتقاصُ منها ، إذ يستشعر المبتدع أنه ينهض بما لم يقمْ الرسول بإبلاغه إلى الناس لفعله أو تركه.

١- معنى البدعة المنهى عنها :

لقد حددت الشريعة الإسلامية الأصول الثابتة المتفق عليها ، ووجب على عباد الله المتقين ، وسائر المسلمين الملتزمين الحفاظُ عليها ؛ لأن أى اختراق لما كان عليه الشأن فى عهد الرسول وأصحابه يتعارض مع تمام الإسلام واكتماله بآخر ما نزل من القرآن الكريم مضافاً إليه ما حددته السنة النبوية من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ، مقترنةٍ بمنهج الرسول فى الدعوة ، وإبلاغه إلى أصحابه رضوان الله عليهم ، والذين واصلوا حمل الرسالة المحمدية ونشرها بين التابعين ومن جاء بعدهم ، دون حذف منها ، أو إضافة إليها ، وعليه فإن البدعة المذمومة والمنهىٌ عنها هى التى تكون فى الدين ، أى فيما نعبد الله به ، أما ما عدا ذلك مما ليس عبادة لله ، فليس بدعة أو خروجاً من الدين ، ويدخل فى ذلك إباحة الابتداع والتطوير فى أمور الدنيا ، التى تنعكس بالإيجاب على حياة البشر ، والتاريخ الإنسانى لم يتوقف عند الثوابت الدنيوية ، بل كان الحرصُ دائماً على الإضافة إليها دون اعتداء على حق الإنسان فى الحفاظ على مخترعاته ومبتكراته للفكر والعلم والحياة .

إذن فالبدعة الدينية : هى ممارسة لعمل أو قول بقصد العبادة فى أمور لم يمارسها الرسول وأصحابه ، وذكر العلماء أن العمل المستحدث إذا استند لحديث نبوى – ولو كان ضعيفاً – يخرجه من نطاق البدعة إذ أن البدعة المنكرة تكون بالإضافة إلى الأصول المتفق عليها ، أما الفروع التى هى محلّ للاجتهاد ، واختلف العلماء فيها فلا ينبغى أن تُوصفَ بالبدعة ، فهذه الفواصل هى الحدود التى يجب الحفاظ عليها ، والتى ورد النصُ بها والإشارةُ إليها فى قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾[1] .

والحريصون عليها هم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾[2] ، فإذا كان القرآن الكريم قد اكتمل نزوله ، وأتم الرسول بيان ما يجبُ فعلهُ أو تركه فلا حاجة لاستحداث أمر أو نهى بعد قول الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3] .

وقال الرسول– ﷺ – : " إياكُمْ ومستحدثاتِ الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار "[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام "من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[5] أى مرفوض وغير مقبول .

---

(١) سورة النساء : الآية / ١٣ .
(٢) سورة التوبة : الآية / ١١٢ .
(٣) سورة المائدة : الآية / ٣ .
(٤) رواه أبو داود والترمذى .
(٥) البخارى ومسلم وغيرهما .

٢-الإشارة إلى بعض النماذج من البدع المنهى عنها :

ما دامت الحياة مستمرة فإن الخير والشر موجودان فى سلوكيات البشر والخروج على الثوابت الدينية مرتبط بسلوك الإنسان ، كما أن الدعوة مستمرة فى الالتزام بما جاء الأمر به والنهى عنه ، وذلك هو المنهج الذى يحرص عليه ويلتزم به عباد الرحمن الذين يمثلون القدوة الطيبة لغيرهم من المؤمنين بالله تعالى ، ولذا يَصْعُبُ حصرُ البدع الدينية المنهى عنها ، إذ أنها تبدأ وكأنها عادةٌ ليست مرتبطة بالدين ، ثم تتحول فتلتصق بالشرع وهذا هو مكمن الخطورة فى عموم البدع المستحدثة ، ففى المناسبات الدينية لا يتوقف الناس عن إضافة ما ليس منه كذكرى مولد الرسول والعيدين وليلتى النصف من شعبان وعاشوراء ، وكذلك ما يلحق بالمآتم وزيارات النساء للقبور والاحتفاء بذكرى الخميس والأربعين والذكرى السنوية وما شابه ذلك ، كما أن بعض الجماعات الدينية قد استحدثت أنواعاً من الاحتفالات والعادات وبعض الصلوات والأدعية، التى صارت بالنسبة لهم ذات قداسةٍ وعلاقة لها بالإسلام، وتختلف درجات البدع بين الحرمة والكراهة ، ومن ذلك أيضاً الاستعانة بالأموات وصلاة الظهر بعد الجمعة ، وكل ما لم يرد بشأنه نص صريح من القرآن والسنة وذلك ما حذّر الرسول – ﷺ – منه بقوله : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " [١] .

---

(١) متفق عليه .

٣- المراد بالسنة الحسنة التى يؤجر المسلم عليها :

لقد تقدم بيان البدعة الدينية التى تأكد النهى عنها ، أما السنة الحسنة فهى إضافة أيضاً ، ولكنها إحياء لتشريع ثابت قد تكاسل الناس عنه ، أو تباطئوا فيه فإذا كانت الزكاة واجبة فإن الصدقة سنة غَيْرُ واجبة بهذا المعنى ، ولها أصل ثابت فى الشرع ، فإذا غفل الناس عنها ، وتوقفوا عن أدائها مع أهميتها فى تقوية البناء المجتمعى ، واستيقظ بعض الناس لها كالصفوة من عباد الرحمن،وتسابقوا عليها فإن ذلك يمثل السنة الحسنة التى قال الرسول - ﷺ - فى شأنها : " من سَنَّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرُها وأجرُ من عَمِلَ بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئ " [١] أو يتحقق السبق إلى إقرار السنة الحسنة فى الكثير من الأمور ، مثل الإسراع إلى نجدة الملهوفين، الذين تكاسل الناس عن مساعدتهم ، والسبق إلى فض النزاع بين المتخاصمين ، وإحياء أعمال البر والمعروف ، كما يجب أن يدخل فى ذلك أيضاً الدالون على الخير فإن لهم من الأجر مثل الذين قاموا به ، والله أعلم .

---

(١) رواه مسلم .

١٢- عمل المعروف والدعوة إليه

يعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصلاً من أصول الإسلام ، ويلزم الحرص عليهما وتنفيذ ما يجب فى شأنهما ، ويتحقق عمل المعروف من خلال الشرع الصحيح مع ضرورة الدعوة إليه بالحسنى ؛ ليتعانق الفعل مع الدعوة دون قسْر وإكراه .

١- قيمة عمل المعروف فى الدين والدنيا :

يرتبط الحديث عن الدعوة إلى المعروف وفعله بمسألة النهى عن المنكر وتركه لما جاء فى شأنها بالقرآن الكريم والسنة النبوية من حيث الأمر والنهى أو التعبير بافعل ولا تفعل ، فصار الأمران شيئاً واحداً اعتبر عند علماء العقيدة أصلاً من أصول الإسلام، إذ أن من يقوم بهما فكأنه ينهض بحراسة الدين وصيانته من عبث العابثين ، الذين لا يَعنيْهم إلا ما يروقُ لهم دون اعتبار للدين الإسلامى ومتطلباته فى المجتمعات الإنسانية المسلمة وغير المسلمة ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال التراجع عن هذا الأصل العظيم وتركه كُلِّيةً لولى الأمر ومن ينوب عنه ، فكيف يصل إلى من يمتنع معانداً عن واجب كالصلاة والصوم أو معاندٍ كالمجاهر بالمعصية فى كثير من المواضع، التى تغيب عن عيون الحاكم ، ولذلك اعتبر الأمر كلُّه إحدى خواص ومميزات الأمة الإسلامية، التى قال الله تعالى فى شأنها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] ذلك أن الأمر

(١) سورة آل عمران : الآية / ١١٠ .

والنهى فى هذا الشأن يعد فى المنزلة العليا من الشرائع الإلهيةِ ، وهو باب متسع للإرشاد إلى الله تعالى ، وهما طريق للهداية العظمى ، التى تميزتْ بها الأمةُ الإسلاميةُ فكيف يكون الحال لو تُرك الناس يبتعدون عن المعروف ولا يفعلونه ، ولا يُوجد مَنْ يُرْشدُهم ويدُلُهم عليه ، أو يفعلون المنكر ولا يُوجد من يَنْهاهم عنه ، فعند ذلك يتلاشى الدين من القلوب، وتسيطر المنكرات على البيئة فيعم الفسادُ وينتشر الظلْم فكانَ التشريع الداعى إلى وجوب الدعوة إلى المعروف وفعله ، واجتناب المنكر والنهى عنه ، ونحن فى هذا الأمر بصدد بيان الشق الأول ، وهو عمل المعروف والدعوة إليه الحاصل لمستلزمات الأمر الإلهى (افعل) .

والمعروف ما عُرف بالشرع وارتضى العقلُ حُسْنه ، أى عرفته العقولُ السليمة التى يؤتنس بها ، تلك التى تُميزُ بين المعروف الذى أقره الشرع وأنِسَتْ إليه النفس وبين المعروف الذى عرفه الناس ولا أصل له فى الشرع ، وهذا ما يمكن أخذه من قول الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1] فهؤلاء هم الذين يتجاهلون المعروف فيحتاجون إلى من يخاطبهم بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ حتى لا يُمْعنُوا فى غيهم وضلالهم ، أما إذا زادتْ شوكتهم وصاروا بحيث لا يمكن توجيههم أو دعوتهم إلى الخير فيكون الإعراض المؤقت عنهم ريثما تتغير الأوضاع ويملكُ المؤمنون من الحجة وأداة الحسم ما يعيدُ هؤلاء إلى جادة الطريق .

---

(١) سورة الأعراف : الآية / ١٩٩ .

وقد تحدثت النصوص النقلية من القرآن والسنة عن وجوب عمل المعروف والدعوة إليه ، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[(1)] ذلك أن هذا الشأن ربما لا تتحقق أسبابه ووسائله للجميع فيكفى أن ينهض به كل من تحققت له الوسيلة أو الشروط التى يجب توافرها فى الداعى إلى الخير والآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ، والإطار العام لهذه الدعوة يرتبط بالهدوء والحكمة والكلمة الطيبة ، وكل الوسائل المؤدية إلى الموعظة الحسنة قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[(2)] .

وقال رسول الله فى الحديث ا لقدسى : " إن الله يقول لكم : " مُروا بالمعروف وانهوْا عن المنكر قبل أن تدعونى فلا أجيبُ لكم ، وتسألونى فلا أعطيكم وتستنصرونى فلا أنصركم " وقد قيل فى تعريف المعروف إنه : " اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله عز وجل والتقرب إليه بالطيبات والأعمال الصالحة والإحسان إلى عباده "[(3)] .

وقال الحسن رحمه الله : " قال النبى – ﷺ – : " من أمرَ بالمعروف أو نَهَى عن المنكر فهو خليفةُ الله فى أرضه وخليفةُ رسوله وخليفة كتابه "[(4)] .

فالحرص على عمل المعروف والأمر به شأن عام تتميز به أمة الإسلام ،

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٠٤ .

(٢) سورة النحل : الآية / ١٢٥ .

(٣) أدب الأحاديث القدسية د. أحمد الشرباصى طبع دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٧م .

(٤) ذكره القرطبى فى تفسيره جـ ٤ ص ٤٧ .

ويتجلى ذلك فى شأن عباد الرحمن ، الذين يمثلون الأسوة الحسنة لغيرهم من سائر خلق الله على الأرض .

٢- معالم فعل المعروف والدعوة إليه :

إن عمل المعروف والدعوة إليه يمثل ملمحاً من ملامح أمة الإسلام فى حق الرجال والنساء ما دامت لديهم القدرة على التحرك الإيجابى نحو صيانة دينهم ودنياهم من عبث الخارجين عن صراط الله المستقيم، وتحفيز عباد الرحمن على صيانة الوجه الحضارى للإسلام من خلال التناصح بالحق والصبر، والحرص على عمل المعروف ومقاومة المنكر ، وذلك بعض ما يتجلى فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(١) .

وعلى النقيض من ذلك يتجلى شأن النفاق والمنافقين من يوم أن اتضحت سلوكياتهم فى المدينة المنورة ، وفيما بعد ذلك من خلال الزمن ، وقد قال الله تعالى فى شأنهم : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٢) .

ويصل فعل المعروف إلى العلاقة بين الزوجين فيتطلب الأمر أن يكون المنهج فيها هو المعاشرة بالمعروف ، هذا الذى أقره الشرع واستحسنه الناس ، ولم يختلفوا حوله،قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٣)

---

(١) سورة التوبة : الآية / ٧١ .
(٢) سورة التوبة : الآية / ٦٧ .
(٣) سورة النساء : الآية / ١٩ .

فهذه المعاشرة ذاتُ مظاهر متعددة ، وأقربها للتناول هو سريان الخير والبر والمودة والرحمة للعلاقة الزوجية، وإلا فيكون التحول إلى التسريح بالإحسان؛ حتى تبقى للحياة الزوجية صورتها الجميلة ومظهرها المشرق ، الذى ينعكس أثره على الذرية وسائر المكونات الاجتماعية .

كما أن الأمر بالمعروف ومعه النهى عن المنكر صفة مميزة لعباد الله المتقين ، الذين يسارعون فى الخيرات ، وأولها الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر قال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1] إلى غير ذلك من المعالم الواضحة بشأن تميز الفاعلين للمعروف والداعين إليه .

٣- بعض النماذج السلوكية لعمل المعروف والدعوة إليه :

يخضع الأمر بالمعروف إلى الاستطاعة ، التى يتأهل بها كلّ مكلف عاقل عالم بحدود المعروف الذى لا خلاف عليه وبحيث لا يترتبُ على هذا الفعل ضررٌ أكبر يفتُّ فى عضد الأمة أو يمزق بعضاً من مكونات وحدتها ، إذ أن الثابت يقينا أن الهدف من الدعوة إلى المعروف هو نشر الخير والمحبة ، وصيانة المجتمع من التفرق والتمزق ، ونشر معالم الدين ، حتى لا يزداد التجاهل وتتوارى الصورة المثلى لهيئة الإسلام فى عيون أبنائهُ وعيون سائر المناوئين له ، وأن الحرص على هذا الواجب الذى تتعددُ درجاتهُ حسب قوة الداعى وضعفه ، أو تكون المعالجة لذلك بتخصيص الحاكم لشخص عالم قوى

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١١٤ .

ينهضُ بما يجب فعله، وهذا أقلُّ ما يمكن قبوله فى هذا الشأن الذى لا يقدر عليه الناس جميعاً .

وقد ذكر القرطبى رحمه الله هذا الأمرَ فقال : " إن الأمر بالمعروف لا يليق بكل أحد ، وإنما يقوم به السلطان ، إذا كانتْ إقامة الحدود إليه والتعذير إلى رأيه ، والحبس والإطلاق له ، والنفى والتغريب فينصِبُ فى كل بلدةٍ رجلاً عالماً أميناً ويأمره بذلك،ويمضى الحدود على وجهها من غير زيادة قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(١) .

إن الشأن فيما يتصل بفعل المعروف والدعوة إليه يختلف عن الشق الثانى وهو النهى عن المنكر ، فالدعوة إلى المعروف قد لا تحتاج إلى هذه المتطلبات التى ذكرها القرطبى ، ففى الدعوة إلى المعروف يكفى المؤمن أن يأمر به ويفعله ولا يلزمه حملُ الناس عليه حَمْلاً .

وقال بعض العلماء فى هذا الشأن : الأمر بالمعروف باليد على الأمراء وباللسان على العلماء وبالقلب على الضعفاء ، والأمر فى مجموعة يخضع للاستطاعة التى تَقْوىَ وتَضْعُف ، كما يختلف توجيه الأمر إلى شخص نجهله عن شخص آخر للآمر عليه ولاية وسلطان ... والله أعلم

---

(١) سورة الحج : الآية / ٤١ .

١٣- اجتناب المنكر والنهى عنه

تتعدد أحوال المنكر الذى يلزم اجتنابه والنهى عنه بالأمر اليسير والتوجيه السديد وإلا فيكون التحولُ إلى المستوى الذى يتحقق به الانتهاء والتوقف ، وجاء الحديث عن هذا المبدأ التشريعى تالياً للأمر بالمعروف ، واعتبر الاثنان من سمات عباد الرحمن الذين يمثلون الأسوة الحسنة لغيرهم من البشر .

١- عرض القرآن الكريم والسنة النبوية لقضية اجتناب المنكر والتحذير منه:

لقد تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية عن وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ لما لذلك من أهمية قُصْوى فى استقامة الحال للمجتمع وعدم الطغيان على حقوق الله وحقوق البشر ؛ لأن الانفلات فى السلوك يطيح بكثير من العبادات ، وسائر القيم الإسلامية ، التى يتحتم الالتزام بها والحرص عليها ؛ لأن الأمر بالمعروف مطلب إسلامى عام؛ أكده القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، كما أن اجتناب المنكر والنهى عنه يعطى مزيدا من الإيمان بالله ورسوله ، وتحقيق الأمان لسائر المكونات الاجتماعية، سواء ما اتصل منها بالمرعيات الدينية أو السلوكيات ، التى يجب الحرصُ عليها والالتزام بها .

والمنكر : هو كل فعل أو قول تَحْكمُ العقول السليمة بقبحه، ثم تؤكد الشريعة رفضَه وعدم استحسانه، ويكون ظهوره وانتشاره بين الناس نذيرا على انتشار الفساد الدينى والدنيوى ، مع أنهما متصلان ببعضهما، ولا يتعارضان ما دام خضوعهما للمنطق الصحيح، الذى لا يتطرق إليه الشك ،

وأكثر المناكير المرفوضة يعرفها فاعلوها ، ولا يجادلون فيها لكنهم يحتاجون إلى المواجهة بالوسيلة ، التى تناسبُ دعواتهم للفساد والضلال .

والنهى عن المنكر فرض واجب على كل مسلم لديه الاستطاعة المطلوبة للمقاومة، وتفعيل النهى بصورة لا تتمخض عن توليد أزمات جديدة فى ظلال السعى إلى تحقيق هذه العبادة الواجبة: قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(١) .

وقد لُعنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل ؛ لتقصيرهم فى تفعيل هذه العبادة وعدم ممارسة النهى عن المنكر ، مما أسهم فى إشاعة الفساد والضلال بينهم ، وقد قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(٢) .

وقال الله تعالى فى الحديث القدسى : " مُروا بالمعروف وانهوْا عن المنكر، من قبل أن تدعُونى فلا أجيبُ لكم ، وتسألونى فلا أعطيكم وتستنصرونى فلا أنصرُكم " (٣) .

وقد رُوى عن النبى – ﷺ – أنه قال : " ما من نبى بَعَثَهُ الله فى أمةٍ

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١١٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية / ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) رواه الديلمى عن عائشة .

قبلى إلا كانَ له من أمته حواريون [(١)] ، وأصحابٌ يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلُف من بعدهم خُلُوف[(٢)] يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراءَ ذلك من الإيمان حبةُ خَرْدل" [(٣)]

إنّ هذا الحديث متعدد الأهداف والمقاصد ، ويشير إلى درجات تغيير المنكر .

٢- الوسائل المقررة للنهى عن المنكر :

لقد أوجب الإسلام مواجهة المنكر والتصدى له ومقاومته فى حدود الاستطاعة ، التى تتيسر لكل مؤمن ، وذلك فى ضوء ما جاء البيان به فى أحاديث رسول الله- ﷺ – ومنها ما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : " من رأى منكم منكراً فلغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" [(٤)] فقد حَدَّدَ هذا الحديث ، وغيره أيضاً درجاتِ تغيير المنكر ، وهى تخضعُ للاستطاعة وأقواها التغيير باليد ، حيث يتأتى ذلك من كل من يجدُ فى نفسه القوة على الإزالة دون أن يتولد عن ذلك أضرارٌ أشد ، وقد رُوى أن قائلاً قال لعمر ابن الخطاب لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا فحمدَ عُمرُ الله على ذلك فى موقف رائع ومتميز ؛ لتأصيل قواعد المواجهة لفاعلى المنكر ، ثم تأتى المرتبة الثانية فتكون المقاومة بالكلام فقط ، وتأتى الثالثة التى لا يجدُ المؤمن

---

(١) حواريون : أنصار .

(٢)خلوف جمع خَلْف وهم الأشرار ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ ﴾ سورة مريم : الآية / ٥٩ .

(٣) رواه مسلم فى الإيمان (التاج جـ٥ ص ٢٢٢) .

(٤) رواه مسلم .

من يساعده فيكون التغيير بالقلب ، وهو عبارة عن رفض داخلي للمنكر ، أما إذا تحققت لديه الاستطاعة على التغيير باليد وتركها واكتفى بالتغيير القلبي فهذا مذموم شرعاً ، ودلالة على ضعف الإيمان أى أن تغيير المنكر بقلبه عند العجز لا يكون ضعيف الإيمان.

ولابد أن يحرص ولى الأمر على وجوب تغيير المنكر فإن قيامه بذلك يريح كثيراً من الضعفاء ، الذين لا يملكون القدرة على التغيير ، مع وجوب العلم بأن التغيير مسئولية الناس جميعاً كل حسب استطاعته ما داموا عُدولا مع مراعاة أن يكون التغيير بالسهل اليسير ، إذ لا يُعدَل عنه إلى الصعب العسير ، كما أن متطلبات النهى عن المنكر يلزمُ أن يتطابق فعلُ الناهى مع قوله فقد روى أبو زيد أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما قال: "سمعت رسول الله- ﷺ- يقول : " يُؤتى بالرجل يومَ القيامةِ فيُلقى فى النار فتنزلقُ اقتابُ بطنه [1] فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحا فيجتمع عليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ألم تكن تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى : كنت أمرُ بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه " [2] .

٣- إيضاح بعض السلوكيات الكاشفة لعبادة النهى عن المنكر:

لقد عرض أبو بكر الصديق رضى الله عنه لمسألة النهى عن المنكر ، وذلك فى خطبة له ، تعليقاً على فهم الناس لآية من القرآن على غير ما تهدف إليه فقد روى أنه رضى الله عنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : " يا أيها الناس

---

(١) أى تخرج أمعاؤه .

(٢) متفق عليه .

إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها فى غير مواضعها : " يا أيُّها الذينَ أمنوُا عليكم أنفسَكم ، لا يضرّكُم من ضلّ إذا اهتديتم " وإنا سمعنا رسول الله- ﷺ - يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب " ولا ينبغى أن يترتب على النهى عن المنكر ضررٌ أشد على المأمور به، وذلك ما تحقق بيانهُ فى شأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد رُوى أنه تسلّق دار رجل ظنَّ به ريبة ، فرآه على حالة منكرة ، فأنكر عليه فقال له الرجل يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه فأنت قد عصيتهُ من ثلاثة أوجه ، فقال له عمر وما هى ؟

قال الرجل قد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ وأنت قد تجسست ، وقال تعالى: ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ وأنت قد تسورت السطح ، وقال تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ وأنت ما سلمت ، فتركه عمر بعد أن شرط عليه التوبة مما فعل .

ثم شاور عمرُ الصحابة رضوان الله عليهم فسألهم وهو على المنبر ما على الإمام إذا شاهد بنفسه منكراً فهل له إقامة الحد فيه فذكّره علىّ رضوان الله عليه بأن ذلك منوط بشاهدين عدلين ولا يكفى فيه واحد " [١] .

إن تغيير المنكر واجب على كل مسلم سواء أكان التغيير عند ولى الأمر أو فى مواجهة البسطاء فى شارع أو سفينة ما دام الهدفُ شريفاً ، وتحقق الغرض فى حدود الاستطاعة التى تختلف من شخص لآخر وفق الضوابط فى الشرع الحنيف .

---

(١) ذكر الدكتور أحمد الشرباصى هذا الأثر فى كتابه"موسوعة أخلاق القرآن"جـ٣ ص٢٢٨.

١٤- " التمتع بالطيبات "

الطيبات هى كل ما تستلذه الحواسُ أو النفسُ ، وعكسها الخبائث ، والطيبٌ من البشر هو من تحلى بالفضائل وتخلى عن الرذائل ، والمرأة الطيبة هى الحَصَان العفيفة ، والكلمة الطيبة هى الحسنة الجيدة ، التى لا كراهة فيها، وهذه كلها تخضع لمعيار الحلال والحرام عند الاستفادة بها .

١- الطيبات التى يحل الاستمتاع بها :

لقد أقر العلماء صنوف الطيبات التى لا حرمة ولا كراهة فيها ، والتى يُبَاح للإنسان أن يستفيد بها ويتمتع بكل حلال مباح منها ، وهى ذات أشكال وصنوف متعددة كالطعام والشراب والملبس والمسكن ، وتمتع كل من الرجل والمرأة بالآخر فى حدود المعايير التى أقرتها الشريعة الإسلامية من خلال القرآن الكريم وأقوال الرسول- ﷺ - ، والتى حددت المباح الذى يحق للإنسان أن يتمتع به ، كما حددت الخبائث التى يجب على المؤمن أن يبتعد عنها ، ولا يستعين بها فى أى غرض من أغراض الحياة ، أو يتقدم بها لمستحقيها فى سبيل الخير كالزكاة والصدقة وسائر وجوه الإنفاق .

وفى كل الأحوال يكون الإذن للإنسان باستكمال متطلباته من الأطعمة والأشربة ، ويأتى بعدها أو معها الإنفاق فى سائر وجوهه المشروعة .

وأكثر ما اتجهت إليه آيات القرآن الكريم فى التمتع بالطيبات هو الأكل والشرب بخاصة فبها تتواصل نشاطات الإنسان فى الحياة ، وأن هذه النعمَ ذاتُ تأثير إيجابى حول نهوض الإنسان بكل ما يجب عليه فى دنياه قال

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾[(١)] .

وقد جاء الخطاب في هذه الآية للناس جميعاً فَنِعَمُ الله سبحانه وتعالى متاحة لجميع الخلق ، بمعايير فاصلة في ضوء ما يترتب عليها من الإقبال على الله أو الابتعاد عنه سبحانه، ثم يأتي الخطاب للمؤمنين، الذين يحق لهم التمتع بطيبات الدنيا باعتبارها من الأرزاق التي ساقها الله إليهم فقال عز من قائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾[(٢)] .

والواضح من توجيه الناس إلى التمتع بالطيبات أنه موجه غالبا للأكل والشرب فهما أساسيان في تكوين الجسم الإنساني ، كما يتحقق في سائر المخلوقات الأخرى كالحيوانات والطيور وغيرها .

٢- معايير التمتع بالطيبات .

إن التمتع بالطيبات كالأكل والشرب والملبس والمسكن وغيرها تخضع لاعتبارات محددة ، إذ ينبغي أن تخلو الاستفادة بها من الإسراف والمباهاة فبهما يمكن أن تتعاظم نفس الإنسان ، ويدرك تميزه على غيره فيصاب بغرور أو بنزعة تهدد مستوى علاقاته بالآخرين ، ولا يليق هذا بالمسلم الذي يجب أن يضع في اعتباره كرامة الآخرين وعِزَّةَ نفوسهم ، فعن النبي- ﷺ - أنه قال : " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة "[(٣)] ولا ينبغي للمسلم أن يتشدد على نفسه فيحرِّمُ ما أحلَّ الله له ، معتقدا أن ذلك تواضع

---

(١) سورة البقرة : الآية / ١٦٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ١٧٢ .

(٣) رواه أحمد والبخاري والنسائي والحاكم وابن ماجة .

وخشوع مستحق لوجه الله تعالى ، إذ ينبغى استثمار الطيبات فى تحقيق مزيد من الإيمان والإقبال على الله وشكره سبحانه وتعالى فقال : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (١) .

ذلك أن هذا التمتع ينبغى أن يكون مصحوباً بالاعتدال والتوسط وعدم الطغيان على حقوق الآخرين ، الذين ربما تكون لهم عند المتمتع أو غيره حقوق ومتطلبات ، إنما يتسلط بأنانيته على ما عنده فيستهلكه دون مراعاة لحقوق الآخرين ، قال تعالى : ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ﴾(٢) .

ومن بين الطيبات التى أباحها الله سبحانه وتعالى ، وأتاحها للمسلمين أطعمة أهل الكتاب ، فهى مباحة للمسلم بشرط ألا تكونَ محرمةً لذاتها ، وورد التنبيه عليها والتحذير منها كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ، وما نص عليه القرآن والسنة قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾(٣) .

ويحظر على المسلم التمتع بمجموعة من الأشياء ، التى ورد النص على تحريمها وعدم الاستفادة منها، وهى التى قال الحق تبارك وتعالى فى شأنها : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

(٢) سورة طه : الآية / ٨١ .

(٣) سورة المائدة : الآية / ٥ .

وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾[1] .

إن التمتع بالطيبات على اختلاف أنواعها حقٌ مباحٌ ومتاحٌ للناس جميعاً، ويأتى ذلك الحق للمسلم مرتبطاً بشكر الله تعالى عليها ، والاعتدال فى الاستفادة منها ، وتجنب كل ما يحقق الأذى والإضرار بالآخرين، وهذا هو الشأن مع عباد الرحمن الذين يخضعون للمنهج الإسلامى فى التمتع بالطيبات وتجنب المحرمات والاعتدال فى الاستعمال بلا إسراف أو تقتير .

---

(١) سورة المائدة : الآية / ٣ ، والموقوذة هى التى تُضَرب بالعصاة ونحوها ؛ حتى تموت .

١٥- سؤال أهل الذكر

اقتضت طبائعُ النفس الإنسانية أنّ تَزيد المعرفةُ عند إنسان عن آخر مما يحتاجُ معه غيرُ المُدرك لحقيقةِ أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية أن يتجه بالسؤال إلى العارف العالم، الذى يُستفتى فيردُّ على السؤال بما يروى ظمأ المتعطش إلى العلم والمعرفة .

١- دواعى الاتجاه بالسؤال إلى أهل الذكر والمعرفة :

لقد بُعث رسول الله- ﷺ - إلى الناس جميعاً بمعجزة خالدة باقية مع مسيرة الحياة ، وهى القرآن الكريم الذى جاءت بدايته بالدعوة إلى القراءة ، وهى الوسيلة الأولى والأكثر أهمية فى الحصول على المعرفة ، قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] ، وجاء الخطاب للرسول- ﷺ - ابتداء ؛ وذلك لإعداده لتلقى الأسئلة والإجابة عليها، وينصرف البدء فى ذلك إلى سؤال عباد الرحمن عن حقيقة الإلوهية ، وتفرُّد الله تعالى بالوحدانية ، وأنه سبحانه وتعالى قريب جداً من دعوات البشر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[2]،وتكون إجابة الدعوة معجلة فى الدنيا ، أو مؤجلة مدخرة للآخرة ، وتعددت طبائع الأسئلة من البشر إلى الرسول بمنطق القرآن الكريم ، والهدف الأساسى من

---

(١) سورة العلق : الآيات / ١- ٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ١٨٦ .

السؤال والرد عليه هو العلم والمعرفة،واعتبر نزول ذلك على رسول الله - ﷺ - وحتمية التصدى له بالإجابة عبئا ثقيلاً ، وعلما شاقا جاء الإبلاغ عنه في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[(١)] خاصة ما ارتبط السؤال فيه والإجابة عنه بشؤون يوم القيامة ، وجاء التوجيه القرآنى للرسول- ﷺ - بما سوف يُسأل الناس عنه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾[(٢)] .

وتكررت صيغة " يسألونك" خاصة فى بعض الأمور ذات الارتباط القوى بالعبادات نوات الشأن ، مثل الأهلة والشهر الحرام والخمر واليتامى والمحيض والأنفال والروح وذى القرنين وغيرهما ، وتكرر السؤال من موسى ومعه فتاه إلى الخضر، واشتد الخلاف فى سبيل العلم والإحاطة، إلى أن تمخض الموقف عن إخبار الخضر لموسى بما كان من الأمور التى احتاجت لكشف حقيقتها ، وبيان المخبوء المعرفى عنها ، ذلك أن السؤال ليس مقصوداً لذاته ، وإنما لما يتمخض عنه من العلم والمعرفة فى شؤون الدين والدنيا .

٢- شروط المجيب عن السؤال :

ينبغى أن يكون الهدف من السؤال ابتداء هو العلم والإحاطة بشؤون الموضوع المستفسر عنه ، وبحيث لا يتمخض عن السؤال إجابة تلحق أذى بالسائل ، وذلك ما جاء النهى عنه فى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) سورة المزمل : الآية / ٥ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٦٣ .

ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[١] كما يلزم أن يكون توجيه السؤال إلى أهل الذكر والمعرفة ، كما جاء الأمر بذلك فى قول الله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] والتوجيه المقصود بيانه فى أهل الذكر وهم علماء اليهود والنصارى – بما لديهم من معارف حقيقية فى شؤون أحوال الأمم السابقة وأنبيائهم ورسلهم امتداداً إلى رسالة محمد– ﷺ – .

ومن الاشتراكات فى المجيب أن يكون على علم بمعرفة أدلة الأحكام الشرعية ، من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، عالماً بالأدلة وكيفية اقتباس الأحكام منها ، والالتزام بمطابقة الإجابة أو الفتوى لمرعيات الزمان والمكان ، وعلى المجيب فى الأمور الشرعية أن يلتزم بالتوسط والاعتدال ، فلا يصح أن يتساهل فى الحكم ، وأن يفرط فى ضوابط الأحكام ؛ لأن الانفلات من الضوابط والمرعيات الشرعية يُخَلِّفُ آثاراً ضارة وعواقب وخيمة .. ويقابل ذلك فى ضوابط الإجابة ، الأخذ بالأخف فى الأحكام ؛ لأن التشدد والتعسير ليس من مواصفات السماحة الإسلامية ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[٣] . وظهر الحكم بالتخفيف فى قسم نبى الله أيوب عندما حلفَ ليضربن امرأته فكان التوجيه نحو التيسير ، الذى تجلى فى قول الله تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾[٤] والضغث:

---

(١) سورة المائدة : الآية / ١٠١ .
(٢) سورة النحل : الآية / ٤٣ .
(٣) سورة النساء : الآية / ٢٨ .
(٤) سورة ص : الآية / ٤٤ .

حزمة من عيدان القش ، التى لا يحقق الضرب بها ألماً، لكنه يبرئ من القسم ، ويحقق الوفاء باليمين، ويشترط فيمن يجيب أن يرتهن ردُّه بحدود العلم ، ويلتزم بالاحتكام إلى القرآن والسنة عند التنازع فى الأمور؛كما فى قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[١] ، وما أبشع أن ينصب الجاهل نفسه مفتياً ومجيباً ، فيما لا علمَ ولا دراية له به ، مما يوقع الناس فى شرور كثيرة .

٣- إيضاح بعض الملامح من منهج الرسول وأصحابه وتابعيه فى السؤال والجواب .

يعد الرسول- ﷺ - إماماً للمفتين فى سائر مجالات الحياة فهو لا ينطق عن الهوى ، وقد علمه شديد القوى ، وكان يتحول بالإجابة إلى توجيه السؤال إلى السائل مما يجعل لإجاباته - ﷺ - تأثيراً فى النفوس ، وقد سُئل : أى الكسب أفضل ؟ فقال : " عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور "[٢] .

وقد يتحول السؤال إلى التسول من الآخرين ، وطلب الصدقة والمساعدة وذلك شيئ غير مريح ، ويتنافى مع عزة النفس والكرم والمروءة إذ يتحول الشأن من طلب المعرفة إلى ادعاء الفقر (أحيانا)،وقد حذر الرسول- ﷺ - من طلب الصدقة مع الغِنى وعدم الحاجة ، فقد روى ثوبان رضى الله عنه أن النبى - ﷺ - قال : " من سأل مسألةً ، وهو عنها غَنِىّ ، كانت شيئاً فى وجهه يوم القيامة "[٣] .

---

(١) سورة النساء : الآية / ٥٩ .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه أحمد والبزار والطبرانى .

إذن فالسؤال يأتى من الراغب فى العلم والمعرفة فى أمور الدين والدنيا ، وأن المجيب على السؤال ينبغى أن يكون عالماً عارفاً بما سيجيب عنه ، وكان الرسول إماماً وقدوة لأهل الإفتاء ، وقد روُى عن الشافعى رضى الله عنه أنه سُئل عن مسألةٍ فسكت فقيل له : ألا تجيب - رحمك الله - ؟ فقال : حتى أدرى الفضلَ فى سكوتى أو فى الجواب" [١]، أما التحول بِقيمة السؤال إلى طلب الحاجة دون مبرر فذلك إثمٌ وعصيان لا يليق بخلق المسلم فى أى زمان ومكان .

---

(١) أدب الفتوى لابن الصلاح ص ٣٦٠ .

١٦- قيمة الشهيد ومنزلته فى الدنيا والآخرة

الشهيد هو الذى قُتل واستشهد فى سبيل الله ؛ دفاعاً عن وطنه ودينه وعرضه ، أو كان موتُه مُفاجئاً فاستحق ما نالهُ من منزلةٍ ساميةٍ فى الدنيا والآخرة ، والذى يُعَدُّ فى الزمن الراهن امتداداً لمسيرة الشهداء العظام منذ فجر الإسلام .

١- الشهداء ، وكيف تحدث القرآن الكريم والحديث النبوى عنهم :

يحفُلُ تاريخ الإسلام بأعلام مشهورين من الرجال والنساء ، الذين حَمَلُوا أرواحهم على أكفهم ، وشاركوا فى الدفاع عن عقائدهم وأوطانهم ، وصاروا مضرب المثل لكل راغب فى البذل والعطاء ، وقد بَقِيَتْ بطولاتهم أنواراً خفاقة فى مسيرة الإسلام ، ولم يقتصروا على عصر الرسول وأصحابه ، بل تواصل جهادهم مع القتال والفروسية ، ولا زالت حيواتهم نمانج مضيئة لمن جاء بعدهم ، وسار على دربهم .

والشهيد : هو المقتول فى سبيل الله ، والجمع شهداء ، وقيل : سُمّى الشهيد شهيداً ؛ لأن الله وملائكته شهود له بالجنة ، فالشهيد فى الأصل هو من قتل مجاهداً فى سبيل الله ، ومدافعاً عن حرية وطنه واستقلاله ، ثم اتُسِع فيه ، فأطلَق على من سماه النبى- ﷺ - وحدده من المبطون والغَرق ، والحَرق وصاحب الهَدْم ، وغيرهم .

وقيل فى إطلاق اسم الشهيد على القتيل فى سبيل الله ؛ لأنه لم يمت ، كأنه شاهد أى حاضر ، وذكر فى سبب التسمية فضلاً عما قيل ؛ لأنه يشهد ما أعده الله له من الكرامة بالقتل .

وذكر القرآن الكريم استحقاق الشهيد للجنة ، فقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[1] ذلك أن الخاتمة الطيبة والمستحقة لجماعة الشهداء من المؤمنين ترجع إلى قضاء الله وقدره الذى حسمه وأثبته فى سورة الأحزاب ، حيث قال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[2] .

وقد أكد الرسول بيان الشهداء ، وذكر أنهم خمسة وفق ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن الرسول– ﷺ – قال : " ما تعدون الشهيد فيكم " ؟ قالوا: يا رسول الله مَنْ قُتل فى سبيل الله،قال: إن شهداء امتى إذن لقليل.قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: من قُتل فى سبيل الله فهو شهيد،ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد[3]، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ، ومن مات فى البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد "[4] .

---

(١) سورة محمد : الآيات / ٤ – ٦ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٢٣ .

(٣) جاء فى هامش التاج الجامع للأصول " كأن كان مع الغزاة يخدمهم برعى مواشيهم ، أو بسقى الماء أو بطهى الطعام ، ونحو ذلك . (البخارى ومسلم)

(٤) رواه مسلم والنسائى .

وأفاض البيان القرآنى فى عرض أفضال الشهداء الذين هانت عليهم أرواحهم ولم يتمسكوا بزخارف الدنيا ، واختاروا الدفاع عن أوطانهم ، وحماية معتقداتهم،فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] .

ذلك هو استحقاق الشهداء المخلصين الصادقين فى عباداتهم وجهادهم واستشهادهم فى سبيل الله .

٢- الكشف عن بعض البطولات والرموز الإنسانية المسلمة ، والذين استشهدوا فى سبيل الله تعالى :

تحفل المسيرة الإسلامية بكثير من المجاهدين الأبطال مثل عمار بن ياسر ذلك الشهيد الذى اشتاقتْ إليه الجنة ، وكان من السابقين إلى الإسلام ، وكان رحمه الله يعذبُ مع أبيه وأمه وأخيه ، والرسول يمرُّ بهم وهم يُعَذَّبون ، ولا يملك لهم شيئا سوى أن يقول لهم : " صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة " واستشهد عمار فى موقعة صفين ، ومضى ليلقى الأحباب من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً ، أما مصعب بن عمير فكان سفيرا لرسول الله – ﷺ – إلى المدينة المنورة قبل أن يهاجر النبى إليها ، فهو أول مبعوث فى الإسلام للدعوة إلى الله .

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان / ١٦٩ ، ١٧٠ .

وقد شهد غزوة بدر ، وأسهم فى تحقيق النصر للمسلمين بها ، وشهد غزوة أحد ، وكان بيده اللواء ، وجاءته الطعنات فسقط شهيداً ، وبحثوا عن شيئ يلفونه به فلم يجدوا إلا بُرْدَة إذا وضعوها على رأسه تعرَّتْ رجلاه ، وإذا وضعوها على رجليه تعرت رأسه ، فقال الرسول - ﷺ - : " اجعلوها مما يلى رأسه ، واجعلوا على رجليه نبات الأذخر "[1] ثم تلا النبى - ﷺ - قول الله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[2] فهؤلاء هم الأبطال ، الذين حفظ الزمن أمجادهم وجهادهم فى حراسة دينهم ووطنهم ، رحمهم الله رحمة واسعة.

---

(١) نبات طيب الرائحة .

(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٢٣ .

١٧ - الشهداء بين الحقيقة والإدعاء

١- الشهيد الحقيقى :

الشهيد هو الذى قتل واستشهد فى أرض المعركة ، أى فى سبيل الله ؛ دفاعاً عن وطنه ، وكان موته مفاجئاً ، فاستحق ما قدر له من منزلة سامية فى الدنيا والآخرة .

ويعد الشهيد فى الزمن الراهن امتداداً لمسيرة الشهداء العظام منذ فجر الإسلام ، وذلك مثل عمار بن ياسر ، ذلك الشهيد الذى اشتاقت إليه الجنة ، وكان مع السابقين إلى الإسلام ، ومضى ليلقى الأحباب من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسُن أولئك رفيقاً .

أما مصعب بن عمير فكان سَفيراً لرسول الله - ﷺ - إلى المدينة المنورة ، قبل أن يهاجر النبى إليها ، فهو أول مبعوث فى الإسلام للدعوة إلى الله ، وشهد غزوة بدر واستشهد فى أحد ، ونظر الرسول إليه ، وتلا فى تأثر بالغ قول الله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1] .

وسُمىّ المقتول فى أرض المعركة شهيداً ؛ لأنه يكون يوم القيامة شاهداً كلّ من ظلمه ؛ ولأن الله وملائكته شهودٌ له بالجنة ، وهذا هو الشهيد الحقيقى، وهو لا يغسل ، ولا يكفن ، ويدفن فى ثيابه التى تضمخت بالدِّماء الزكية ، ويدفن فى المكان الذى وقع فيه صريعاً إذا كان الموضع صالحاً لذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ

---

(١) سورة الأحزاب : الآية / ٢٣ .

﴿رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(١) فهؤلاء الشهداء يشهدون ما أعدَّه الله لهم من الكرامة والمنزلة الرفيعة بسبب استشهادهم ؛ دفاعاً عن الوطن والدين .

أما الشهيد الحُكْمى أو ما قيل عنه إنه شهيد الآخرة أى لا ميزة له فى الدنيا من حيث الدفن والتكفين والعزاء ، وسُمىَ بذلك من باب التوسع فى الإطلاق ، ورفع شأن الأمة المسلمة بتكثير عدد الشهداء مثل المبطون أى الذى مات بمرض باطنى ، والغَرِق والحَرِق وصاحب الهدم وغيرهم .

وقد أكد الرسول – ﷺ – بيان الشهداء ، وذكر أنهم خمسة وفق ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن الرسول قال : " ما تعدون الشهيد فيكم " ؟ قالوا : يا رسول الله مَنْ قتل فى سبيل الله ، قال : إن شهداء أمتى إذن لقليل ، قالوا : فمن هم يا رسول الله ؟ قال : من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ، ومن مات فى البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد " (٢) فالشهيد الأول فى هؤلاء الخمسة هو الأصل فى هذا الحكم ، والذى مات فى سبيل الله وهو الذى كان مع الجيش ، ولم يشارك فى القتال ، وإنمّا كان يمارس خدمة المقاتلين وهو أيضاً مجاهد وشهيد أما الثلاثة الآخرون فهم شهداء من باب التوسع فى الإطلاق .

وللشهيد فى اللغة معان أخرى،فهو الذى يشهدُ على حدث أو دين أو أية قضيةٍ تحتاجُ لمن يُدلى بشهادته،ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٣) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٦٩ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) سررة البقرة : الآية / ١٤٣ .

والشهداء المجاهدون فى سبيل الله يختلقون فـى مقاصـدهم ، ويتفـاوتون فى منازلهم ودرجاتهم ، ومن قاتل ؛ لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سـبيل الله ما دامت العزيمة قوية ، والنية صادقة .

٢- إدعاء الشهادة :

لقـد ارتـبط إطـلاق لفـظ الـشهيد علـى كـثير مـن القتلـى بالحـصول علـى تعويضات مالية يظفرُ بها الورثة جملة واحدة أولا ، ثم رابتاً شهرياً بعد ذلك ، ولا حرج فى دفع الأموال إلى أهل وورثة من كان يسير فى طريق وقتل غدراً فـى ظروف وأحوال عادية أو غير عادية (استثنائية) ولا داعى لربط ذلك بحكايـة توصيف الشهيد . والاختلاف فى هذا التوصيف تتولد عنه مـشكلات كـثيرة ؛ لأن الناس لا ترضى بمن يواجهها بغير ما تحب .

ويمكن أن تتقرر المساعدات المناسبة لمن قتل بعيداً عـن سـاحة الـدفاع عـن الوطن،دون أن يرتبط ذلك بتغيير المفاهيم والأحكام بشأن الشهداء المجاهدين .

ومـن المؤسـف أن الكـثيرين يجـادلون فـى هـذا الأمـر كـثيراً ، ويوُقعـون الفقهاء فى حرج شديد ؛ لارتباط الحكم الفقهى بالأموال ، حتى وصل الأمر إلى المطالبة بأن يـشمل وصـف الـشهيد كـلّ مـن يـدمر المبـانى ، ويهـدم البيـوت ، ويسرق البنوك ، ويحرق المؤسسات فالحقـائق لا تتجـزأ ، ومعنـى (الـشهيد) معروف ، ولا علاقة لذلك بمن قتل غدرا فى شارع أو فى حادث سيارة ، أو فى معركة بين الخارجين على القانون ، وعلى جهات البحث والتحرى والتحقيـق أن تفصل فى ذلك ؛ ليأخذ المساعداتُ مـن يـستحقها مـن الورثـة ، والله الناصـر والمعين ، والهادى إلى سواء السبيل .

١٨- الحرص على وحدة الأمة الإسلامية

ينبغى أن يحرص المسلمون – أينما وجدوا – على وحدة أمتهم ، وصيانة معتقداتهم ، والدفاع عن أمنهم وممتلكاتهم ، ومواجهة الأعداء والخصوم الذين يتربصون بهم ، وَيَسْعَون للتفريق بينهم ، وأن يكون الحفاظ على العقيدة الإسلامية هدفاً يجب التمسك به ، وعدم التخلى عنه، وذلك كله عن طريق الحوار الهادئ البناء .

١- مظاهر التوحد فى الأمة الإسلامية :

لقد كانت حياة الأمة الإسلامية من خلال شعوبها وعقيدتها موضعاً للمد والجزر ، وللتلاقى والاختلاف ، وكانت العلاقة بالآخرين مشوبة بالقلق وعدم الثقة مما أهّل العلماء والمفكرين الإسلاميين لشرح مقاصد الشريعة ، فيما يتصل بوحدة الكلمة ووحدة الصف ، والتحذير من الفرقة والخلاف ، وكانت دعوة الإسلام – ولازالت – مَعْنيَّةً بأسباب التوحد ومتطلباته ، وجاء البيان لذلك فى القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال الإقرار بربوبية الله، والدعوة لعبادته وحده لا شريك له ، وإلى مراعاة تقوى الله ، تلك التى تؤهل القلوب المؤمنة للتبصر إلى كل ما ينير الطريق لحاضر الأمة ومستقبلها .

ونعرض من خلال آيتين كريمتين من آيات القرآن الكريم ، تتفقان فى المضمون وتتقاربان فى الهدف والغاية تقول الأولى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1] وتقول الثانية : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٩٢ .

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾[(١)] وتجلت الدعوة إلى التوحد في سائر نطاقات العالم الإسلامى، وذلك بوجوب التمسك بكتاب الله الكريم ، فهو حبلُ الله المتين ، الذى يجبُ الحرصُ عليه والاعتصام به، فقال تعالى في ذلك :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[(٢)] .

وتكشف بدايات التكوين العَقَدى للأمة من خلال مسيرة الإسلام يومَ أن كانَ دعوةً جديدة ، ظهرت أضواؤها فى مكة المكرمة ، وانتشرت فى المدينة المنورة وزادت قوة الدعوة بفتح مكة ، حيث توجد الكعبة المشرفة ، التى احتمى بها الناس جميعاً وانتشر العفو والتسامح يوم أن دخلها الرسول والمسلمون ، وكان الهتاف بالصوت النبوى — من القرآن الكريم – : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[(٣)] .

وحضّ الرسول – ﷺ – على حماية الدعوة وحتمية التوحد ، وعدم الفرقة ، ونشر المحبة والتسامح، وعدم ممارسة الإكراه فى الدين والحياة فقال– ﷺ – فيما رواه أبو موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله – ﷺ – : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً " وشبك بين أصابعه [(٤)] .

ولجأ الرسولُ– ﷺ – فى نهاية هذا الحديث إلى التشبيك بين أصابعه ؛ تدليلاً على حتمية التلاقى والتجمع وعدم التفرق ، وتلك هى البذور الأولى

---

(١) سورة المؤمنون : الآية / ٥٢ .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ١٠٣ .

(٣) سورة الإسراء : الآية / ٨١ .

(٤) متفق عليه .

لإنبات التلاقى فى بداية الإسلام ، وعبَّر الرسول- ﷺ - فى حديث ثانٍ عن حتمية التوحد والمودة والتعاطف والرحمة ، وتلك بداية التوجيه البيانى من خلال الحديث الذى ذكره النعمان بن بشير الذى قال : قال رسول الله- ﷺ -: " مثلُ المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (١) .

وبدأت نطاقات العالم الإسلامى فى الاتساع قبل أن يلحق الرسول- ﷺ - بالرفيق الأعلى ، وتحركت الجيوشُ إلى الشام والعراق ، وتوالَتْ فى مرحلة من حياة الأمة الفتوحات الإسلامية خارج نطاق الجزيرة العربية ، وكان التحذير دوماً من التفرق ونشر الفتنة ، تلك التى تجتاح الأخضر واليابس ، والبر والبحر فتعم البلوى ويزداد الفساد،وقال الله تعالى فى ذلك : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(٢) .

٢- أسباب الشقاق التى تفت فى عضد الأمة ، وكيفية التغلب عليها :

لقد تولدت الفتن عندما اتسع نطاق الأمة الإسلامية،والتى احتوت أجناساً مختلفة ، وكانت السنوات تمر ، ويأتى الوفاق الذى لا يطول، ثم يدب الشقاق ولا يستقيم الحال ، وقد خسر العالم كله كثيراً بسبب نشر الفرقة بين مكونات العالم الإسلامى، فكان الوفاق يتوارى ويظهر الشقاق، وأصبح حاضر الأمة الإسلامية متأثراً بما احتوته القيادات السياسية فى عصر الدولة الأندلسية بالغرب ، حيث تسرَّب الخلاف بين الدويلات الإسلامية الصغيرة ، التى تتقاتل ، مِمّا شجع الأعداء على اقتناص فرصة الضعف والتفرق فيما بين إخوان

(١) متفق عليه .
(٢) سورة الأنفال : الآية / ٢٥ .

الدين والعقيدة واللغة إلى أن هبت الرياح هَبَّتها الأخيرة فاقتلعت آثار الحضارة العربية والإسلامية بعد مرور ما يقرب من ثمانية قرون من المجد والتميز ، وكان البكاء لذلك الشأن حاراً وموجعاً ، ونذكر فى هذا قول الشاعر :

لكل شئٍ إذا ما تم نقصانُ ∴ فلا يُغر بطيب العيش إنسان

هى الأمُور كما شاهدتها دولٌ ∴ من سرَّه زمنٌ ساءته أزمانُ

وهذه الدار لا تُبْقى على أحدٍ ∴ ولا يدومُ على حال لها شانُ

وكانت القيادات فى كثير من أحوال الأمة من أسباب الإخفاق والشقاق والقتال بين الممالك والدويلات ، مع أن دعوة الإسلام شديدة الحرص على التدقيق فى اختيار القيادات ، بحيث يكون الوصول إلى الولاية من غير قتال وشقاق مع الاحتكام إلى الشورى وتغليب صالح الأمة ، وذلك بالرفق والرحمة واللين ، وقد قال رسول الله– ﷺ – " من وَلِى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به ، ومن ولِى من أمر أمتى شيئاً وشقَّ عليهم فأشقق عليه " [(١)] .

ويُتهم الإسلام كثيراً – فى الوقت الراهن – بما ليس فيه ، مع أن مبادئه ثابتة فى حتمية الالتزام بالشورى ، وتحقيق العدل والمساواة ، وتولية الحاكم الأصلح ، الذى ينبغى أن يكون اختيارُه مبنيا على أسس محكمة ، مع التسليم المطلق بحق كل مسلم فى تملك حرية الرأى ، ولكنَّ هذه القواعد – مع وضوحها – شبه مغيبة عن الواقع ،ويتم توجيهها أحيانا على غير المراد منها .

٣- التعرف على بعض الأحوال الخاصة بوحدة الأمة فى الماضى والحاضر:

إن حرية الرأى مكفولة فى الإسلام ، وينهضُ بها ويحرص عليها المسلمون فى كل زمان ومكان ، ونذكر فى هذا المقام مقولة أبى بكر عند بدء

---

(١) أخرجه مسلم .

خلافته للمسلمين حيث قال : " أما بعد فإني وُليت أموركُمْ ولست بخيركم " أي أنه تولى أمر الأمة بعد الاتفاق على خلافته للمسلمين ، ولم يكن بدء مهمته بقرار مسبق أو بشئ بعيد عن الطرح الإسلامي ، الذى تم تداولهُ بحرية ونقاش هادئ في سقيفة بني ساعدة ، وكان الاختيار مبنيا على الشورى ونزولا على قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

وكان السعي إلى سلامة الأمة وتماسكها إنطلاقاً مع الحرية التى أقرها الإسلام من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[2] .

وأن واقع الأمة فى الوقت الراهن يُشعر ببعض الألم ويدعو إلى مراعاة المعايير الإسلامية من ناحية الحوار الهادف البناء ، وتطبيق أصول العدل والمساواة ، وحرية الرأى ومقاومة كل مايفُتّ فى عضد الأمة ويهدد وحدتها ، وأن يكون كل ذلك خاضعاً للرحمة ، التى حضَّ عليها الإسلام واحتكاماً إلى قول رسول الله – ﷺ – : " لا يرحمُ الله مَنْ لا يرحم الناس "[3] .

لقد كان عباد الرحمن من خلال مسيرة الدعوة إضاءات كاشفة إلى غيرهم من سائر الخلق ، وأن الأمل فى العودة إلى التماسك ما زالت أحلاماً أو رغبات ينظر إليها سائر المسلمين فى كل بقاع الأمة ، التى ستبقى مصانة بكتاب الله وبسنة رسول الله ، والحرص عليها والعمل بها ، والله الموفق .

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٠٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٥٦ .

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد .

القسم الثانى

من أخلاق الرسول - ﷺ -

فى بعض العبادات والمناسبات

١- حسن الإعداد للهجرة النبوية.
٢- بناء المجتمع فى المدينة بعد الهجرة.
٣- إحسان العمل فى العشر الأوائل من ذى الحجة.
٤- الالتزام باشتراطات الأضحية وآدابها.
٥- الرسول - ﷺ - بين أصحابه.
٦- تجليات الوفاء فى حياة الرسول - ﷺ - .
٧- الكلمة أمانة (حديث للرسول - ﷺ -).
٨- إتقان العمل (حديث للرسول - ﷺ -).



١- حسن الإعداد للهجرة النبوية

لم تكن الهجرة إلى المدينة عملاً منفردا من الرسول- ﷺ - ، وإنما كانت تحركاً إيجابيا لتحديد بعض المسارات المستقبلية لحماية الدعوة ، ونشر الإسلام خارج مكة ، وشارك المتقون وأصحاب العزائم الصادقة فى كثير من صناعة النجاح لهذه الهجرة المباركة، منذ أن حوصرت الدعوة فى مكة المكرمة، وما تلا ذلك من أحداث .

١- كيفية التفكير فى الهجرة :

لم تحقق هجرة الرسول إلى الطائف ، ولا هجرة بعض أصحابه إلى الحبشة ما كان مستهدفا من هذه الهجرات ، فكانت الإرادة فى الاختيار إلى مكان ليس بعيداً تماماً من مكة ، ويمكن أن يحقق هدفاً استراتيجياً متقدماً لمتابعة حركة التجارة إلى الشام واليمن ، ويكون المسلمون غير بعيدين عن التواصل المستمر بين الشمال والجنوب ، فكان التفكير فى يثرب ، ومن المفيد لمستقبل الدعوة أن تكون الهجرة نابعة ومؤيدة من أهل المدينة ، وحتى يُذيب الإسلامُ كثيرا من الصراعات والبؤر التى توغلت فى عظام يثرب ، والتى كان الصراع فيها محتدماً بين قوتين من السلالات العربية ، وهما قبيلتا الأوس والخزرج ، واللتان كانتا تشكلان تنظيما موحّدا ضد العديد من الطوائف اليهودية ، وكان الإعداد لذلك على درجة عالية من الجودة ، والتى تمثلت فى لقاءين للرسول- ﷺ - مع وفود يثرب ، وأطلق عليهما بيعتا العقبة الأولى والثانية ، وبعد اللقاء الأول كُلّف مصعب بن عمير بالانتقال إلى يثرب ؛ لممارسة توجيه الدعوة فى هدوء وسكينة إلى القلوب الظامئة إلى الارتواء

بالإسلام ، ولذلك كانت سفارته محققة لكل المستهدف منها ؛ نحو تجهيز المدينة لاستقبال الرسول وأصحابه ، ولم تكن مفارقة مكة فى مرحلة تالية بالأمر الهيّن على الرسول ، فقد كان شديد التعلق بها ، وناجاها مخاطباً كلّ شيئ فيها : " اللهم إنكِ لأحبُّ أرضِ الله إلى الله ، ولولا أن أهلكَ أخرجونى منك ما خرجت " [(١)] .

٢- إسهام الصحابة فى الإعداد للهجرة

لقد كانت الهجرة عملاً جماعياً تمَّ الإعداد له من قِبل رسول الله- ﷺ - مستشيراً بعض أصحابه الصادقين فى الدعوة ، الآملين فيها ولها خيرا عظيما، وبدأ ذلك فى اللقاء الأول الذى جمع الرسولَ مع عدد قليل من أهل يثرب ، وكان هذا فاتحة خير للإسلام ، ومنفذا جديداً لنشر الدعوة فى أمْن وسلام ، بعيداً عن مكة ، وذلك فى بيعة العقبة الأولى ، التى تحدث عنها الصحابى الجليل عبادة بن الصامت ، فقال : " بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى .. أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتلَ أولادنا ، ولا نأتى ببهتان بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف " .

وقال : " فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم[(٢)] من ذلك شيئاً فأخذتم بَحدِّه فهو كفارةٌ له . وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة ، فأمركم إلى الله . إنْ شاء عَذّب ، وإن شاء غفر" [(٣)] ، وأرسل الرسول مع هذه الطلائع المجهزة لاستقبال بشائر الإسلام مصعب بن عمير ، الذى استطاع أن يغزو القلوب ، وأن ينقى

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) غشيتم : ارتكبتم .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم .

النفوس من موروثات الماضى ، ويعدّها للإيمان الصادق ، والسلوك الحميد ، وقام بمهمته خير قيام مما جعل الصفوة الراغبة فى الإسلام تتكاثر فى أعدادها وأمالها فكان أن رَحَل بعد عام من بيعة العقبة الأولى سبعون رجلاً وامرأتان من أهل المدينة إلى مكة ؛ ليكونوا عونا وتأييداً للرسول على شحذ همته ، وإنماء عزيمته نحو الانتقال من مكة إلى المدينة ، وذلك فى بيعة العقبة الكبرى عند ما سُمّى بشِعْب العقبة ، وتميزت هذه العقبة بإعلان وفد يثرب مبايعة الرسول على السمع والطاعة ، ونصرته ومنع الأذى عنه بمثل ما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم .

وانتقلت مسيرة الإعداد للهجرة إلى اختيار أبى بكر الصديق رفيقاً للرسول فى هذه الرحلة الخالدة ، وتمّ كلُّ شيئ حَسْب ما خُطط له ، وخرج الصديق مع الرسول إلى (غار ثور) ؛ ودخلاه ، وأقاما فيه ثلاثة أيام ، بعيداً عن أعين الرقباء ، وقال الصديق فى ذروة خوفه على الرسول وعلى نفسه : "لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا – بعد أن تعقبوهما إلى الغار، فقال الرسول: "إن الله معنا " قال تعالى فى تصوير هذا الموقف الفارق بين الخوف من الأعداء والثقة فى الله:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة : الآية / ٤٠ .

٢- بعض النماذج من سلوكيات أبطال الهجرة :

لقد حَفلت كتب السيرة والتاريخ بالعديد من الأحداث الرائعة فى هجـرة الرسول- ﷺ - إلى المدينة ، والتى تجرى معظمها من خلال شخـصيات رسـول الله وأبى بكر وعلى بن أبى طالب ، وعائشة وأسماء وعبـد الله أولاد أبـى بكـر ، وعامر بن فهيرة راعى الغنم عنده ، وأضيف إليهم عبد الله بن أريقط ، الذى لم يكن مسلماً ، ولكن الرسول استعان به فى طريق الهجرة ؛ لأنه اطمـأن إليـه ، ووثـق فيـه ، ومـن بـين الأحـداث الخالـدة لهـذه الشخـصيات موقـف علـى ابن أبى طالب ابن عم رسول الله وربيبه وزوج ابنته، وصاحب المواقف الفدائية فى مسيرة الدعوة الإسلامية ليلـة الهجـرة ، فقـد نـام علـى فـراش : النبـى ، وتـسجّى ببردتـه الخـضراء ، ولم يخـش قـوة المـشركين المـرابطين أمـام بيـت الرسول، فقد خرج الرسول من بيـنهم ، وهـو يتلـو قـول الله تعـالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾(١) وبقى علىّ - كرّم الله وجهـه - ثلاثة أيام فى مكة بعد مغادرة الرسول لها ، ثم وصل إليه فى قُباء بالمدينة .

وقد كان الأبطال كثيرين فى الهجـرة ، وكـل واحـد مـنهم نمـونج رائـع لعباد الله المتقين ، فى كل زمان ومكان .

---

(١) سورة الأنفال : الآية / ٣٠

٢- بناء المجتمع فى المدينة بعد الهجرة النبوية

فتحت هجرة الرسُول وأصحابه إلى المدينة أفاقاً واسعة نحو تأسيس دولة جديدة تنشر المحبة والسلام ، وتؤلف بين القلوب ، وتنزع الشرّ ممن استقر فى أعماقهم أزمنة طويلة ، فكانت الحياة الاجتماعية فى يثرب نموذجاً متميزاً تجلت فيه إسهامات عباد الرحمن فى العديد من الجوانب .

١- إقامة مسجد قباء والمسجد النبوى

لقد وصل الرسول- ﷺ - وأصحابه إلى يثرب المباركة – تباعاً – وأبصارهم وقلوبهم متعلقة بمكة المكرمة ، ففيها بيت الله الحرام ، الذى يمثل بالنسبة لهم الحماية والأمن من قبل أن يبزغ فجر الإسلام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾(١) ولا يغيب عن وعيهم المسجد الأقصى، فقد كان ثانى مسجد بنى على الأرض بعد المسجد الحرام ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى تُشدُّ إليها الرحال ، ولذا كان نزول الرسول- ﷺ - فى قُباء بعد اثنى عشر يوماً قضاها مع صاحبه فى الطريق من مكة إلى المدينة ونزوله على بنى عمرو بن عوف ، توفيقاً من الله وهداية إلى الشروع فى تأسيس أول مسجد فى الإسلام ، والذى كان موضعاً مطهراً ، وموئلا للرجال العظام ، الذين أسهموا مع الرسول فى بنائه ، وقد حدد القرآن الكريم التميز لهذا المسجد فقال تعالى فى شأنه : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان / ٩٦، ٩٧ .

(٢) سورة التوبة : الآية / ١٠٨ .

وبعد أن استقر- ﷺ - فى المدينة ، والتف حوله المهاجرون والأنصار شرع فى بناء مسجده النبوى الشريف فى قلب المدينة من ناحيتها الشرقية فى العام الأول من الهجرة ، وكان هذا المنهج هو طريق المسلمين فى كل بلد من البلدان ، فعندما يفتحون تحت راية دينهم قطراً من الأقطار يتجهون إلى بناء المسجد ؛ ليكون داراً للعبادة والذكر وتلاوة القرآن وعمل الخير .

وسار المتقون لله ورسوله منذ أن عمُرت قلوبهم بالإسلام على التنفيذ الملتزم لما نَصَّ عليه كتاب الله إذ قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾(١) وقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾(٢) .

وفيما يتصل بإقامة المسجد النبوى الجامع فى المدينة المنورة — كان العمل فيه مدعوماً بالإيمان وروح الجماعة ، والتفانى فى بذل الجهد ، وكان البناء مشفوعاً بالأدعية والغناء الجميل ، فكانوا يقولون :

اللهم لا عيشَ إلا عيش الآخرةْ ∴ فاغفر للأنصار والمهاجره

والرسول فى المقدمة غيرُ مميَّز على أحد ، وكانت همته تدفعُ عباد الله إلى التفانى فى بذل الجهد ، وبعضهم يرتجز بالأشعار مثل هذا البيت :

لأن قعدنا والرسول يعملُ ∴ لذاك منا العمل المضلّلُ

---

(١) سورة الجن : الآية / ١٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية / ١٨ .

فهذا البناء الذى بدأ بسيطاً أسهم فى تكوين المجتمع الإسلامى على دعائم إيمانية شديدة التميز فى كثير من الأمور ، التى كان لها آثار متعددة فى نشر الإسلام .

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

لقد كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ضرورة للمرحلة المبكرة من عمر الدعوة بالمدينة ، ولتأسيس المجتمع الجديد فيها ، ولتقوية صفوف المسلمين من المهاجرين والأنصار ، وزيادة تعاونهم فى المجالات المتعددة كالدعوة إلى الله بالحسنى ، وإيضاح أسرار العقيدة الإسلامية ، وبثّ روح الأمل فى الحياة بين سائر المكونات الاجتماعية ، وأهم ما يميزُ هذه المؤاخاة أنها بُنيتْ على المحبة التى توهجت فى قلوب الأنصار ، وواجهوا بها إخوانهم المهاجرين ،وكانَتْ تُمْحِى تماما الفوارق التى كانت عالقة فى قلوب كل فرد من الأوس والخزرج تجاه الآخر ، ففى شأن الأنصار قال الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

وعمُرت قلوب المهاجرين وغيرهم ممن انضمّ إليهم بالمحبة والمودة ، وخلوها من الضيق ، وكل ما يعكر جوّ العلاقة مع إخوانهم من الأنصار ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا

---

(١) سورة الحشر : الآية / ٩ .

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] فالمؤاخاة تجعل الأنصارى يعيش مع المهاجر فى إخوة متحدة بالحب والتعاون والصدق ، وتنازل من يملك للآخر ببعض ما لديه حتى تسير الحياة وتطير بجناحين من الحبة والمودة والرحمة ، ولم تقتصر المؤاخاة على السابقين إليها ، وإنما اتسعت الدوائر المكونة لها ، المتلئة بالعطف والإحسان ، فصار المجتمع الجديد فى المدينة كأنه كتلة واحدة لا يمكن اختراقها والإفساد فيها .

٣- بناء المجتمع بعد الهجرة :

لم يكن تشكيل المجتمع فى يثرب قاصراً على الأوس والخزرج الذين توجَّهوُا بقلوبهم لاستقبال الرسول والوفود ، التى جاءت من بعده ، والذين يمثلون قوة إيمانية مؤهلةً للنمو الاجتماعى والأخلاقى ، وتنمية ثرواتهم فى التجارة والزراعة وبعض المهن الأخرى ، وإنما تواصلت الرغبة فى التوحد والقوة، والتى وصلت أنوراها إلى أهل الديانات الأخرى ، والمتمثلة أساساً فى بعض الطوائف من اليهود ، مثل بنى قينقاع وبنى قريظة ، وبنى النضير ، وانتشر الخطاب الدينى بمضمونه الذى تجلى فى قول الله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[٢] .

واعتبرت نصوصُ المعاهدة بين الرسول واليهود وثيقة خالدة ، تتجاوز المتاح من الفكر فى زمن الهجرة ، واشتملت العديد من الجوانب ، خاصة ما

---

(١) سورة الحشر : الآية / ١٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٥٦ .

اتصل منها بتأمين المدينة المنورة ، والدفاع عنها ، واحترام الجوار ، وحرية العقيدة وتحديد شخصية الحاكم العام لها.

ولم يكن تأسيس هذا المجتمع قاصراً على الرسول- ﷺ - وأبى بكر وبعض الصحابة ، وإنما اتسع الكيان العام الذى شمل كثيراً من عباد الرحمن فى بواكير عصر الدعوة ، هؤلاء الذين شعروا بقوتهم وعظمتهم من خلال دينهم الجديد ، فصاروا مؤهلين بكفاءة عالية ؛ للدفاع عن طيبة الطيبة ، وتحقيق مزيد من الآمال والطموحات ، كاقتحام معترك الحياة القبلية فى جزيرة العرب ، والعودة إلى مكة المكرمة ، والرفع لنداء الحق فى أمكنة كثيرة ومتعددة فى مصر والشام والعراق وفارس وبلدان أخرى كثيرة .

٣- إحسان العمل
فى العشر الأوائل من ذى الحجة

تشهد العشرُ الأوائلُ من ذى الحجة كثيراً من فيوضات الله على خلقه ؛ بما حفُلت به من أيام مباركاتٍ ، وهى أيام التروية وعرفة والأضحى ، إذ ينعمُ فيها عبادُ الله المؤمنون من حُجاج ومقيمين برحمة الله تعالى فى ظل ما ينهضون به من تكبير وتحميد ، وتسبيح وتهليل ، وطلب للتوبةِ والمغفرة .

١- كيف عرضت بداية سورة الفجر لهذه الأيام العشر بلياليها:

قال تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[١] والفجر المراد به فى هذه الأيام هو فجر يوم عيد الأضحى ، وقيل فجرُ أول يوم من المحرم ، والليالى العشر هى عشرُ ذى الحجة ، والشفعُ يوم النحر ، والوترْ يومُ عرفة ، وعن جابر رضى الله عنه عن النبى- ﷺ - قال : "إن العشر : عشر الأضحى ، والوترَ يومُ عرفة ، والشفعُ يوم النحر " [٢] .

فيوم عرفة وتر ؛ لأنه تاسعها ويوم النحر شفع ، لأنه عاشرُها ، وقيل: الشفع والوتر الصلاة ففيها شفع وهى الثنائية والرباعية ، وفيها وترٌ وهى الثلاثة ، وقال ابن عباس: الشفع صلاة الصبح والوترْ صلاة المغرب ، وقيل إن الشفع . عشر ذى الحجة ، والوتر أيام منى الثلاثة ، وقيل إنها أى الشفع والوتر هى الخلْق قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[٣] مثلُ الكفر

---

(١) سورة الفجر : الآية / ٤ .

(٢) رواه أحمد فى مسنده .

(٣) سورة الذاريات : الآية / ٤٩ .

والإيمان والسعادة والشقاوة والرجل والمرأة وغيرهما ، ففى ظل هذا البيان المتسع للمراد من هذين اللفظين ، تعظم القيمة ويتجلى الخير فيهما ، خاصة ما يرادُ من الوتر وارتباط هذا الإطلاق على ذات الله تعالى ، الذى يستشعر المؤمنون عظمته فى هذه الأيام ، خاصة الحجاج والعمار ، الذين أقبلوا على بيته ، إحراماً وطوافاً وسعياً إلى سائر المناسك ، ففى الصحيحين من رواية أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله- ﷺ - أنه قال : " إن لله تسعةً وتسعين اسْماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة ، ووترٌ يحب الوتر " ويتسع المعنى فى هذه الليالى العشر ، وما تشمله من شفع ووتر : أى زوج وفرد ، فيكون الله تعالى قد أقسم بجميع مكونات تلك الفترة الزمنية ، بما فيها من أيام وليال لشغل عباد الرحمن لها بذكر الله تعالى .

ويصل البيان القرآنى إلى المُقْسم به الخامس وهو " والليل إذا يَسْر " أى يَسرِى ويمضى لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾[1] وبعد أن أقسم الله تعالى بالليالى العشر على وجه الخصوص ، أقسم بالليل على عموم إطلاقه ، تلك هى بداية سورة الفجر ، وما تشمله من دلالات زمنية على عبادة الله ، فقد رُوى عن النبى- ﷺ - أنه قال : " من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غُفر له ، ومن قرأها فى سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة " [2] وقد ذكرت السورةُ بعد ذلك بعض المتمردين فى عباداتهم بما يجب على كل مؤمن أن يتغظَ بما كان من شأنهم وسائر تجاربهم .

---

(١) سورة المدثر : الآية / ٣٣ .

(٢) رواه الزمخشرى فى تفسيره ، وقال ابن حجر: رواه الثعلبى، وابن مرداوية ، والواحدى .

وقد نبه الرسول – ﷺ – إلى قيمة العمل الصالح فى الأيام العشر الأولى من ذى الحجة بلياليها ، وذلك لما يندرج تحتها من أيام : التروية وعرفة والنحر ، وقد ثبت عن الرسول– ﷺ – قوله : " ما من أيام العملُ الصالحُ أحبُّ إلى الله فيهن من هذه الأيام – يعنى عشرَ ذى الحجة .

قالوا : ولا الجُهادُ فى سبيل الله ؟

قال : ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجلا خرجَ بنَفْسهِ وما له ، ثم لَمْ يرجعْ من ذلك بشيئ " [(١)] .

٢– خصائص العبادة فى يوم عرفة للحجاج والمقيمين ويوم الأضحى .

يُشغل الحاجُ فى يوم عرفة بالوقوف على ثراها مُلبياً ومكبراً لله تعالى ، ومتأملا فى أحداث الكون ، منذ عهد إبراهيم وولده إسماعيل وسائر الأحداث، فقد رأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبحُ ابنه إسماعيل ، وكان ذالك فى اليوم الثامن من ذى الحجة ، فتروّى فى ذلك الأمر فسميت ليلة التروية ، ولما رأى نفس الرؤيا فى اليوم التالى عرف أنها رؤيا حق فسميت ليلةَ عرفة ، والوقوف فى هذا اليوم على أرضها هو الركن الأعظم فى الحج لقول الرسول – ﷺ – " الحج عرفة " [(٢)] .

والصوم من بين الأعمال المستحبة للمقيم (غير الحاج) قال رسول الله – ﷺ – : " صيام يوم عرفة إنى احتسبه على الله أن يكفر السنة التى بعده ،

---

(١) رواه البخارى – كتاب العيدين – .

(٢) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة .

والسنة التى قبله[١] .

وتكتمل الأيام العشرةُ بيوم النحر حيث يبدأ رمى الجمار للحاج فى أرض مِنى المباركة ، وما يتبع ذلك من سائر المناسك ، أما المقيم فيهرع من الفجر إلى التكبير والتحميد ، ويشارك سائر المؤمنين فى صلاة العيد ، والعودة إلى المناسك لنحر الأضاحى ، وتوزيع الصدقات وتهنئة الأقارب والأصدقاء وسائر المؤمنين بعيد التضحية والفداء .

---

(١) رواه مسلم والترمذى .

٤- الالتزام باشتراطات الأضحية وآدابها

يحرصُ عبادُ الرحمن على الالتزام باشتراطات الأضحية ، ومراعاة الآداب التى حضّت عليها السنة المحمدية فى هذه العبادة ، التى تعودُ بمرجعيتها إلى خليل الرحمن عليه السلام ، وأكدّ رسولنا الكريم - ﷺ - مشروعيتها ، وذلك بالدعوة إليها والقيام بها .

١- حكمة مشروعية الأضحية :

لقد كانت رؤيا خليل الرحمن بذبح ابنه إسماعيل اختبارا وابتلاء لعزيمة الوالد ، وصبر الابن إلى أن كان الفداء بذبحٍ عظيم وجاءت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام بتشريع وثيق بما كان فى عبادة إبراهيم بأرض مكة ، حيث توجد الكعبة المشرفة ، وأكد القرآن الكريم هذا الترابط بين الديانتين خاصة فى فريضة الحج إلى بيت الله ، وما يكون فيه من النسك ، ومنها الهدى فى منى ، والأضحية لسائر المقيمين من غير الزوار والعمار ، وجاء الخطاب القرآن فى هذا الشأن بقول الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1] .

والكوثر هو الخير الكثير ، أو نهر فى الجنة :

وقوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ أى داوم على الصلاة ، خالصة لوجه الله تعالى ، وانحرْ البُدْنَ ، التى هى خير أموال العرب ، والصلاة الملائمة للبيان هنا هى صلاة العيد ، كما أن النحر للأضحية، و﴿إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ أى إن من أبغضك ، و﴿ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ أى الأقطع الذى لا عَقِب له .

---

(١) سورة الكوثر : الآيات / ١ - ٣ .

وروتْ السيدةُ عائشةُ من الهَدْى النبوى قولَ الرسول – ﷺ – : " ما عمل آدمى من عملٍ يومَ النحر أحبَّ إلى الله من إهراق الدم ، إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وإشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض ، فِطيبوا بها نفساً " (١) وكان الرسول حريصاً على عموم هذه السنة المؤكدة ، بَدْءاً من آل بيته ، وتواصلاً مع سائر أصحابه ، هؤلاء الذين يمثلون الأنوار المضيئة لجماعات عباد الرحمن فى بداية الدعوة الإسلامية ، وقد تجلى ذلك فى الحديث الذى قال رسول الله– ﷺ – فيه : " يا فاطمةُ قومى إلى أضحيتك فاشهديها فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك ، قالت يا رسول الله : ألنا خاصةً أهل البيت . أو لنا وللمسلمين ؛ قال بل لنا وللمسلمين (٢) .

ذلك أن هذه العبادة تشيع البهجة فى الناس جميعاً ، وقد شدَّد رسول الله– ﷺ – فى خطاب الدعوة إلى مَنْ يملكون القدرة على التضحية أن ينهضوا بهذه الفريضة ، إذ روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله– ﷺ – قال : " مَنْ وَجَدَ سِعة لأن يضحى فلمْ يُضحِّ فلا يحضر مصلانا" (٣) .

وقد بدأ الرسولُ– ﷺ – التضحيةَ بنفسه ، وعن آل بيته وعمن لم يضحْ من المسلمين ؛ ليتأكد الترابطُ بين القول والفعل ، وتأسيس القدوة لأمته ، فعن أنس رضى الله عنه قال : " ضحَّى النبى– ﷺ – بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده ، وسمَّى وكبرَّ ، ووضع رجله على صفاحهما " (٤) .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه البذار وغيره .

(٣) رواه الحاكم .

(٤) رواه الخمسة – ومعنى وضع رجله على صفاحها:أى وضع رجله على جانب العنق الأيمن من الذبيحة ، وأمسك بيساره رأسها ، وبيمينه السكين بعد إلقائها على الجانب الأيسر .

٢- أهم اشتراطات الأضحية :

لقد أفاض الفقهاء فى بيان اشتراطات الأضحية المجزئة ، وكيفية توزيعها بما يحفظ حقَّ الفقراء والمحتاجين فى أن يشاركوا سائر المسلمين فى الفرحة والبهجة بالعيد ، والتى تتجلَّى فى تناول ما يشاءون من لحوم الأضحية، وبحيث يتساوى فى هذا الشأن الأغنياءُ والفقراء ، ومن بين الاشتراطات لذلك أن تكون الذبيحةُ سليمةً غير معيبة بعرج أو عور أو مرض أو هُزال ينعكس تأثيره على جَوْدة اللحم، وتتحقق الأضحية فى أربعة أصناف هى : الإبل والبقر والغنم والمعز ذكورها وإناثها ، وتجزئ البقرة والبَدَنة عن سبعة مضحين ، والشاة عن واحد ، والفرد فى ذلك عن نفسه ، وعمن يعول ويقسم اللحم أثلاثاً ثلث للمضحى وأهل بيته ، وثلث للإهداء ، وثلث للتصدق، أما وقت الذبح فهو من بعد صلاة العيد ، ويجوز فى اليومين الثانى والثالث بعد العيد ، وقيل بجوازها فى اليوم الرابع (أى ثالث أيام التشريق) ورَوى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال النبى- ﷺ - من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه ، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه ، وأصاب سنة المسلمين "[١] .

وكلما وجد المسلم سعة من المال بما يتيح له فرصة الاختيار والانتقاء فإن الأنسبَ له أن يقتدى بالرسول- ﷺ - إذ استُحبَّ فى الأضحية أن تكون كبشا أقرن ، فحْلاً أبيض يخالطه سواد حول عينيه وفى قوائمه ، ذلك أن الأضحية تخضع لحالة المضحى من حيث السعة وعدمها .

٣- آداب الأضحية :

إن الالتزام بسنة رسول الله – ﷺ – شرط لتحقيق العبادة بالصورة المثلى،

---

(١) اللفظ للبخارى من كتاب الأضاحى (٥٥٦٤) .

فذلك أدعى إلى الفوز برضا الله سبحانه وتعالى ، فمن السنة أن تُذكر التسمية عند الذبح، مع الصلاة والسلام على رسول الله وأن يقول الذابح : " إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين(١) ، وأن يقول أيضاً : " اللهم هذا منك وإليك فتقبل منى " كما أن من السنة أن يريح الذابح الذبيحة ، فقد روى شداد بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله- ﷺ - : " إن الله كتب الإحسان على كل شئ ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحدَّ أحدُكم شفرته وليرحْ ذبيحته " (٢) .

ذلك هو أدب الإسلام الذى يتجلى فى الرفق بالحيوان ، خاصة فى ذبح الأضحية ، وسائر العبادات التى يتطلب فيها ذلك ... والله أعلم .

---

(١) دعاء مقتبس من القرآن الكريم .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

٥- الرسول - ﷺ - بين أصحابه

لم يعشْ الرسول- ﷺ - حياته فى الإسلام وحده ، بل كان إماماً موجهـا لجماعة من أهل مكة ، كان أكثرهم من الضعفاء الـذين لا حـول لهـم ولا قـوة ، ولما بدأت الدعوة سرا كـانوا حريـصين علـى أن يتعلمـوا منـه ، ويـسيروا علـى نهجه ، وينشروا رسالته بالحسنى ، فى نطاق الدائرة المحـددة ، التـى كـانوا يتحركون داخلها .

١- أبرز صفات الرسول وهو بين أصحابه :

لقد تحدث القـرآن الكـريم عـن محمـد- ﷺ - نبيـا ورسـولاً جـاء هاديـا ومبشرا وداعيا إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، وقد نبعت رسالته مـن أمـرين هما القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، التى بقيت خالـدة مـع القـرآن الكـريم وسوف يبقيان نُورا وضـياءً للبـشر ؛ لأن تلـك هـى طبيعـة الرسـالة الإسـلامية الخالــدة ، قــال الله تعــالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[(١)] وفى أمر الـسنة النبويـة بهـذا الـشأن أوضح الرسول ذلـك فقـد روى أبـو هريـرة – رضـى الله عنـه – أن رسـول الله- ﷺ – قال: " إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتـاً فأحْـسَنَهُ وأجملَـهُ إلا مَوْضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويَعْجَبُون له ، ويقولـون : هلا وُضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين [(٢)]" . ولذا تكثر

---

(١) سورة الأحزاب : الآية / ٤٠ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

الجوانب التى اتصف بها – ﷺ – إذ أن حياة الدعوة الإسلامية تفوق قدرة إنسان على إبراز أخلاق هذا النبى الأمىّ ، الذى أُوتى مع أميته جوامع الكلم، وعاش جزءاً من طفولته المبكرة خارج ديار أهله ، وتربى يتيماً ، واكتمل يتمه بوفاة أُمِّه فى السادسة من عمره ، وانتقلت كفالته من الجد إلى العم إلى أن كبر ورعي الغنم ، وشارك فى التجارة ، وتزوج وأنجب ، وصار مشهوراً بالأمانة بين قومه وأقرانه .

ولما هاجر لم يكن وحده فى الهجرة ، ذلك الحدث العظيم ، الذى انتقلت به رسالة الإسلام إلى نطاقات أوسع خارج مكة المكرمة ، وعاش فى المدينة بين أصحابه يعلمهم القرآن والحكمة ، وينشر أنوارَ الدعوة إلى النساء ، اللائى بَدَأنَ المشاركة فى تبليغ الرسالة فى حدود المتاح لهن من الإمكانات والوسائل التى تعينُهُنَّ على النهوض بما كُلِّفُوا به دَون خروجاتٍ على طبائع المجتمع العربى إلى زمن تلك الحقبة ، وكان التحول فى العبادات والمعاملات بهدف تغيير النفوس والتوجهات ، التى كانت الشُّغْلَ الشاغل للرسول وأصحابه فى سنوات الإقامة بالمدينة ، واقتضت متطلبات الدعوة آنذاك أن يتزوج بعدد من النساء ، بعد وفاة زوجته الأولى فى مكة ، وكان عمره يقترب من الستين إلى أن تجاوزها وتُوفى– ﷺ – وترك لأصحابه استكمال رسالته خارج نطاقات جزيرة العرب ، وتجلى حُبُّه لأصحابه القريبين منه والبعيدين عنه ، وسَرَى نورُ هذا الحب النبوى بين أصحابه فقال– ﷺ – : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (١) .

---

(١) رواه البخارى عن أنس بن مالك – ورواه الترمذى والنسائى .

كما حَضَّ أصحابه على أداء الخير والمودة إلى أهاليهم وذراريهم فقال عليه الصلاة والسلام : " خيرُكم خيرُكم لأهله وأنا خيرُكم لأهلي " [١]

٢- أبرز معالم قدوة الرسول لأصحابه :

كانت قلوب الرسول في بدء الدعوة كالأرض الميتة ، التي تشتاق للماء فترتوي وتنبت فيها الزروع والثمار ، ومن هنا كان احتياجهم للعلم والمعرفة بلا حدود ، فتعلقوا رضوان الله عليهم بهذا النور الجديد ، الذي كان يستقبل الوحي في كل المواقف ، التي تحتاج لكشف اللثام عنها ، وإنارة الطريق لها ونذكر في ذلك قول الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[٢] ولم تسلم رسالة نبينا من الأشرار والمعاندين الذين كانوا رافضين لهذه الأنوار الجديدة ، ولكن أمر قيادتهم وإعلانهم بالإسلام لم يكن سهلاً ، فووجهت الدعوة بعنادهم ، ولكن النصر كان للرسول وأصحابه الذين كانت آمالهم موجهة إلى بعث أنوار الإسلام إلى سائر البشر ، ولم تكن لديهم أطماع في نفوذ وجاه وثروات وسلطان ، اقتناعاً وحرصاً على بعث النبي لتلاوة آيات الوحي وتعلم الحكمة ،وفصل الخطاب،وذلك بعض ما كان مستهدفاً من رسالته، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣] .

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة .

(٢) سورة المائدة : الآية / ١٥ .

(٣) سورة البقرة : الآية / ١٢٩ .

٣- أبرز الملامح والخصائص لعلاقة الرسول بأصحابه :

كانت علاقة الرسول بأصحابه واضحة المعالم ، مشتملة على أبرز الصفات التى يتحلى بها الرسول القائد ، الذى خاطبه ربه وزكاه ، وقال له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾(٢) .

وذلك بعض ما ورد فى القرآن الكريم عن هذا الشأن ، وكان حقا ماثلاً فى تقدير الرسول لأصحابه ، الذين كانوا هداة راشدين لمن جاءوا بعدهم وساروا على منهاجهم، وأقر الرسول بهذا الدور المنوط بهم ، فكان الحال أن يُوصى بهم ويدعوا إلى تقديرهم والاعتراف بما كان لهم من فضل فى مسيرة الدعوة الإسلامية فقال- ﷺ - لا تسبُّوا أصحابى ، فلو أن أحدَكم أنفقَ مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه " (٣) .

لقد أدب الرسول أصحابه بأدب النبوة فأحسن تأديبهم، وكان قدوة وإماماً لهم ، ورحيما وعطوفاً عليهم ونصَحَهُمْ بكثير من الآداب الإسلامية فى الطعام والشراب وقبول الدعوات والعطف على اليتامى والفقراء والتراحم مع المساكين والضعفاء ، ومعاشرة الأزواج للزوجات بالمعروف وأداء النصيحة للآخرين، والتوجه إلى العمل واكتساب الرزق ، والتعفف عن سؤال الناس تلك هى بعض المعالم الإيمانية، التى تحلى بها رسول الله وساقها إلى أصحابه رضوان الله عليهم جميعا .

---

(١) سورة القلم : الآية / ٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ١٥٩ .

(٣) رواه البخارى - والمراد بالمد الفضل والطول ، وهو فى أساسه مكيال معروف ، والنصيف هو النصف .

٦- تجليات الوفاء فى حياة الرسول - ﷺ -

الوفاء خُلق إسلامى فريد ذكره القرآن الكريم ، وطبقه الرسول - ﷺ - فى أفعاله الخالدة، وتجسَّد فى سلوكيات الكثيرين من أصحابه ، الذين رأوا أن الإسلام نقلة حضارية فى تاريخ البشر، يستلزم أن تنعكس سلوكياته على الناس جميعاً ؛ لأن الحياة أخذ وعطاء ، فالمسلم قليل بنفسه كثير بإخوانه، فى الأفراح والأتراح، وسائر تصاريف الحياة .

١- تعدد معانى الوفاء

إن الوفاء من الأخلاق الإسلامية التى ينبغى الحرص عليها، والتمسك بها فى كل زمان ومكان؛ لأن متغيرات الحياة وخصائص البشر تَلْزِم أنْ يتعامل الإنسان مع غيره من الناس ، وهذا ما يتجلى فى عباداتٍ وأخلاقٍ إسلامية كثيرة، مثل الزكاة والصدقة والتعاون على الخير والقرض الحسن، وأن التفعيل لهذه الأخلاق بصورة إيجابية يعطى لوناً وطعماً مختلفاً للحياة .

وخُلق الوفاء يدل على الإكمال والإتمام ، ويعنى ملازمة طريق المواساة ، وعدم التخلى عن الآخر، وهو ضد الغدر ، وأنه من الأخلاق الشريفة العالية التى تسمو بها النفوس إلى درجة عالية من الشفافية والصدق والإخلاص .

وللوفاء أحوال كثيرة مثل الوفاء بالعهد ، وبالوعد ، وبالنذر ، ويكون — أى الوفاء — من إنسان إلى آخر ، قدم الثانى للأول معروفاً وبرّاً ، فيكون الرد صلة ومودة ، وإقراراً بالواجب ، وفاءً وإحساناً .

والوفاء الذى نعنيه هو الحفاظ على حق الآخر ، وصيانة اعتباره ومراعاة غيبته ، وعدم خيانته ، كما يتجلى الوفاء أحياناً فى العطف على من

كان صديقاً وفياً ، ثم تعثرت قدماه فى دروب الحياة ، أو لحقه هم أو عجز أو دَين أو مرض ، أو اغتراب يجعله بعيداً عن بعض لوازم الحياة ، فإذا وصل الحال إلى ذلك وجب أن يكون التصرف الإيمانى والسلوك الإيجابى من الراغب فى الوفاء بهذه الحقوق نهوضاً بما يجب فعله فى ظل هذه المتغيرات، التى لحقت بذلك الإنسان ، ويكون هذا التجاوب الحميم هو الوفاء الإيجابى المتميز الذى ينبغى فعله ؛ لمقاومة أحداث الزمن وعواصف الحياة، فالوفاء الذى نقصده وسبق التنبيه له هو الخلق الذى ربما يتوارى عن سلوكيات كثير من الناس، ولا يتحركون إلا بقوة دفع قد تنبع منهم أو من غيرهم .

وكان الشيخ محمد الغزالى عليه رحمة الله يذكر وفاء الأخ لأخيه، ولعله قد توسع فى إطلاق الأخوة فلم يقصرها على الأخ من النسب، وإنما امتد بها إلى الأخوة فى الإنسانية، وذكر أن وفاء الأخ لأخيه هو الثبات على حبه حتى الموت ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه .

ونوّه القرآن الكريم بفضيلة الوفاء وجعلها صفة لأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، فقال فى شأن إبراهيم ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [1] .

وقد جعل القرآن الكريم الوفاء صفة المؤمنين الأبرار قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ [2] .

وتلك هى بعض دلالات الوفاء بين الناس فضلاً عن الوفاءات الأخرى التى سبق بيانها .

---

(١) سورة النجم : الآية / ٣٧ .

(٢) سورة الرعد : الآيتان / ١٩ ، ٢٠ .

٢- نماذج من وفاء الرسول - ﷺ - مع الآخرين :

لقد تجلى الوفاء فى شخصية الرسول - ﷺ - فى حياته ، خاصة فى زمن القوة والقدرة على الإعطاء والمنح للآخرين، بما يتيح حفظ الود وصيانة المعروف، ورد الجميل على أفضل ما يكون الرد.

وقد ولد - ﷺ - يتيماً إذ مات أبوه وكان جنيناً عمره شهران فى بطن أمه ، ثم توفيت والدته بعد أن بلغ ست سنوات ، فتعاظم اليتم فى كيانه ، وتحركت به مسيرة الحياة إلى أن بلغ خمسة وعشرين عاماً ، فتزوج خديجة بنت خويلد وكان قليل المال ، وكان صادقاً وفياً فتاجر فى مال زوجته وحافظ عليه، وعلى صورتها فى المجتمع، وصانت له كيانه طوال حياتهما الزوجية، وكانت أول من آمن به من البشر ، وواسته بالمال دون طغيان على عزته وكرامته، وأنجبت منه البنين والبنات ، ثم لحقت بالرفيق الأعلى فى العام الذى مات فيه أبو طالب عم الرسول - ﷺ - وسُمى ذلك العام بعام الحزن، وبقى الرسول على مودتها معترفاً بجميلها ، فيذكرها بالخير ، ويثنى عليها بما هى أهله .

وذكر الرواة موقفاً كان يتحدث فيه عنها بعد وفاتها ، وإذ بالسيدة عائشة رضى الله عنها تغضب لأنوثتها ، كما تفعل كثير من النساء ، فتقول للرسول - ﷺ - وهى تقصد السيدة خديجة : "هل كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها ؟ " فقال " والله ما أبدلنى الله خيراً من خديجة، آمنت بى حيث كَفَرَ الناس ، وصدَّقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء " [١] .

---

(١) رواه أحمد والطبرانى .

وقدَّم الرسول – ﷺ – أعظم شهادة تقدير ووفاء لمن عاشت معه قبل الإسلام وبعده ، وقد كانت تكبره بسنوات عديدة ، لكنه لم يجعل لهذا الفرق أى تأثير فى نفسه ووجدانه .

لقد كان الرسول – ﷺ – أكثر الأوفياء عطفاً ووفاء على بعض النساء المغيبات تحت الثرى ، أو من فقدت زوجها أو عجزت عن كسب ، فكان سبّاقاً إلى حفظ الود ومراعاة سابق الجميل بما يعطى القدوة والمثل الطيب لسائر المسلمين .

لقد ولد – ﷺ – فقيراً ، وكان فى احتياج إلى مرضعة من خارج ديار قومه، كما هو الشأن فى أبناء القرى والمدن آنذاك ، حتى يحيا فى رضاعته بالصحراء امتداداً للسلوك الحادث قبل الإسلام ، وجاءت إليه حليمة السعدية فى جمع من النساء المرضعات، وقَبِلت به رضيعاً مع ابن لها، وأخذته إلى ديار قومها فعاش مع أبنائها، إلى أن استكمل رضاعته في بادية بنى سعد، وعاد إلى أهله فى مكة ، وسارت سفينة الحياة بشأن حليمة، وتغير الوضع الاجتماعى بالرسول، فجاءت إليه بعد زواجه في مكة ، واستعانت به على هموم الحياة، وكلم السيدة خديجة فى أمرها فمنحتها بعيراً وأربعين شاه؛ تقديراً للعلاقة الحميمة بين الرسول ومرضعته .

ثم وفدت إليه مرضعته حليمة مرة أخرى – ﷺ – بعد غزوة حُنين وكان الرسول – ﷺ – بالجعرانة يقسم لحماً فأقبلت إليه ، فلما دنت منه بسط لها رداءه فجلست عليه ، وقال الحاضرون هذه أُمُّه التى أرضعته، وقد وَصلَها الرسول – ﷺ – وأعطاها ما يعينها على متطلبات الحياة .

أما وفاء الرسول – ﷺ – مع حاضنته (أم أيمن) فقد تجلى فى مواقف عديدة بحق هذه المرأة التى ورثها الرسول – ﷺ – من أبيه، وبقيت معه إلى أن اعتقها حين تزوج خديجة رضى الله عنها ، وكانت بركة والتى تكنى بأم أيمن قد تزوجت عبيد الحبشي وأنجبت ابنها الذى كنيت به، وكانت من النساء المجاهدات ، وهاجرت من مكة إلى المدينة سائرة على قدميها ، وشهدت خيبرَ مع الرسول – ﷺ – وكان يقدرها ويحنو عليها ويحبها حباً شديداً ؛ لحضانتها له وعطفها عليه فى طفولته ، ولما مات زوجها أراد الرسول – ﷺ – أن يزوجها فقال – ﷺ – " من أراد أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن " وهذه شهادة لها بالجنة فتزوجها زيد بن حارثه،وذكر المؤرخون أن النبى – ﷺ – كان يداعبها ويضاحكها فقالت له يوماً (احملنى) يعنى أنها تطلب منه دابة تركبها :

فقال – ﷺ – : " أحملك على ولد الناقة " .

فقالت : يا رسول الله " إنه لا يطيقنى ولا أريده "

فقال – ﷺ – " لا أحملك إلا على ولد الناقة "

يعنى أنه كان يمازحها، وكان رسول الله – ﷺ – يمزح ولا يقول إلا حقاً [(١)] ، وقد أفهم الرسول – ﷺ – أم أيمن سرَّ الممازحة، وذلك أن الإبل كلّها ولد الناقة ، فالجمل صغيراً أو كبيراً ابن الناقة .

أما الوفاء بين الرسول وأبى بكر الصديق فيتجلى فى مواقف كثيرة ، منها ما كان بين الرسول وصاحبه عند الهجرة ، وفى المبيت بالغار ، وفى

---

(١) رياض الصالحين ص١٥٤ .

السفر إلى المدينة ليلاً ونهاراً ، وتوثقت العلاقة بينهما فى حياتهما معاً بالمدينة ، وزواج الرسول – ﷺ – من عائشة بنت أبى بكر، وقد تقدم أبو بكر بكثير من الخير والتصديق للرسول – ﷺ – دون انتظار لعوض أو ردٍ من أى نوع لعطاءات الصديق رضى الله عنه .

ولم يغب كل ذلك عن ذاكرة الرسول فأشاد بالصديق فى مواقف عديدة يعلن فيها – ﷺ – عن خلق الوفاء، الذى ينبغى أن يشمل العلاقات بين الناس وقال فى شأن أبى بكر " ما أحد أعظم عندى يداً من أبى بكر وآسانى بنفسه وماله ، وأنكحنى ابنته " [١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله – ﷺ – " ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر، قال : فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله ، هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله ؟ [٢].

كان الوفاء فى حياة الرسول – ﷺ – خُلقاً إسلامياً متجسداً فى علاقاته بأصحابه من الرجال والنساء ؛ لكى يقتدى به المسلمون، وينتقل بالأقوال المرسلة إلى حيز الأفعال الإيجابية المؤثرة فى بناء المجتمع الإسلامى ، ونذكر يوم أن جاء نصر الله والفتح المبين ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، وتحطمت الأصنام من حول الكعبة ، وانتظر القرشيون فى حيرة عما تسفر عنه الأحداث، ثمَّ أخذهم العجب، وهم يستمعون إليه فى كلمته المشهورة، التى ما

---

(١) أخرجه أحمد وأبو حاتم وابن ماجة .

(٢) رواه ابن ماجة وأحمد بن حنبل .

زال صداها يرن فى أذن الماضى والحاضر ، قال " يا معشر قريش ما تـرون أنـى فاعل بكم ، قالوا " خيراً أخ كريم وابن أخ كريم " .

قال " فإنى أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: " لا تثريب علـيكم اليـوم " اذهبوا فأنتم الطلقاء"[١].

ما أحرى المسلمين أن يحسنوا الاقتداء برسول الله – ﷺ – وأن يحرصـوا على تفعيل خلق الوفاء بيـنهم بـالتراحم والـذكر الحـسن ، والكلمـة الهادفـة، وإسداء المعـروف ونـشر المحبـة، وعـدم الكراهيـة والعمـل بكتـاب الله وبـسنة رسوله – ﷺ – والانتقال بالوفاء من نطـاق المنظومـة الأخلاقيـة بـين الأفـراد؛ لتشمل سائر العلاقات بين الجماعات التى تدين بأخلاقيات الإسلام ، إذ يجـب عليها – فى سائر الأحوال – أن تلتزم بخلق الوفاء بالوعـد وبالعهـد وبالنـذر، وبكل ما يحقق الهدوء والمحبة والعمل بالقرآن الكريم وسنة رسول الله – ﷺ –

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) رواه البيهقى .

٧- الكلمة أمانة (حديث للرسول - ﷺ -)

١- إضاءة :

تعد الكلمة أصدق الدلالات على شخصية الإنسان ، إذ يبدو من خلالها على حقيقته التزاماً وانفلاتاً ، وإن الرجل مخبوء تحت لسانه، ولا يراه الناس على طبيعته إلا إذا تحدث ، ولذا جاءت دعوة الإسلام مباشرة فى حتمية ضبط المؤمن لكل ما يقول ، فإن بعض الكلمات القليلة يمكن أن تصلح أحوالاً كثيرة ، كما يمكن للكلمة الشريرة أن تجلب عداوات ومكاره لا أول لها ولا آخر .

٢- الحديث : عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: "قلت يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: "أمسك عليك لسانك،وَلْيَسَعْكَ بيتك،وابك على خطيئتك"[(١)] وقد بدأ هذا الحديث من سؤال الراوى إذ قال : ما النجاة ؟ أى ما الطريق لنجاة المسلم ، وأن كل باحث عن النجاة لابد له من ضبط معرفته لطرقها وسائر دروبها كقول الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلكْ سالكهَا ∴ إن السفينة لا تجرى على اليَبَسِ

وأن من بَيْن طُرق النجاة إحكام الإنسان لكلامه ، وذلك بضبط لسانه ، فمنه تخرج الكلمة الطيبة ، التى يجب على المسلم أن يبحثَ عنها ، ويلتزمَ

---

(١) رواه الترمذى (التاج الجامع للأصول جـ ٥ ص١٨٣ ، وقد ترجم المؤرخون وكتاب السير لأكثر من رجل باسم (عقبة بن عامر) ، ونعتقد أن راوى هذا الحديث هو أولهم واسمه عقبة بن عامر بن عبس ، الذى ترجم له ابن حجر فى الإصابة جـ ٤ ص٦٥١ ، وابن الأثير فى أسد الغابة جـ ٤ ص ٥٣ وقد روى كثيراً عن رسول الله - ﷺ - وهو غير عقبة بن عامر بن نابى .

بها ، وأن يعمل بمضمونها ، الذى يحقق له توفيقاً وهداية فى عبادته لربه ، وفى علاقاته بسائر الناس ، وهذا هو مضمون الأمر ومحتواه فى الجملة الأولى بالحديث وهى : " أمسك عليك لسانك " كما أن كلمة (أمسك) تعطى مزيداً من وجوب سيطرة الإنسان على هذا العضو الذى يعد أخطر الأعضاء ، التى وهبها الله للإنسان ؛ لكى يحقق بها الخير ، وينوء بها عن الشر ، ففى الإمساك تأكيد لهذا التحكم ذلك أن الإنسان عندما يقبض على الشيئ ممسكا به فإن سيطرته عليه تكون أقوى وكذلك الشأن فى الكلام باللسان .

وقد شرف الله الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم ، وهو معجزة الله للرسول- ﷺ - فكان بدء نزوله بكلمة (أمر) للمصطفى- ﷺ - وهى (اقرأ) ذلك أن القراءة تكون غالبا باللسان ، الذى يجب على الإنسان أن يتحكم فى حركته عند البوح بالكلام ، وهو العضو الذى يكشف عما هو مختزن فى القلب، ونذكر فى ذلك قول الشاعر:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما ∴ جُعل اللسانُ على الفؤاد دليلا

ولابد أن تكون الكلمة نورا يضئ طريق الراغبين فى الهداية والمعرفة ، ونذكر فى ذالك كلمة موجزة للأديب عبد الرحمن الشرقاوى رحمه الله [١] : "الكلمة نور وبعض الكلمات قبور : أى مظلمة وكئيبة، ولا تبعث على الأمل ، ولا تنير الطريق للسالكين ، وللكلمة الصادقة تأثير إيجابى فى إحقاق الحق وتفعيل العدل ، بمثل ما للكلمة الكاذبة من تأثير خارج ، وخطير فى إبعاد

---

(١) فى مسرحية الحسين ثائرا .

المتحدث بها من زمرة المؤمنين إلى جماعة المنافقين ، ولهـؤلاء مخـاطر وشـرور يتجاوزون بها أعتى درجات الكفـر ، بمعنـى إمكانيـة أن يتحـول الكـاذب إلى شرير كاره ، ومعاند للإسلام .

إن استقامة القلب ترتبط باستقامة اللسان ، هذا الذى قال الشاعر فيه :

لسان الفتى نصف، ونـصف فـؤادُه ∴ فلم يبق إلا صورة اللحـم والـدم

وقد رُوى عن رسول الله- ﷺ - أنه قال : " إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء تفكر اللسان فتقول: " اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا " [(١)] وقد تحدث القرآن الكريم عن الكلمة الطيبة ؛ وشبهها بالـشجرة الطيبـة التـى ذكر القرآن الكريم أن أصلها ثابت وفروعها فى السماء، كما تحدث عن المقابلـة لها ، وهى الكلمة الخبيثة ، هذه التى يجب أن تجتث من فـوق الأرض ، فـلا يبقى لها قرار ، لا فى باطن الأرض ولا فـى ظاهرهـا ، وأن الكـذب فـى الـدين وفى غيره دلالـة علـى فـساد العقيـدة والأخـلاق ، قـال تعـالى : ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴾[(٢)] .

ولابد أن تكـون الكلمـة هادفـة ، ومثمـرة بمعنـى زيـادة قـدر المعرفـة ، وقيمتها عند الإنسان ، ومنع أى هلاك وإضرار يلحق بالفرد والجماعة ، خاصة إذا كانت مشبعة بالحكمة ، التى تتحقق بهـا الدعوة إلى الله مـن خـلال الموعظـة الحسنة ، ونذكر فى ذلك ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى- ﷺ - :

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) سورة النساء : الآية / ٥٠ .

" أنه قال لا حسد إلا فى اثنتين : - رجل آتاه الله مالاً فسلطته على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها " (١) .

والحسد فى الحديث بمعنى الغبطة والمراد منه : تمنى الإنسان بأن يكون لديه مثل ما عند الآخرين ، ومعنى قول الرسول : " هَلَكَتِه فى الحق " اى إنفاق المال فى سُبُل الخير . أما إبقاء الله الحكمة للرجل أى ليعمل بها ، ويدعو لتطبيقها على الناس ، وتعليمها للعباد .

وقد تحدث رسول الله- ﷺ - عن وجوب ضبط اللسان ، والتحذير من آفاته ، التى تُفسد كثيراً من صنائع الخير ، وتهدم المزيد من العلاقات الأسرية والاجتماعية وغيرها ، ومناطُ الأمر فى ظل هذه الأحاديث هو البوح بالصدق ومجانبة الكذب .

٣- تكملة المراد من الحديث : وأما قول رسول- ﷺ - فى الحديث المذكور أولاً : " وليسعك بيتك " بمعنى أن البيت هو أفضل مكان لراحة جسم الإنسان ، وتحقيق المصلحة لأهله ، فإن الخروج لغير عمل أو هدف شرعى ، أو مصلحة اجتماعية يمكن أن يتحرك اللسان أثناء ذلك بما يفسد ويضر ، أما البكاء على الخطيئة . فهو إحساس وتعبير عند الندم ، ذلك أن البكاء من الإنسان بصدق وبلا زيف يمكن أن يكون سبيلاً للتصالح مع البشر ، ولتأكيد الرغبة فى الإقبال على الله ، وتليين طيبٍ لقسوة القلب ، وترغيب آمن للبحث عن النجاة ... والله أعلم .

---

(١) رواه الشيخان والترمذى .

٨- إتقان العمل (حديث للرسول - ﷺ -)

لقد دعا الإسلام سائر الناس جميعاً إلى السعى نحو العمل الجاد فيما يخص الدين والدنيا ، إذ لا يليق بالإنسان أن يتخاذل ويتكاسل ويقعد عن مهامه فى الحياة ، ولابد أن يقترن العمل بالجودة والإحكام والإتقان ، وقد حضَّ الرسول- ﷺ - على وجوب إعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه .

وقد روى البيهقى فى شعب الإيمان عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله- ﷺ -: " إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه " (١) .

١- كيف أفاد هذا الحديث حتمية إتقان العمل :

إن كثيراً ممن يمارسون أعمالاً بمقابل مادى تتجه أفكارهم أولاً إلى ما سيحصلون عليه دون مراعاة لوجوب الإتقان والإحسان فى أداء الأعمال ، ولذلك يضطر كثير من أصحاب الأعمال إلى عدم ترك العامل يعمل بلا رقابة ومتابعة؛ لأن الغياب عن مشاهدة العامل سوف يسفر عن إهمال وتغافل عما يجب فعله من ناحية جودة العمل وإتقانه ، وربما يظن المتلقى لما قاله رسول الله – ﷺ – فى هذا الحديث وذاك: أن القصد منصرف إلى الأعمال الدنيوية الذهنية والجسمانية ، فإصلاح آلة أو طريق ، وما شابه ذلك من الممارسات التى لها أصحابها المتدربون على إصلاحها ، ولكن الإتقان لا يقتصر على ذلك ، وإنما يمتد إلى مجالات أخرى تتعلق بعلاقة المسلم بربه، وبسائر خلق الله جميعاً.

---

(١) رواه البيهقى .

فالدعوة الإسلامية المحمدية تدعو إلى إتقان العمل؛ لأن الإتقان أصل ثابت فى الخلْق هؤلاء الذين أبدع المولى سبحانه وتعالى فى خلقهم وتنشئتهم، كما قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] .

وفى الآية دعوة للتأمل والتدبر فى الجبال الجامدة المستقرة فإنها مرتبطة بحركة عامة فى الكون لا يدركها إلا الخبير بها المسيطر عليها ، فصنع الله خاضع للإتقان والإحكام، الذى يعجز البشر عن الإحاطة ببعض بواعثه وأسراره .

٢-عدم توقف الإتقان للأعمال فى حق البشر عند حدود معينة:

إن الإتقان فى حق البشر لا يتوقف عند حدود معينة ، ولكنه يتجاوز هذا النطاق الضيق إلى عوالم رحبة فسيحة فالإتقان فى الصلاة بمعنى استيفاء أركانها ، وشروطها وما يتعلق بها ، كما أن إتقان العبادة فى حالات أعظم وأوسع لا ينهض به إلا الأقوياء المدعومون بحراسة الله الشاملة لسائر مكوناته فى الأرض والسماء .

وتتسع دوائر الإتقان إلى استيفاء الكيل والميزان فيما بين البشر قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾[2] .

ويصل الإتقان فى بعض أحواله إلى الالتزام بما أقره علماء التلاوة والتجويد فى حق القرآن الكريم ، وقد ذكر الدكتور أحمد الشرباصى – رحمه الله – كلمة طيبة فى هذا الشأن قال فيها : "وهكذا ترى أن الدين يدعونا إلى

---

(١) سورة النمل : الآية / ٨٨ .

(٢) سورة الرحمن : الآية / ٩ .

الإتقان في كل مجال من مجالات الحياة ، يدعونا إلى الإتقان في التفكير ؛ حتى لا نعتقد إلا ما كان حقاً وصواباً ، وإلى الإتقان في القول ؛ حتى يكون كلامنا طيباً رشيداً ، وإلى الإتقان في العمل ؛ حتى يكون سليماً نافعاً ، وإلى الإتقان في العبادة ؛ حتى تكون خالصة طاهرة ؛ وإلى الإتقان في السلوك ؛ حتى تكون نمانج طيبة للإنسان الفاضل في هذه الحياة " [١] .

٣- المستفاد من هذا الحديث :

إن الإتقان خلق قرآني وأدب إسلامي ذكره القرآن الكريم ، وأكده الرسول - ﷺ - والإنسان المسلم عندما يعمل عملاً بلا إحكام وإتقان فإنه يقدم نماذج سلوكية لا تصلح لتقدم الطبيعة الرشيدة والخلق الحكيم، وإنما يجب أن يكون كل تصرف إنساني ، سواء أكان عملاً دينياً أم دنيوياً خاضعاً للإحكام والإتقان، وبحيث يكون هداية وإضاءة ونبراساً يحرص عليه ويلتزم به سائر الناس جميعاً ، ولا قيمة لأى عمل يتم فعله بلا إتقان ، لأن ذلك سيكون مضيعة للجهد والوقت ، والله يحفظنا ويهدينا إلى سواء السبيل .

---

(١) الدين والمجتمع – د/ أحمد الشرباصي – ص١٠٤ طبع دار النصر للطباعة والنشر .

القسم الثالث

الأخلاق الإسلامية

وأثرها فى التماسك الاجتماعى

١- التعفف .

٢- التبشير بالخير .

٣- الاعتدال فى مخالطة الناس .

٤- قضاء حوائج الناس .

٥- الإصلاح بين الناس .

٦- اجتناب النزاع والشقاق .

٧- اجتناب قتل النفس البشرية .

٨- مقاومة الإشاعات الكاذبة .

٩- السماحة فى البيع والشراء والتقاضى .

١٠- أدب الجلوس مع الآخرين .

١١- البر بالوالدين .

١٢- الإحسان إلى الوالدين .

١٣- الحرص على ضبط النفس .

١٤- صلة الأرحام .

١٥- إعطاء الحقوق لذوى القربى .

١٦- ضبط الكيل والميزان .

١٧- ضوابط الصداقة فى الإسلام .

١٨- تقدير العلماء .

١٩- الحفاظ على الأسرار .

٢٠- إحسان الوجه للناس جميعا .

٢١- حسن معاملة الضعفاء من البشر .

٢٢-اتقاء الفتن .

٢٣-حب الوطن .

٢٤- الحفاظ على أمن المجتمع .

٢٥-الحفاظ على الممتلكات العامة

٢٦-الاعتراف بالذنب .

٢٧-التلطف فى الأقوال والأفعال .

٢٨-المحافظة على الأعراض .

٢٩- محبة الأخ لأخيه .

١- التعفف

التعففُ عن الشيئ تركه والابتعادُ عنه ، وذلك بالسيطرة على شهوات الجسد ، بحيث يتحكمُ الإنسانُ في غرائزه ، ويثقُ في نفسه ، ويعتزُ بذاته ، ويحرصُ على كرامته ، فلا يفعلُ أو يقولُ ما يمكن الاستعفافُ عنه ؛التزاماً بضوابط المنهج الإسلامى للحياة .

١- أبعاد التعفف عن شهوات الجسم

إن التعفف في الإسلام ارتقاءٌ بالأخلاق الإنسانية إلى درجات عليا تتجاوز حدودَ رغباتِ الإنسان وشهواته بحيث ينتصر على غرائزه ، ويقوى وعيه الإيمانى، وتحيا روحه المطمئنة فى اقتراب وتواصل مع ذات الله العلى القدير .

وأولُ ما يمكنُ التواصلُ معه لبيان معنى الاستعفاف الحسى قول الله تعالى ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[1] أى ليطلبِ العفة عن الفاحشةِ من لا يجدُ ولا يملِكُ الاستطاعة ، ومعنى : " حتى يغنيهُمُ الله من فضله" أى حتى يرزقهم رزقاً حسناً ، يتمكنون بسببه من إتمام النكاح باشتراطاته المحددة .

ونذكر فى هذا الشأن قصة الشاب الذى جاء إلى النبى – ﷺ – يطلبُ منه الترخيص له بالزنى ، فصاح الناس ، فقال رسول الله– ﷺ – : "كُفُّوا ، قَرِّبُوه ادْنُ، فدنا حتى جلس بين يدى رسول الله – ﷺ –، فقال له رسول الله– ﷺ –: " أتحبُّه لأمك " ؟ قال: لا ، قال : " وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم " ،

---

(١) سورة النور : الآية / ٣٣ .

أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، قال : "وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك ؟ قال : لا ، قال : " وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم ، أتحبه لعمتك ؟ قال : لا ، قال : " وكذلك الناس لا يحبونه لعماتهم ، أتحبه لخالتك، قال : لا ، قال : " وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم ، فوضع رسول الله – ﷺ – يده على صدره وقال : " اللهمْ كفرْ ذنبه ، وطهرْ قلبَه ، وحصِّنْ فرجّه ، وجاء فى رواية أن الشاب قال : " والله ما إن قال الرسول ما قال ، حتى انصرفتُ عنهُ ، ولا شيئ أبغضُ إلى من الزنى "(١) .

وتأتى العفة فى صورة ملبس يمكن أن تتزين به المرأة التى لم تعدْ لديها رغبةٌ حقيقة فى النكاح ، لكبر السن من خلال الإعراض القوى ، الذى تسلكه تعبيراً عن زيادة عفتها وقوة إرادتها ، وذلك بعدمِ المبالغة فى إظهار الزينة ، التى تكون على ظاهر البدن ، كما فى قول الله تعالى : ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢)، ومعنى قوله: ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ أى يتركن وضع ثياب الزينة ، فذلك خير وأعف لهن .

٢- بعض حالات الاستعفاف الأخرى :

تتعدد صور الاستعفاف ، مثل الإعراض عن سؤال الناس عند الاحتياج إلى متطلبات الحياة ، كالأكل والشرب وسائر النفقات ، قال تعالى :

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ، والسيوطى فى الخصائص .

(٢) سورة النور : الآية / ٦٠ .

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (١) ، والمعنى : اجعلوا صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله ، أى حبسوا أنفسهم على الجهاد فلا يستطيعون ضرباً فى الأرض ، أى سفراً للتجارة والزراعة ، وأى رحيل لكسب الرزق ، ويحسبهم الجاهل بحقيقة أمرهم أغنياء ؛ لتعففهم عن سؤال الناس شيئاً ، ولعل فى هذه الآية ما يفضحُ سلوكيات المتسولين الذين يلحون فى الطلب احترافاً ، وربما يكونون غير محتاجين بهذا السؤال.

وتعرض آية ثانية لحالة أخرى من حالات الاستعفاف تلك التى جاء فى بعض منها قول الله تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (٢) ، والخطاب فى الآية لأولياء اليتامى ، هؤلاء الذين تتعدد أحوالهم ، فمنهم المتعففون الأغنياء، الذين لا يأخذون أجراً نظير وصايتهم على اليتيم وماله، أمّا إذا كان الأولياءُ فقراء فإنهم يأخذون بالمعروف أى بقدر احتياجهم الضرورى ، ولا تنتهى معانى التعفف عند المتطلبات الحسية الملموسة، وإنما تمتد إلى العفة المعنوية ، التى تتجلى فى عفة اللسان، فلا ينطق بالكلمات البذيئة والألفاظ الجارحة ، ويشمل هذا الحق عفة المشاعر والأحاسيس ، والنيات الطيبة والمقاصد النبيلة ، ومثل عفة الأذن فلا تسمع إلا

---

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٧٣ .

(٢) سورة النساء : الآية / ٦ .

كل طيب جميل ، وتبتعد عن مواطن السوء ، وما فيها من سب للأعراض واغتياب الآخرين ، والحديث بالنميمة عنهم .

وتصل العفة إلى العين فلا يوجّه النظر بها إلى المحرمات كالنظرة الشهوانية والنظرة الحاسدة، وغيرهما مما نهى الله عنه، وقد روى أبو بَرْزة ، أن النبى– ﷺ – قال : " إنما أخشى عليكم شهوات الغيّ فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى " [1] ، فالتعفف خلق إسلامي يرتقى به عباد الرحمن إلى درجات عليا من الإيمان والتقوى ، ويصيرون به نماذج رائدة لغيرهم من سائر خَلْق الله جميعاً .

---

(١) رواه أحمد .

٢- التبشير بالخير

يكون الإخبارُ والتبشيرُ بالخير والسرور من خلال حامل البشرى ومعلنها إلى فرد أو جماعة ، حيث يأتي إليهم الخير فيفرحون له ، ويستبشرون به ، وهذا الخلق عام وشامل ومرتبط بسلوك عباد الرحمن ، الذين يأتي السرورُ من خلال إعلانهم له ، أو كانوا مبشرين به .

١- البُشرى ، وممن تأتى

تأتى البشارة وهى – أساساً – كلُّ ما يُفرح ويَسُرُّ من الله تعالى لخلقه ، كما تأتى من الملائكة رضوان الله عليهم ، ومن الرسول لأمته ، ومن عباد الله إلى غيرهم من سائر البشر ، ونذكر فى ذلك ما جاء بحق الله تعالى فى شأن بشارته لمريم بالمسيح ، الذى كتب الله له الوجاهة فى الدنيا والآخرة ، وجاء البلاغُ من خلال الملائكة ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (١) ، وكلمةُ الله هى : (كُنْ فكان) ، وسُمِّى مسيحاً ؛ لأنه كان إذا مسح ذا عاهةٍ برئ منها ، وكان وجيهاً فى الدنيا بالنبوة ، وفى الآخرة بالشفاعة ، ومن المقربين عند الله عزّ وجلّ .

وجاءت البشارةُ – بإذن الله تعالى – من المسيح لبنى إسرائيل ، وغيرهم عن رسالة محمد– ﷺ – ، قال جلّت قدرته : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ٤٥ .

إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ... ﴾ [١] .

وجاءت البشارة من سيدنا محمد إلى أمته بكونه شاهداً عليهم ، ومبشراً بالجنة لهم ، ونذيراً للعصاة منهم ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٢] ، كما تأتى البشارة كثيراً من عباد الله المتقين إلى غيرهم من البشر ، فيكونون – أى هؤلاء العباد – دُعاة للمحبة والمودة ، ونشر الفضائل ، وحظر الرذائل ، والتهنئة بالخير فى أحوال كثيرة كإنجاب الأبناء ، والفوز بالجوائز الدنيوية ، وسائر الأحوال التى تنبئ بما يُسّر ويفرح .

٢- تأثير البشرى على مَنْ تأتى إليه

عندما يكون المؤمن فى حالة غير مستقرة لمرض أو عوارض دنيوية تُحيلُ حياته إلى قلق واضطراب ومعاناة ، ثم يأتى إليه مَنْ يسوق له خيراً أو ينبئه بحَجْب مكروه عنه بكلام مُفْرح وعبارات طيبة فإن الوضع الكائن بحق من جاءت إليه البشارة ينقلب إلى بَهجة وانشراح صدر ، وظهور علامات الاستبشار على صفحة وجهه ، وتلك هى السلوكيات الحميدة التى دعا الإسلام إليها ، خاصة إذا كانت البشارة بالخير فى أعقاب الابتلاءات الشديدة ، ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ

---

(١) سورة الصف : الآية / ٦ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٤٥ .

وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [١] ، فقد جاءت البشارة للصابرين بمكافأة الله لهم على كل ما لحق بهم ، وانتهاء بإخراجهم الصدقات على الثمرات التى آلت إليهم .

ولقد جاء الأمر النبوى إلى الأمة المحمدية بحتمية مراعاة التيسير فى العبادات والمعاملات ، وسائر شؤون الحياة ، والحرص على التبشير وعدم التنفير ، فقال- ﷺ - : " يسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا ، وبَشِّرُوا ولا تنفروا " [٢] وكان- ﷺ - يدعو إلى الاستبشار بالخير هو وسائر أمته ، قال : "اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا " [٣] .

وقد بشر الرسول زوجته خديجة بالخير العظيم فى الجنة ؛ لما أسهمت به فى قوة الدعوة الإسلامية واستمرارها ، فروى عنه أنه : " بشَّر خديجة رضى الله عنها ببيت فى الجنة من قصب ، لا صخبَ فيه ولا نصب " [٤] .

٣- التبشير فى غير الفرح والسرور

لقد جاء التبشير – أساساً – فى الخير ، لكن الاستقبال يمكن أن يكون على عكس المراد منه ، وأوضح القرآن ذلك فى شأن البشارة بولادة الأنثى ، إذ ينبغى أن يكون الحال مُفرحاً وساراً ، ولكنه تحول إلى غم ويأس وحزن ،

---

(١) سورة البقرة : الآيتان / ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه ابن ماجة .

(٤) متفق عليه ، والقصب : اللؤلؤ المجوّف ، والنصب : التعب .

وتبدَّل الوجه إلى سواد قاتم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (١) .

ويكون التبشير – في غير حالته – بالعذاب الأليم للمنافقين والكافرين وسائر العصاة المعاندين ، وذلك نكاية فيهم، واستهزاء بهم ، وسخرية منهم، فقال تعالى : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

إن التبشير يكون غالباً فى الخير ، ويُساق من حامله والمبلِّغ به إلى غيره، هذا الذى يُفرحُ به ، ويُسَرُّ له ، كما لا يستعمل فى الغمِّ والشرِّ إلا فى أحوال قليلة ، فقد يكون تبكيتاً للموَجَّه إليه ، وإشعارا بما يناله ويستحقه من العقاب ، وتبقى سلوكيات عباد الرحمن نماذج لغيرهم سواء أكانوا مبشَّرين أم سعداء بالبشارة التى جاءت إليهم ، وظهرت علاماتها على وجوههم وسائر تصرفاتهم ، والله أعلم .

---

(١) سورة النحل : الآية / ٥٨ .

(٢) سورة النساء : الآية / ١٣٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية / ٣ .

٣- الاعتدال فى مخالطة الناس

ينبغى أن تخضع علاقةُ المسلم بالآخرين لليقظة والاعتدال ، فلا ينكبُّ عليهم ، ويعيقُ بعض تصرفاتهم ، كما لا ينقطع عنهم ولا يشعر بما يلحق بهم من أفراح تسرهم ، أو أتراح تؤذيهم وتحزنهم ، بل يجب إتباع سبيل التوسط والاعتدال ، وذلك هو المنهج الإسلامى القويم .

١- معيار العلاقة بأولياء الأمر.

إن المسلم قليل بنفسه كثير بإخوانه ، ولا يصح أن يزداد اختلاطه بغيره إلى المستوى الذى تصاب الحياة فيه باضطرابٍ شديد يَمُسُّ المسلمَ ويؤثر فى غيره؛ إيجاباً وسلبا ، كما لا يصح أن ينصرفَ عن المجتمع وينعزل عن الناس وينقطعُ عن مشاركاتهم فى الأحزان والأفراح ، إذ أن هذه المعايير لا ينبغى تجاهلُها والغفلةُ عنها ، بل يجبُ مراعاة الاعتدال خاصة فى الأحوال التى تحتاج إلى يقظة وصحوة للضمائر المؤمنة ، التى يتحرك الناس فى أضوائها ، وأول ما يجب التنبيه إليه فى هذا الشأن هو العلاقة بأولياء الأمر فلا يجوز بأى حال من الأحوال أن يسعى المسلم إلى الارتماء على أبوابهم والسعى إلى مجالستهم ، دون مراعاة للكرامة والعزة ، التى أُمر المسلمُ بمراعاتها والحفاظ عليها ، خاصة أن السعى إلى هذه المجالس يكون مشفوعاً فى كثير من الأحوال بالعجز عن إعلان الحق والشهادة والصدق، ورفض الظلم والرضا التام بما يقوله ولى الأمر ، حتى لو كان مخالفاً للحقيقة ، وأن السعى إلى هذا الاختلاط يكون مرتبطاً بالكلمة أو بالفعل الذى يخالف الواقع فقد قال رسولُ الله- ﷺ - :

" من خاف من أمير ظُلْماً فقال : رضيتُ بالله رَبّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد- ﷺ - نبياً وبالقرآن حكماً وإماماً نجاه الله منه "[١] .

كما لا يصح إن ينقطع المسلم تماماً عن أولياء الأمر فيترتب على ذلك حجب نصيحة أو كلمة حق عن الوصول بها إلى ولى الأمر فذلك سلوك سلبى غير لائق بقوة المسلم وشجاعته التى يجب أن يتحصن بها فى حدود ما يعينه على إيصال الحقيقة إلى من بيده الأمرُ ، ولذلك يخضع الموضوع بشقيه وفى عموم الحكم عليه إلى التحفظ فى إيتاء أبواب أولى الأمر فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله- ﷺ - : " من أرْضَى سُلطاناً بما يُسْخط به رَبَّه خرج من دين الله " [٢] ذلك هو الشأن الذى يجب مراعاته فى العلاقة بأولياء الأمر .

٢- ضوابط علاقة المسلم بسائر الناس

أعطى الإسلام العلاقات الاجتماعية مزيداً من الضوابط والأحكام التى يجب الالتزام بها ، وعدم الخروج عنها إذ لا يمكن للمسلم أن يعيش منفرداً منعزلاً بعيداً عن الناس ، لأن ذلك ليس من المنهج الإسلامى الذى يخضع فى عمومه لتطبيق التعاون والتراحم والتواصل بين الناس جميعاً قال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٣] .

ففى ظلال هذا التواصل تنمو المحبةُ والتراحم والتسامح ، وهى الأخلاق الإسلامية التى دعا إليها رسول الله- ﷺ- ففى حديثه عن الرحمة قال- ﷺ-:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (من الترغيب والترهيب) .

(٢) رواه الحاكم ورواته ثقات .

(٣) سورة المائدة : الآية / ٢ .

" من لا يَرْحمُ الناس لا يرحمه الله " (١) .

وقال : " الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمْكُمْ من فى السماء " (٢) وأن يسهم المسلم فى الإصلاح بين الناس والدعوة إلى المعروف وفعله ، واجتناب المنكر والنهى عنه، وذلك فى حدود النفع العام الذى يتحقق به الصلاح والإصلاح فى المجتمع قال تعالى : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٣) .

وقد سئل رسول الله- ﷺ- أى الناس أحب إلى الله ، فأجاب عليه الصلاة والسلام : أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس " (٤) .

كما يجب فى ظلال هذا الاختلاط المنظم بالناس أن يسود التوقير للعلماء وكبار السن ، والرحمة بالصغير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى- ﷺ- قال : " ليس منّا مَنْ لم يوقِّرْ الكبيرَ ويرحمْ الصغير ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر " (٥) .

وتمتد سائر الأخلاق الإسلامية لتشمل العلاقة المتواصلة بين عباد الله المتقين ، وذلك بالتواضع وقبول الدعوة لحضور المناسبات السارة ، وتقديم الهدايا إذا كانت غير مرتهنة بشبهة فقال رسول الله- ﷺ- : " إن الله أوحى إلى أن تواضعُوا ؛ حتى لا يبغى أحد على أحدٍ ، ولا يَفْخَر أحد على أحدٍ "(٦) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد .
(٢) رواه أبو داود والترمذى .
(٣) سورة هود : الآية / ٨٨ .
(٤) رواه الطبرانى .
(٥) رواه أحمد فى مسنده .
(٦) رواه أبو داود ، ورواه ابن ماجة بلفظ آخر .

وفى مقابل ذلك لا يصح أن ينعزلَ المسلم عن غيره فلا يشاركُ فى الأفراح والأتراح ، ولا يصلح بين الناس اللهم إلا إذا استشرى الفساد ، وزاد المنكر وعجز الناس عن إبطاله بالنهى عنه فعلى المسلم أن يُنَحى نفسه عن الاختلاط الذميم الذى لا يتناسب مع سماحة الإسلام واكتمال منهاجه للحياة .

٣- بعض السلوكيات التى يجب مقاطعتها والابتعاد عنها فى ضوء علاقة المسلم بالآخرين .

تخضع سلوكيات المسلم للمنهج الإسلامى للحياة فما وافق منها القرآن والسنة فيجب قبوله والعمل به ، وما خالفهما ينبغى اجتنابه والتحذير منه، فبعض الناس لا يسعدون إلا بشقاء الآخرين الذى يتحقق باقتحام حياتهم والتدخل فى شئونهم وحجب النصيحة عنهم، كما تتسرب الكراهية إلى بعض القلوب الحاقدة التى يُحْزِنُها أن يسعد الآخرون ، ولا تهنأ إلا إذا كثرت الدواهى والنكبات بجيرانهم وزملائهم فى العمل ، كما لا ينهضون بإغاثة الملهوفين وإعطاء المحتاجين ، ويحتجبون عن الضعفاء والمنكسرين ، ويسعدون – للأسف الشديد – بإذلال الضعفاء والفقراء والعاجزين عن الكسب بما لا يتوافق مع أخلاق الإسلام .

٤- قضاء حوائج الناس

يهدف الإسلامُ إلى جعل أفراد المجتمع كتلةً واحدة كالجسد الواحد ، وبحيث يسعى القادر على معونة الآخرين إلى قضاء حوائجهم التى يعجزون عن تحقيقها ، وذلك بعض مكونات المنهج الإسلامى للحياة ، من حيث التعاون والتراحم والإحساس بآلام الآخرين .

٢- معالم الدعوة إلى قضاء حوائج الآخرين :

يمثِّلُ عباد الرحمن الأسوة الطيبة لغيرهم من البشر ، ولذلك فإن سلوكياتهم نابعةٌ من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولذا فإنهم مناراتٌ على طريق الإيمان ن وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1] .

والخير كل ما يحقق نفعاً وتوجيها سديداً لسائر عباد الله المتقين ، هذا الذى ينهض به القادرون عليه والمحبُّون للأخلاق الفاضلة ، التى يتحقق بها الفوز العظيم عند الله تبارك وتعالى .

والحوائج جمع حاجة ، وهى شاملة لكل ما يتصل بحياة الإنسان بالاحتياج إليها والرغبة فيها ، وذلك ، ما تحدثت عنه السنة النبوية برواية ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله- ﷺ - : " إن لله خَلْقَا خَلَقَهُمْ لحوائج الناس يفزَعُ الناس إليهم فى حوائجهم،أولئك الآمنون من عذاب الله"[2].

---

(١) سورة الحج : الآية / ٧٧ .

(٢) رواه الطبراني وأبو الشيخ وابن حبان وابن أبي الدنيا .

ويجب النهوض لقضاء حوائج الناس ، هؤلاء الذين يعجزون عن الوصول إلى حقوقهم ، إما لعدم معرفة أو لضعف فى وسائلهم الحياتية ، أو لأن هذه الحقوق تائهةٌ أو ضائعة أو مغيبة عَنْ قصدٍ أو عن غير قصد ، ففى ذلك يلزم أن يتحرك القادرونَ على النفع وتحقيق الحوائج التى تُدخل السرور والانفراج لأزمات الضعفاء والمحتاجين ، وفى حديث ثانٍ لابن عمر رضى الله عنهما أن رسول- ﷺ - قال : " المسلم أخو المسلم لا يَظْلِمه ولا يُسْلمه – من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرّج عن مُسْلم كربة فرّج اللهُ عنه بها كربة من كُرب يومَ القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يومَ القيامة " [(١)] .

وقد اتسعت الرؤية فى هذا الحديث لبيان ما يجب على المسلم تُجَاه أخيه، إذ لا يقتصر الأمرُ فى قضاء الحاجة على أن ينتقل إلى موضوع قريب أو بعيد يسترد الساعى لأخيه مطلباً أو حقاً ضائعاً ، وما شابه ذلك وإنما تتسع آفاق الأخوه الإسلامية إلى وجوب تقدير المسلم لأخيه وعدم ظلمه وإهانته وتفريج ما يلحق به من شدائد ، وضرورة السعى إلى ستر ما يحتاج إلى حفظ وعناية ، وقد أفاد الحديث إلى آثار ذلك بشأن الساعى إلى قضاء حاجة أخيه بأن الله يكون فى جانبه بتفريج الشدائد والعفو عنه يوم القيامة .

٢- مظاهر الإخلاص فى قضاء حوائج الآخرين :

إن كثيراً من المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى المؤمنين الصادقين الذين لا ينظرون إلى أنفسهم فحسب ولا يغفلون عن متطلبات الآخرين ، وفى سبيل ذلك يتطلب من كل ساع لقضاء حوائج الناس أن يراعى حقوق الأطراف الأخرى بمعنى ألاَّ تترتب على قضاء الحاجة إضاعةٌ لحقوق الآخرين .

---

(١) متفق عليه – ومعنى لا يُسْلِمُه أى لا يهينه،والكربة هى الشدة التى تهم النفس وتهم القلب

إن هذا الخلق الإسلامى العظيم ذو آثار إيجابية علـى الفـرد والجماعـة ، فما أجمل الصنيعَ الذى يتحقق به إدخالُ السرور على الضعفاء والمحتـاجين ، ورفع الضيق والمعاناة عنهم ، ونشر المحبة والمودة بينهم وبين غيرهم من أفراد المجتمع ، وقد رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله- ﷺ - قال : " إن أحبَّ الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخالُ السرورِ على المسلم " (١) .

ويجب فى هذا الشأن الاَّ يسعى قاضى الحاجة إلى تحقيق نفع غير مستحق له من وراء السعى إلى الحاجة وقضائها للآخرين،إذ يترتب على ذلك فى بعض الأحوال إثمٌ ومنكرٌ يُحْبط ثواب ما سعى إليه وأجهـد نفسه فيـه فيقبـلُ هديـة مليئة بالشك والريبة ، أو الخداع الذى لا يتناسـب مـع روح الإسـلام وجـوهره ورسالته التى تستهدف تنشئة علاقات محمـودة بـين سـائر المسلمين وغيرهـم فعن أبى أُمامه رضى الله عنه أن رسول الله- ﷺ - قال: "من شَفَع لأخيه بشفاعة فأهدى له هديةً عليها ، فقبلها فقد آتى بابا عظيماً من أبواب الربا " (٢) .

٣- إبراز بعض المواقف أو السلوكيات التى تعضد خلـق السعى لقضاء حوائج المسلمين :

إن قضاء الحوائج للمسلمين سلوك إيمانى تتعدد جوانبه ، وتعظمُ فوائـده إذ يترتب عليه رفعُ الظلـم عـن المظلـومين ، وإيـصال الحقـوق إلى العـاجزين ، ونشر المحبة بين الكثيرين ، فما أفظع أن يرى صاحبُ الحـق حقَّـه فـى أيـدى الآخرين ولا يصل إليه ، وهنا تتجلى بعض سمات الإسلام فى توجيه القادرين على النهوض بما يجب عليهم تجاه إخوانهم ، وتجلى هذا البيـان فـى حـديث

---

(١) رواه الطبرانى .

(٢) رواه أبو داود .

رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ذكر فيه : " أن رجلاً جاء إلى رسول الله - ﷺ - فقال يا رسول الله : أىُّ الناس أحبُّ إلى الله ؟ فقال : أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دَيْنا ، أو تطرد عنه جُوعاً ، ولأنْ أمشى مع أخ فى حاجة أحب إلىَّ من أن أعتكف فى هذا المسجد شهراً (يعنى مسجد المدينة) ومن كظم غيظاً – ولو شاء أن يمضيه أمضاه – ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام" (١) :

إن الحياة الإسلامية فى تاريخها العظيم وحاضرها الذى نحياه مليئةٌ بالنماذج المؤمنة الصادقة من عباد الرحمن ، الذين يملكون من الشجاعة والقوة ما يُؤهلهم للاستجابة إلى دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية بشأن قضاء مصالح الآخرين ، وتفريج الكرب عنهم ، وإدخال السرور عليهم ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، التى دعا إليها الإسلام ... والله أعلم .

---

(١) رواه الأصبهانى وابن أبى الدنيا .

٥- الإصلاح بين الناس

إنَّ الإصلاح بين الناس منهج إسلامي رشيد ، ودعوة إنسانية عامة لا يقتصر توجيهها على فرد دون آخر ، وإنما تتسع دائرتها فتشمل الإنسان الذى يجب عليه إصلاح نفسه أولاً انتقالا وارتقاء بالمشورة والدعوة إلى الإصلاح العام ، الذى يتنامى من حتمية إصلاح الفرد ، وصولاً إلى الإصلاح بين الجماعات المسلمة ، التى يمكن أن ينشب الخلاف بينها إذ توظَّف الكلمة الهادفة ؛ لانتزاع بذور الشك والريبة ، وتثبيت الدعائم القوية التى ينهض المجتمع من خلالها، قال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[١] .

١- سبل الإصلاح بين الناس :

لقد أكدت الأحاديث النبوية أن الإصلاح يكون بالنصيحة الصادقة والتوجيه السديد ، وتجلى ذلك فى شأن اجتمع الرسول فيه مع أبى ذر الغِفارى ، إذ لم يسند الرسول إليه ولاية أو إمارة ، لإدارة أمر الجماعة المسلمة ، وقال له : " إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها ، وأدّى الذى عليه فيها "[٢] .

إن الإصلاح بين الناس جزء من الأمر بالمعروف والدعوة إليه ، والتحذير من المنكر ومقاومة فاعلة أو قائله ، وفى كل ذلك ينبغى أن يكون السعى إلى

---

(١) سورة النساء : الآية / ١١٤ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

الإصلاح تحت مظلة الكلمة التى يجب أن توظف لخدمة الغرض الأساسى منها؛ حتى لو كانت غير مطابقة للواقع فى بعض الحالات ، فإن الهدف المنشود هو إصلاح ما بين النفوس المتباعدة، وتقريب وجهات النظر المتناثرة ، وتصفية العلاقات بين المتخاصمين ؛ لأن وقوف المسلم أو الجماعة المسلمة بدون تحرك إيجابى ،للإصلاح بين الناس يعتبر تراجعاً متدنياً فى مستوى علاقة المسلم بإخوانه ، إذ لا يليق به أن يقف صامتاً دون اتخاذ موقف إيجابى يذيل احتقان النفوس،ورأب أى شق لجسد العلاقة بين الناس،وقد تجلت هذه الدعوة الشاملة للإصلاح فى قول الله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) .

وقد لوحظ من خلال عرض بعض الآيات القرآنية أن الأمر بالإصلاح جاء موجهاً إلى الناس عامة ، وذلك هو المنهج الإسلامى فى بناء المجتمع .

وروى أنس رضى الله عنه أن النبى- ﷺ - قال لأبى أيوب : الاَّ أدلك على تجارة قال : بلى قال : صل بين الناس إذا تفاسدوا ، وقرِّبْ بينهم إذا تباعدوا " (٢) .

٢- من ثمرات الإصلاح بين الناس :

الدعوة إلى الإصلاح دعوة شاملة يتحقق الهدف من السعى فى طريقها وذلك بإصلاح ما يعيق المجتمع من عثرات توقف حركة التواصل بين مكونات

---

(١) سورة الحجرات : الآية / ٩ .

(٢) ذكره ابن كثير بلفظ مقارب .

الحياة الإسلامية ، كما يأتي الإصلاح وفقاً لقدرات الساعي إليه ، وجاء ذلك صريحاً مباشراً من خلال دعوة نبي الله شعيب التي أعلنتْ في القرآن الكريم السعي إلى تحقيق الإصلاح ، قال تعالى : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١) .

وقد اتضح من هذا النص الكريم بناء الإصلاح على الاستطاعة ، التي تحكم قدرة الإنسان على تدخله في الأمر ، وإصلاح ذوات البين ، أو التراجع لفقد الوسيلة النافذة ، والاستطاعة التي تعين على الإقدام ، ويتحتم الإيمان بقضية التوحد الإسلامي بين سائر المكونات الاجتماعية ، وصولاً إلى تحقيق الهدف ، وما يترتب عليه ، كما في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾(٢) .

إن الإصلاح الصادق والسعي إليه بين الناس لا يسفر إلا عن خير، قال تعالى : ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (٣) ومما يجب العناية به من واقع حض القرآن الكريم والسنة النبوية عليه ما يكون في أمر الزوجين ، إذ يجب أن تُراعى الحالةُ التي يكونان عليه ، وحتمية إزالة الشقاق بينهما ، حيث يترتب على العلاقة بينهما تأثير كبير في البنية الاجتماعية إيجاباً وسلباً ، فقال تعالى في هذا الشأن : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾(٤) .

---

(١) سورة هود : الآية / ٨٨ .
(٢) سورة الحجرات : الآية / ١٠ .
(٣) سورة النساء : الآية / ١٢٨ .
(٤) سورة النساء : الآية / ٣٥ .

وقد أبيح فى نطاقات محدودة وضيقة أن يستعين المصلح بين الفريقين بالكلمة المفيدة ، حتى لو خالفت الحقيقة ذلك ما روته أم كلثوم بنت عقبة قالت عن رسول الله– ﷺ – : " ولم أسمعه يرخص فى شئ مما يقوله الناس إلا فى ثلاث : تعنى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرآة زوجها " (١) .

إن الإصلاح بين الناس قضية إسلامية فى غاية الأهمية ؛ لما يترتب عليها من آثار فى الإصلاح الاجتماعى بين الناس ، والانتقال بهذه القضية من النطاق المحدود إلى الآفاق الرحبة الواسعة .

---

(١) رواه مسلم .

٦- اجتناب النزاع والشقاق

يحرص عبادُ الرحمن على أخلاق الإسلام ؛ حتى لا يقعوا فى مخاطر النزاع والشقاق ، وتسوءُ علاقاتهم بالله والرسول- ﷺ - ، وتتحول إلى ما لا يرضى عنه الإسلامُ والمسلمون .

١- النزاع والشقاق ، وكيف ذكرهما القرآن الكريم ؟

لقد أورد القرآن الكريم بعض الأحوال الخاصة بالنزاع والشقاق ، إذ أنَّ معنى كل منهما قريبٌ من الآخر ، رغم أن الشقاق هو الأشَدُّ خطراً لوقوعه من معاندين ألداء ، واللفظان يعبران عن الاختلاف والمعاداة ، ويتحقق ذلك كثيراً فى العلاقات الإنسانية ، ففيما يتصل بالنزاع فإن حدوثه بين البشر ينبغى أن يكون ميزان الاحتكام فيه هو الرجوع إلى الله ورسوله ، حيث يتجلى ذلك فى القرآن والسنة النبوية ، وأما الشقاق فقد ذكر القرآن الكريم وقوعه من البشر فى حق الله تعالى ، كما ورد حدوثه فى شأن الرسول- ﷺ - ، ويزداد افتراء وضلالا وعدوانا صارخاً عندما يوجه من المعاندين والمتجاوزين إلى الله ورسوله ، وأفادت كلٌّ ذلك آيات الوحى الكريم .

وأما فيما يتصل بالنزاع فقد خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بعدم الوقوع فيه ؛ لما يترتب عليه من آثار تفتُّ فى عضد الأمةِ ، وتؤثرُ فى وحدتها وقوة تماسكها ، قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١) ، وكان ذلك موجها إلى

---

(١) سورة الأنفال : الآية / ٤٦ .

جماعة المؤمنين فيما يتصلُ بحتمية تماسكهم واتحادهم فى حماية عقيدتهم ، والمحافظة على طاعة الله ورسوله ، وعدم النزاع الذى يترتب عليه الفشلُ ، وذهابُ القوة ، والاحتكامُ إلى الصبر فى الشدائد ، والاستعانةُ بالله ؛ سعياً إلى النصر ، والاستقرار الاجتماعى .

وعرض القرآن الكريم إلى نزاع الأمم الأخرى للرسول فى أمر الذبائح للنسك فقال تعالى : ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١) ، وجاء الأمر فى ختام هذه الآية للرسول بالاستمرار فى الدعوة ن وعدم التأثر بالمنازعة ؛ لأنه- ﷺ - على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ، كما ذكرت آيات القرآن أمر الشقاق من المعاندين والكارهين للإسلام ، وذلك بمعاندة الله ، ومعاندة الرسول ، وجمعت بعض الآيات بين توجيه المشقة إليهما معاً .

ويبدو من ظاهر آيات القرآن أن معنى الشقاق فى مقام الشرع يزداد عنفاً وضراوة مثل توجيهه إلى القرآن الكريم ، وإلى حديث الرسول- ﷺ - ، بمعنى أن الشقاق يتوجه بصورة أكبر إلى العقيدة ، أما النزاع فأكثرُ ما يوجهَ إلى السلوك ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (٢) ، ويكون النزاع والشقاق بين البشر، ولذا وضع الإسلام الضوابط للفصل بين المتنازعين ، على أن النزاع أو

---

(١) سورة الحج : الآية / ٦٧ .

(٢) سورة الأنفال : الآية / ١٣ .

الشقاق على أية صورة يسيئ إلى الأمة الإسلامية ، ويؤثر في وحدتها وتماسكها ، وهذا الأمر ينبغي ألا يكون له ورود بين طوائف الأمة في علاقات بعضهم ببعض ، وفي علاقاتهم بالله ورسوله .

٢- التصدى للنزاع والشقاق :

إن التصدى للنزاع والشقاق وهما بمثابة أمر واحد ينبغي التنبيه له ، وعدم الوقوع فيه ، لما له من تأثير شديد الخطورة على تماسك سائر المسلمين أينما وجدوا ، داخل أوطانهم أو خارجها ، وينبغي أن يكون الاحتكامُ في إنهاء النزاع والشقاق إلى المعايير الصالحة للفصل في هذا الأمر ، ذلك الذى يتجلى في القرآن والسنة ، وهما يمثلان المنهج الصحيح الذى يجب الاحتكام إليه ، وعدم الخروج عنه ، قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [(١)] ، وأن اخطر ما يقع النزاع والشقاق فيه ما يكون بين الأمم المسلمة، خاصة في الوقت الراهن الذى كشفت الأحداث فيه عن نزاعات على الحدود بين الدول ، أو على التدخل في شؤون الآخرين ، أو التهديد باستعمال القوة دون الاحتكام إلى القوانين الراسخة من خلال المنظمات الإسلامية ذات السمعة المحمودة ، وأن التاريخ الإسلامي يكشف عن مزيد من البصائر والإضاءات لعلاقات دولة الإسلام في مراحلها الأولى بغيرها من الدول، وتجلى ذلك في مخاطبات الرسول إلى الملوك والحكام.

---

(١) سورة النساء : الآية / ٥٩ .

٣- وسائل التغلب على النزاع والشقاق لتأثيرهما السلبى فى وحدة الأمة :

لقد دعا الإسلام إلى معالجة النزاع والشقاق بين الأفراد – ابتداء – وذلك باتباع الأخلاق الإسلامية الحميدة ، والصبر على أذى الآخرين ، وقد روى عن الرسول– ﷺ – قوله : " المسلم إذا كان مخالطاً للناس ، ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" (١) .

ذلك أن المخالطة بدون ضوابط واعتبارات يمكن أن تُسفر عمّا لا يحسن في شأن العلاقات الإنسانية ، فإذا تحلى المسلم بالعفو والصفح والتسامح فإن النتائج المترتبة على ذلك فى غاية الأهمية ، وهذا هو خطاب القرآن الكريم إذ قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) ، وكل ذلك مترابط ببعضه ، وجاء الخطاب فيه بلفظ الجمع ؛ حتى لا يقتصر فهمه وتداوله على الفرد ، وإنما يشمل الناس على اختلاف مستوياتهم من المعرفة والثقافة والعلم والإيمان .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) سورة التغابن : الآية / ١٤ .

٧- اجتناب قتل النفس البشرية

الإنسان بنيانُ الله الذى يجبُ حفظه وعدمُ هدمه ، فقد خلقه الله تعالى للعبادة والطاعة وتعمير الأرض واستمرار الحياة ، ولذا يجب صيانُة نفسه وعدمُ قتلها بأية وسيلة يُزْهِقَ بها روحَه منتحراً ومرتكبا لإحدى الكبائر التى نهى الله تعالى عنها .

١- أسباب النهى عن قتل الإنسان نفسه :

يُعد الإنسان من أعظم مخلوقات الله تعالى ، فقد أنشأه وكرَّمه ، وسخرّ له ما فى الأرض والسماء ؛ ليكون عونا له على استمرار حياته فى كل مراحلها طفلاً وشاباً وكهلاً وما بعدها إلى أن يقضىَ نصيبَه من الحياة ، وفيها يتواصلُ دورُه بالزواج ؛ لكى يتكاثر مع غيره ، فتعمُرُ الدنيا ويزدادُ عباد الله على الأرض ، تلك هى بعض مسيرة الإنسان التى يجبُ التنبُّه لها ، وعدمُ الغفلةِ عنها قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [١] .

ولا يليق بالمسلم أن يقضى على حياته ، أو على حياة الآخرين بأية صورة من الصور ، ولأى مبرر من المبررات ، وقد جاء النهى عن ذلك صريحاً ومباشراً فى القرآن الكريم ن وفى السنة النبوية المطهرة فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [٢] .

---

(١) سورة الانفطار : الآية / ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٢) سورة النساء : الآية / ٢٩ .

وقال رسول الله- ﷺ - : " إن هذا الإنسانَ بنيانُ الله ، ملعونٌ من هدم بنيانه" [١] ، ولذلك يُحَرِّمُ الإسلامُ الانتحارَ ، وهو قتلُ النفس كما يُحرِّمُ قتل الآخرين ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق ، ومكن لهم فى الأرض ؛ لكى تتواصل الحياة ، وليس للتفريط فيها ، وعدم الحرص عليها ، مهما لحق بالإنسان المؤمن المقر بربوبية الله سبحانه وتعالى ، فبعض الذين يلجؤون إلى قتل أنفسهم يكونون فى غالب الأحوال مدفوعين أو مندفعين لذلك ، لظروف اجتماعية غير مستقيمة ، أو تعبير عن غضب أو احتجاج ، أو رفض لواقع غير راضين عنه ، ولا يكونُ الرفض لما يعانون منه بإضاعة العمر ، وإفناء الذات ، ولربما كان لديهم من الأهل والذرية ما يجعل المقبل على الانتحار شديد التعلق بالحياة ؛ لكى يستكمل مسيرته ، التى هُيِّئ لها وصار مسئولاً عنها ، فلا يليق به خاصة إذا كان مسلما تقيا ورعاً أن تتردى أخلاقه ، ويغفل عن رحمة ربه لظرف طارئ ، أو واقع حاصل يمكن أن يتغير الشأن فيه بين يوم وآخر ، فإن فى الحياة كثيراً من النعم والمعطيات ، التى يمكن أن تكون سبيلاً للسعادة والرضا ، وليست دافعاً للهروب من الدنيا ، فقتل النفس اعتداءٌ على حق الله فى إعمار البشر ، ونهاية حيواتهم ، ولذا يذكرنا الحديث الآتى لرسول الله - ﷺ - بكثير من الأفضال التى يجبُ شكرُ الله سبحانه وتعالى عليها فقال - ﷺ - : " من اصبحَ مُعافاً فى جَسَدِه ، أمِناً فى سربه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا " [٢] .

---

(١) أورده الزمخشرى فى كشافه (تفسير سورة النساء : الآية / ٤) .

(٢) رواه الترمذى وابن حبان – حديث صحيح .

كما أن بعض الناس فى وسط ما يلحق بهم من أزمات صغيرة أو كبيرة يلجؤون إلى ما يشبه التهديد بإشعال النار فى أنفسهم أو بالاقتراب من بحر أو نهر يستعدون لإلقاء أنفسهم فيه ، أو يرتفعون فوق جبل شاهق أو منزل عال أو عمود إنارة ، لإحداث بعض المناورات التى يمكن - للآسف الشديد — أن يزداد تهورهم فيقعون فيما نهى الله سبحانه وتعالى عنه ، وهذا ما جاء النهى عنه فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(١) .

٢- بيان الرأى الشرعى فى جريمة الانتحار :

إن قتل المسلم لنفسه (بالانتحار) أو قتلَه لغيره من أكبر الكبائر التى نهى الله سبحانه وتعالى عنها ، وان الجزاء العادل لمن قتل غيره عمداً هو القصاص الذى قال الحق سبحانه وتعالى فى شأنه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٢) .

وقد أوردت الآيات القرآنية جريمة قتل النفس على آية صورة فكانت بمثابة قتل الناس جميعاً ، ويقابلُ ذلك من أحيا نفساً بسبب كبير أوْ صغير فكأنما أحيا الناس جميعاً تلك المقابلة بين القتل والإحياء، التى صورها قول الله تعالى : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٣) .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ١٩٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ١٧٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية / ٣٢ .

وقد دعا رسول الله- ﷺ - عباد الله المتقين إلى الحفاظ على أبدانهم ومعالجتها بالدواء المناسب ؛ لكى تستوفىَ النفسُ البشريةُ اجلها ، كما قدره الحق تبارك وتعالى ، فقال رسول الله- ﷺ - : " يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء " (١) .

وأن النهى عن قتل الإنسان لنفسه أو لغيره لا يتوقف على المسلم المستهدف بالقتل ، وإنما يتجلى الشرع الإسلامى بحكمته وعظمته عن أهل الكتاب الذين تعاهدوا مع المسلمين ، فيحرم قتل أحد منهم كما أمر بذلك رسول الله فى الحديث الذى رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله- ﷺ - : " من قتل مُعَاهِدا لم يَرِحْ رائحة الجنة ، وإنّ ريحَها يُوجد من مسيرة أربعين عاماً " (٢) .

٣- صور قتل الإنسان لنفسه :

لقد تعددت صور قتل الإنسان لنفسه من واقع الحياة المشاهدة ، والتى أشار الرسول إلى كثير من هذه الحالات ، التى يُهدر الإنسان فيها دمه فيقتل نفسه منتحراً ، وذلك بإشعال النار فى بدنه ، أو التردى من جبل شاهق ، أو احتساء السمّ ، أو القتل بحديده أو بسلاح نارى ، فكل هذه الوسائل لا شأن للإسلام بها ، فهى مهما تعددت فالجريمة واحدة والعذاب المستحق فى النار ثابت مقرر ، ولذا ينبغى أن يتنبه المسلم لرحمة ربه ، وسماحة دينه ، وبناية الله فى الأرض ، وهى جسد الإنسان وروحه التى يجب الحفاظ عليها فعن

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه البخارى والنسائى ، ومعنى لم يرح : لم يستنشق .

أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله– ﷺ – : " من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسى سُمًّا فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديده فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً " (١) .

تلك هى بعض حالات الانتحار الذى حرمه الإسلام ، وأكد رسول الله تحريمه ، فهو سلوك لا يتوافق مع أخلاق عباد الرحمن الذين يمثلون الطلائع المؤمنة الصادقة لغيرهم من البشر .

---

(١) أخرجه الأربعة .

٨- مقاومة الإشاعات الكاذبة

تمثل الإشاعات الكاذبة خطراً على التماسك الاجتماعى ، وتصل فى شرورها إلى ما يمكن أن تحدثه فى الأمة من نشر للفساد والقتال والتفكك الذى لا يتوافق مع دعوة الإسلام إلى المحبة والمودة والسلام .

١- معنى الإشاعة وأهم مخاطرها .

الإشاعات هى ما يذاع وينشر ، ويتفرق خبره بين الناس ، وغالبا ما يكون كذباً وافتراءً وتضليلاً ، بهدف الإضرار والإساءة إلى الآخرين ، أى أن الإشاعة أو الشائعة هى الخبر الذى ينتشر دون التثبت منه ، وغالباً ما يتم نقله بسهولة، دون أن يرتهن انتشاره بدليل أو برهان ، خاصة فى ظل ظروف أو ملابسات تجعل الناس شديدى التأثر به ؛ لما يلتصق به أحيانا من حجج وأدلة مغلوطة.

وقد ورد أصل هذه الكلمة فى القرآن بصياغات متنوعة، منها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾[1] أى أن الرسول- ﷺ- بريئ ممن فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً متنافرين، كل فرقة تكفر الفرقة المخالفة لها، والمقصود هم اليهود والنصارى . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]، فهؤلاء المستحقون للعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة لرغائبهم فى إشاعة الفاحشة

---

(١) سورة : الأنعام الآية (١٥٩) .

(٢) سورة : النور الآية (١٩) .

وانتشارها بين الناس ، ولكن الإشاعة لا تقتصر على هذه الأوصاف التـى ربمـا ننتقل بين أشخاص معدودين، وهـى تتجـاوز ذلـك إلى نـشر الـضلال والفرقـة والتمزق بين سائر مكونات الأمة ، وفى ظلال ذلك يتحتم علـى القـادرين علـى مواجهة هذه الأراجيف أن يتصدوا لها بكل السبل الصحيحة والممكنة .

٢- التصدى للإشاعات :

لقد طالت الإشاعات الكاذبـة الـدعوة الإسـلامية منـذ سـنواتها الأولى ، وأصابت شظاياها الرسول – ﷺ – ، حيث أشاع كفار مكة عنه أنـه سـاحر مـع أنهم وصفوه قبل بعثته بالصادق الأمين ، كما أشاعوا عنه أنه كـاهن ومجنـون . ودافع عنه الوحى الكريم بمثل قولـه تعـالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [1] ، كما نالته إشاعات كثيرة فـى الغـزوات ، التـى شارك فيها، خاصة غزوة أحـد ، التـى تناقـل الأفـاكون كـذباً خـبر مـصرعه ، وبالتالى انتهاء دعوته وموت رسالته . ويلزم لمقاومة الإشاعة التأكـد مـن صـدق الخـبر أو كذبـه ، مـصداقاً لقـول الله تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[2]، والفاسق هو الذى لا يوثق بصدقه ، فيتحرك بالأخبار الكاذبـة ، التـى تحـدث ارتباكاً وفوضى فى حركة الحياة .

و"تدعو الآية إلى وجوب التثبت من الخبر ، الذى يأتى بـه مـن لا يوثـق بصدقه؛ حتى لا تترتب عليه إساءة لقوم ظلماً"[3] .

---

(١) سورة : القلم الآية (١ ، ٢) .

(٢) سورة : الحجرات الآية (٦) .

(٣) المصحف المفسر ص٤٣٩ .

ويعد الندم أول أثر إيجابى للتصدى للأخبار الكاذبة، وإن لم يكن كافيا لمواجهة الإشاعات الضالة المضلة .

ويلزم لمقاومة الإشاعات تحقيق اليقظة التامة فى التعامل مع سائر محتوياتها؛ لأن السكوت عليها إقرار بما جاء فيها، ولا ينبغى الغفلة عن مساءلة المروجين لها، وتنفيذ العقوبة المستحقة لهم ، وفق الجرم الذى أحدثوه؛ حتى تهدأ الفتنة ، وتنقشع الغمة ، وتنتشر المحبة والوفاق .

٣- بعض الإشاعات التى عرض لها القرآن والسنة.

تعد حادثة الإفك التى لحقت بالسيدة عائشة فى أعقاب غزوة بنى المصطلق من أخطر الإشاعات ، التى أصابت خير البشرية فى زمن إقامته بالمدينة المنورة، وكانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قد خرجت مع جيش المسلمين للقتال ضد بنى المصطلق، وفى رحلة العودة إلى المدينة كان الجيش يقيم بعض الوقت فى كل مرحلة يمضيها فى السير، وفى إحدى هذه الاستراحات تحرك الجيش بدون عائشة رضى الله عنها ، والتى شُغلت بالبحث عن عقد لها ، ولما جاءت مؤخرة الجيش أدرك قائدها وهو (صفوان ابن المعطل السلمى) أحد الصحابة الأخيار ، فركبت هودج البعير الذى يقوده صفوان ، ووصل بأم المؤمنين إلى المدينة ، وتحركت الأصوات المنافقة عنها بما لا يحسن ، ومن جملة أهل النفاق فى هذه النكبة الأخلاقية حمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وعبد الله ابن أُبى ، والذين أشاعوا عن وجود علاقة آثمة بين أم المؤمنين ، والصحابى الجليل صفوان ، وقد أثرت هذه الشائعة فى الرسول ، وتألم لها ، واستشار

فيها أصحابه أسامة بن زيد وعلى بن أبى طالب ، واتسعت دائرة الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، حتى برّأ القرآن ساحة أم المؤمنين عائشة، ونزل بهذه البراءة قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١] .

وقد جاء الحدث مرتبطاً بمصطلح الإفك ، وهو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، واكتسب المسلمون فيه الثواب العظيم على قدر عظم البلاء ، الذى اعتبر ابتلاء شديداً تخلص الرسول – ﷺ – فيه من المشقة والضيق الذى لحق به فأحاط أصحابه بما جال فى صدره ، فاعتلى المنبر ، وخطب فيهم ، بادئا بحمد الله، والثناء عليه ، ثم قال : "أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل – والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما دخل بيتا من بيوتى: إلا وهو معى"[٢] .

وانتهت الأزمة بالمواجهة ، وتفنيد الأباطيل ، والتصدى لكل مكونات هذه الإشاعة الكاذبة .

---

(١) سورة : النور (١١) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٣ ص٢٢٢ .

٩- السماحة فى البيع والشراء والتقاضى

أعطى الإسلام سائر المعاملات قدراً كبيراً من العناية والاهتمام ، ذلك أنَّ العربَ فى جاهليتهم كانوا يعملون فى التجارة إلا قليلاً ، وفى ظلالها انتشر الربا ، وزادت قسوة الأغنياء على الفقراء ، وسطوة الأقوياء على الضعفاء ، ثم تغيرت الأحوال فى ظلال الإسلام .

١- بعض الضوابط للسماحة فى المعاملات

جاء الإسلام إلى أمة محمد- ﷺ - ، واستلزمت تعاليمه حفظ العلاقات الإنسانية وصيانتها وكانت الحكمة التشريعية أن يأتى القرآن علاجاً لكثير من أوجه الفساد والضلال والإضلال فى البيع والشراء ، وأكد الرسول- ﷺ - فى الكثير من أحاديثه أهمية ضبط العلاقة بين المسلمين ، خاصة فى البيع والشراء والتقاضى ، وهذا ما جاء على لسانه محدداً فى حديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول- ﷺ - قال : " رحم الله عبداً سَمْحا إذا باع ، سمْحاً إذا اشترى ، سمْحاً إذا اقتضى "[١] والحديث دعوة للرحمة بالمسلم فى أحوال ثلاثة وما يترتب عليها من آثار وهى البيع ، والشراء ، والاقتضاء ، وتتحقق السماحة فى البيع والشراء بضبط الكيل والميزان ، وكان هذا موضع العناية من الرسول- ﷺ - فَيرْوى ابن عباس رضى الله عنهما قال : " لما قدم النبى المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً ، فأنزل الله عزَ وجل " ويل للمطففين " فأحسنوا الكيل بعد ذلك " [٢] .

---

(١) رواه البخارى وابن ماجة ، ورواه الترمذى بنفظ آخر .

(٢) رواه ابن ماجة وابن حبان والبيهقى .

لقد نهى الإسلام عن الربا ، وجعل الرسول- ﷺ - أول ما يسقطه ويلغيه من معاملات البشر ذلك النوع أو الطريقة التى كان يسلكها عمه العباس فى هذا التعامل البغيض ، الذى تزيد فيه ثروات التجار المستغلين الذين يأتون من أنواع البيع والشراء والربا ما يزيد بُعْد المسافة بين أفراد المجتمع ، وأكّد التشريع الإسلامى النهى عن هذه المنكرات ، وبالحض على دفع الزكاة والصدقات وأنواع أخرى من العطايا إلى مستحقيها ، مما يسهم فى انتشار المحبة والمودة بين طوائف المجتمع .

٢- خطورة احتكار الطعام خاصة فى ظلال الأزمات الاقتصادية، والتحولات المجتمعية :

وأكدَّ الرسول- ﷺ - خطورة نوع من التعامل بالبيع والشراء ، وهو احتكار الطعام بمعنى اختزانه ؛ حتى يشحَّ المعروض منه فى السوق التجارى فيرتفع سعره ، وتكتوى بذلك الطوائف الدنيا فى المجتمع .. وقال- ﷺ - فى ذلك : " من احتكر طعاماً فهو خاطئ " (١) .

وأوجب- ﷺ - بسنته القولية والفعلية التحرى فى طلب الحلال والحرص عليه ، فقال : " طلب الحلال واجب على كل مسلم " (٢) كما حذر من الغش فى البيع والشراء ، ونصَّ على ذلك فى حديث طويل مشهور من واقع متابعته لحركة البيع والشراء وطلب الحلال ، فقال- ﷺ - : " .. من غشنا فليس منا " (٣) وأورد القرآن الكريم العديد من الآيات فى شأن إباحة البيع

---

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٣) رواه مسلم .

والشراء . وتحريم الربا وسائر وجوه الاستغلال ، قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[(١)] .

٣- بعض الضوابط للتقاضى وسداد الدين :

تقتضى السماحة فى البيع والشراء والاقتضاء أن يتحرى الإنسان الصدق عند بيان مظلمته ، كما يجب الالتزام بالموعد المحدد للسداد ، وذلك حتى تسير حركة الحياة وفق النظام الإسلامى العادل ، الذى لا تضيع فيه الحقوق ولا تذهب إلى غير مستحقيها ؛ اعتماداً على يمين كاذب أو غش خادع أو تزوير فى محررات مكتوبة ومشهود عليها ، ولا ينبغى فى ظل هذه التحذيرات المؤكدة افتقاد الثقة فى الصفوة المؤمنة التقية التى يبقى وجودُها بين أفراد المجتمع فى غاية الأهمية ، فهم القدوة الذين يُعطون الأمثلة الصادقة ، لكى يسيرَ الآخرون على منهجهم ، وتتحول السلوكيات الضالة ، إلى تصرفات إيجابية رشيدة ... والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٧٥ .

١٠- أدب الجلوس مع الآخرين

يشكل الجلوس مع الآخرين أهمية فى الحكم على أخلاق المؤمن من نـواح متعـددة ، كتحمـل الجـالس لمـن يجـاوره ، وإظهـار البـشر والـسرور لـه ، والانصراف عندما يحتم اللقاء ذلك ، وتلك بعض أخلاق الإسلام ، التى تتجلى فى عباد الرحمن .

١- بيان القرآن والسنة لبعض آداب الجلوس مع الآخرين :

يحتاج الناس إلى الاجتماع فى المناسبات المختلفـة ، والتلاقـى فـى أمـاكن العمل وغيرها ، وهذا شأن الحياة وما يترتب عليها .

وقـد أعطـى الإسـلام عنايـة فائقـة بمجـالس المـؤمنين وآداب الاجتمـاع والاستماع ، ونظام الحديث كإفساح موضع للقادم ، بحيث يتـيح الجالـسون لـه مكانا ؛ حتى يجلس بينهم ، ويتحدث معهم ؛ لأن الهدف هو أن يتم الالتقـاء فى هدوء وأدب ، وان ينتهى على محبة ومودة ووفاق ، وقد قال القرآن الكـريم فـى هـذا الـشأن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾[١] .

وبدأت الآية بالنداء ؛ للتنبيه والاهتمام بما سوف يأتى فى مضمون الآية موجها إلى المؤمنين ، ثم قالت الآيـة : ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ

(١) سورة المجادلة : الآية / ١١ .

فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ وتواصل المعنى من خلال نص الآية الذى قال عنه بعض المفسرين : " كانوا يتنافسون فى مجلس النبى- ﷺ - ، فأمروا أن يُفسحَ بعضهُم لبعض ، وقيل عن ذلك كان فى مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب " وعليه فيكون المعنى : تفسَّحُوا أى توسعوا ، ويمكن أن يراد بالمجلس الذى وردت الآية بشأنه هو مسجد النبى- ﷺ - ، وقال القرطبى : " الصحيح فى الآية أنها عامة فى كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر ، سواء كان مجلس حرب أم ذكر أم مجلس يوم الجمعة فإن كل واحد أحقُّ بمكانه الذى سبق إليه ، قال- ﷺ - : " من سبق إلى ما لم يُسبق إليه فهو أحق به ، ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه" [١] وقيل فى معنى " يَفْسَح اللهُ لكم " أى فى قبوركم ، وقيل فى قلوبكم ، وقيل يوسع عليكم فى الدنيا والآخرة .

وقالت الآية : ﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ بمعنى أن المجلس ما دام مجلس إيمان وعلم ونودُى للصلاة " فانشزوا " إليها أى قوموا إليها .

وأفادت الآية بالقيم التى ينبغى أن تشمل مجالس المؤمنين ، وهى الإيمان والعلم ، فإذا اجتمعا وتأكد رسُوخُهما فى قلوب الجلساء فإن ذلك ما ينبغى أن يتحقق فى شأن صفوة الخلق وهم عباد الرحمن ، فإن هذا التوصيف هو ما قالت الآية بحقه " يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات " .

ومن آداب المجلس أن يستمعَ النـاسُ إلى المتحدث فلا يليق بالجلساء الذين يتظللون بالإيمان والعلم أن يتحدثوا جميعاً فى وقت واحد ، وقد روى

---

(١) تفسير القرطبي جـ ١٧ ص ٢٩٧ .

جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله- ﷺ - فى حجة الوداع: " استنصت الناس " [(١)] ثم قال " لا ترجعوا بعدى كفاراً يضربُ بعضكم رقاب بعض " [(٢)].

ومن آداب الجلوس والاجتماع بالآخرين أن يبقى الجالس فى المكان الذى سَبَق إليه ، وهذا أمر — مع بساطته — يمثل أهميةً كبيرة فى إشعار كل جالس بحقه فى التمكن من مكانه، وعدم إزاحته عنه، فعن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى- ﷺ - قال: " لا يقيمُ الرجلُ الرجلَ من مجلسه ، ثم يجلس فيه" [(٣)] .

٣- ما يجب مراعاته عند الجلوس على الطرقات :

إن أقرب ما يجب الالتزام به فى هذه الأماكن هو التنفيذ لما أمرَ وحذَّر منه رسول الله ؛ استناداً إلى ما رواه أبو سعيد رضى الله عنه عن رسول الله – ﷺ – : " إياكم والجلوس بالطرقات ، قالوا : يا رسول الله ما لنا بدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله- ﷺ - إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " [(٤)] فهذه الأخلاق التى أكدها رسول الله، وأوجبها بحق من اضطرته ظروفه أن يجلس على حافة الطريق ، وبحيث يكون الجلوس إيجابياً مثمراً يتحقق منه الأدب والالتزام ، ويصاحبه - قدر الاستطاعة - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وفى المجالس — عموماً — لا

---

(١) أى مرهم بالإنصات .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

يتساوى الناس فى الالتزام بآداب المجالس فهم فـى أقـرب التـصورات جلـيس صالح وجليس سيئ كما ورد فى الحديث الذى رواه أنس رضـى الله عنـه قـال : قال رسـول الله- ﷺ - : " مثـل الجلـيس الـصالح كمثـل صـاحب المسك إن لم يصبك منه شيئ أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه " (١) .

تلك هى بعض الآداب الإسـلامية ، التـى تخـص مجـالس المـؤمنين علـى اختلاف مواضعها وأشكالها ، والتى ينبغى التمسك فيها بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله والله أعلم .

---

(١) رواه أبو داود والنسائي .

١١- البر بالوالدين

تبنى العلاقات بين الآباء والأبناء والأمهات على المحبة والمودة ، بينما يعد الخروج على هذه المبادئ من أكبر الذنوب التى ذكرها القرآن الكريم تالية للكفر بالله تعالى ، كما جعل الأمر بعبادته وَحْده أساساً فى التشريع ، ثم أعقبه بالإحسان إلى الوالدين ، هذا الأمر الذى تعدد ذكره فى القرآن الكريم ، وحضت عليه السنة النبوية .

١- خصائص علاقة الأبناء بالأباء والأمهات :

لقد ذكر القرآن الكريم بعضاً من أحوال العلاقات المتعددة ، والسلوكيات المختلفة ؛ لرصد خصائص العلاقات بين الأبناء والأباء ، ومن علاقات المحبة والمودة ما كان بين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، هذه التى أبرز القرآن الكريم مظاهر التعاطف والتراحم فيها ، أما علاقات النفور والعناد والعصيان والضلال ما كان فى حق نوح عليه السلام من قبل ابنه ، الذى جاهر بعصيان أبيه ، ولم يستجب لنداء الأبوة الذى يجب أن يكون خاضعاً للمحبة والمودة والطاعة والقبول .

وقد عرضت سورة الإسراء لأبرز ما يجب أن يكون عليه الحال بشأن علاقة الأبناء بالوالدين ، ونذكر فى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[1] وقد

---

(١) سورة الإسراء : الآية / ٢٣ ، ٢٤ .

عرض القشيرى – رحمه الله – لبعض تجليات العلاقة بين الأبناء والآباء فقال: "أمر بإفراده – سبحانه – بالعبادة ، وذلك بالإخلاص فيما يستعمله العبد منه ، وأن يكون مغلوبا باستيلاء سلطان الحقيقة عليه، بما يحفظه عن شهود عبادته، وأمر بالإحسان إلى الوالدين ، ومراعاة حَقِّهما ، والوقوف عند إشارتهما ، والقيام بخدمتهما ، وملازمة ما كان يعود إلى رضاهما ، وحسن عشرتهما ، ورعاية حرمتهما ، وألا يبدى شواهد الكسل وأن يبذل المُكْنة فيما يعود إلى حفظ قلوبهما ... هذا فى حال حياتهما أما بعد وفاتهما فبصدق الدعاء لهما ، وأداء الصدقة عنهما وحفظ وصيتهما على الوجه الذى فعلاه ، والإحسان إلى من كان من أهل ودهما ومعارفهما . ويقال إن الحق أمر العباد بمراعاة حق الوالدين ، وهما من جنس العبد .. فمن عجز عن القيام بحق جنسه أنىّ له أن يقوم بحق ربه " .

وقال القشيرى أيضاً بشأن الآية الثانية : " واخفضْ لهُمَا جناحَ الذل بحسن المدارة ولين المنطق ، والبَدار إلى الخدمة ، وسرعة الإجابة ، وترك البَرَم بمطالبهما والصبر على أمرهما ، وألا تدخر عنهما ميسورا [(١)] .

٢- متطلبات دعوة الإنسان إلى الإحسان بالوالدين :

لقد تعددت وصاية الله للإنسان بشأن الإحسان إلى الوالدين ، والبر بهما ومع أنهما قد قدما للأبناء ما يعينهم على النشأة والتربية ، لكن الإحسان إلى الوالدين فى كبرهما لا ينبغى أن يكون منظورا إليه على أنه رد لجميل سابق ، بل ينبغى أن يكون إحساناً وبراً ، ورحمة وعطفاً لواقع حاصل – كما يحسن أن يكون هذا الإحسان جزءاً كبيراً من طاعة الابن لله تعالى ؛ حتى تنكسر حدة المن

---

(١) لطائف الإشارات للقشيرى جـ ٤ ص١٥، ١٦ .

والتفضل على الوالدين ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾[(١)] ، وقال : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[(٢)] ، وقال : جلّت قدرته وعز قوله : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾[(٣)] فهذه الآيات وغيرها إقرار بحق الوالدين فى التقدير والاحترام .

وذكرت آيات بينات من كلام رب العالمين أهم ما يجب على الإنسان بحق عقيدته ، والذى تجلى فى توحيد الله وعدم الإشراك به ، ثم تلاه ببيان حتمية البر بالوالدين ، وذلك بالإحسان إليهما ، وعدم الإساءة لهما ، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[(٤)] .

فهذا الإحسان متعدد الجوانب ، وصوره كثيرة تتفق فى الأصول أو القواعد وتختلف فى التنفيذ من عصر إلى آخر .

فعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : " سألت النبى- ﷺ - أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين ، قلت ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله "[(٥)] .

ففى مقام العمل الإيجابى الهادف يتقدم بر الوالدين على غيره ، هذا الذى ذكره الرسول فى حديث قريب من هذا المعنى رواه عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما قال : " أقبل رجل إلى نبى الله- ﷺ - قال :

---

(١) سورة لقمان : الآية / ١٤ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية / ٨ .
(٣) سورة الأحقاف : الآية / ١٥ .
(٤) سورة النساء : الآية / ٣٦ .
(٥) متفق عليه .

"أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغى الأجر من الله تعالى ، فقال : " هل لديك من والديك أحد حَيّ ؟ قال : " نعم بل كلاهما " قال : فتبتغى الأجر من الله تعالى ؟ قال : " نعم " قال : " فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما " [١] .

فقد أمر الرسول بتقديم البر بالوالدين على الهجرة والجهاد فى سبيل الله فلا قيمة لهما إذا قام بهما من قصَّر فى حق والديه ، ولم يُحسن إليهما بالكلمة الطيبة والفعل الجميل .

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم .

١٢- الإحسان إلى الوالدين

تتعدد جوانب إحسان الأبناء إلى الآباء والأمهات ؛ التزاماً بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد اعتنت النظرية الإسلامية للحياة بالجانب التطبيقي للعلاقة بين الأجيال ، هذا الذى نهض به الرسول وأصحابه ، وسار على هديهم الصفوة من عباد الرحمن .

١- أبعاد العلاقة بين الأبناء والوالدين :

إن العلاقة بين الأبناء والآباء والأمهات لا تتوقف عند حدود فاصلة ، بل تشمل الكثير من جوانب الحياة التى يحتاجها الوالدان فى أحوال ضعفهما واحتياجهما إلى من يعينهما على الأعباء والمشقات ، ذلك أن وقائع السيرة المحمدية قد ذهبت فى معالجتها لمسألة التراحم والتعاطف بشأن الأبوين إلى الدرجة التى يزداد إعجاب المسلم فيها بشمولية الرحمة والعطف على الأبوين، حتى لو كانا مشركين ، ولنا فى هذا الشأن ما روته أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت : " قدِمَتْ علىَّ أمى ، وهى مشركة فى عهد رسول الله- ﷺ - ، فاستفتيتُ رسول الله- ﷺ - قلت : " قدمت علىَّ أمى وهى راغبة ، أفأصل أمى ؟ قال : " نعم : صلى أمك " (١) .

وهذا ما ينطوى تحت ظلال قول الله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) متفق عليه – وطامعة أى راغبة فيما عندى ، ومعنى : أفأصل أمى ؟ أى أتصدق عليها مع كفرها .

ﭐلْمُقْسِطِينَ ﴾[١] ، ذلك أن علاقة المودة والإحسان التى ينبغى أن تكون بين الأبناء والآباء لا تتوقف عند اختلاف الأديان ، وإنما يستمر ويبقى التواصل الحميم ، حتى لو فرقت الديانة بين الفريقين .

٢- ذكر بعض النماذج السلوكية بشأن البر بالوالدين :

لقد كانت علاقة سعد بن أبى وقاص مع أمه جديرة بان تبقى خالدة فى أعماق التاريخ لتفردها ، ولتعددُ الآيات القرآنية التى نزلت فيها ، وقد ذكر رضى الله عنه قصته بلسانه قال : " كنتُ رجلاً برا بأمى ، فلما أسلمت قالت : " يا سعد ما هذا الذى أحدثت لتدعن دينك هذا ، أو لا آكلُ ولا أشربُ ، حتى أموت فتعيرٌ بى ، فقال : لا تفعلى يا أمّه فإنى لا أدع دينى ، قال فمكثتْ يوماً وليلة لا تأكل ، فأصبحت وقد جَهِدَتْ ، فقلت : والله لو كانت لكِ ألف نفس، فخرجت نَفْساً نفساً، ما تركت دينى هذا لشيئ . فلما رأت ذلك أكلت وشربت، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢]

وروى الترمذى عن سعد قال : أنزلت فىَّ أربع آيات هذه الآية وآية العنكبوت ، وآية الأحقاف ، وآية الإسراء .

---

(١) سورة الممتحنة : الآية / ٨ .

(٢) سورة لقمان : الآيتان / ١٤، ١٥ .

إن كثيراً من الشباب والشابات خلال زمن القوة والصحة التى يعيشون فيها ينسون بغفلة مقيتة وسلوك بغيض كثيراً من حقوق الوالدين ويتجاهلون ما قدماه لهم ، وينظرون إلى اللحظة التى يحيونها غافلين عن حركة الحياة ، وأن المصير الذى آل إليه الأبوان سينتقل إليهم لا محالة ، مما يحتم على كل مؤمن ومؤمنة أن يرعى الله فى حقوق الأبوين ، وما يحب إن يظفرا به من المحبة والمودة والعطف والتقدير .

إن أحداث الحياة تشهد بسلامة وقائعها وطيب أيامها ولياليها مع كل مؤمن ومؤمنة لم يسيئا إلى الأبوين ، وتراحما معهما ، وعاشا تحت جناحيهما بالكلمة الطيبة والسلوك الحسن الممتلئ عطفاً وبراً وإحساناً ، وهكذا تكون الحياة من خلال التواصل الحميم بين الأجيال فى ظلال الإسلام .

١٣- الحرص على ضبط النفس

يتَسربُ الإعجاب بالنفسِ وتزكيتها إلى بعض البشر فيشعرون بتميزهم عن الآخرين ، ويكونون مُعرَّضين للغضب وما عليهم إلا أن يتحلوا بكظم الغيظ والتواضع ، وكبح جماح النفس كما كان الشأنُ فى حقِ عباد الرحمن .

١- تأثير الإعجاب بالنفس فى سلوك المؤمن :

يقدم عباد الرحمن نمانج إنسانية مضيئة للحياة ؛ حتى يقتدى الناس بها ، ويسيرون على منهاجها، احتكاماً إلى كلام رب العالمين ؛ واسترشاداً بسنة رسولنا الكريم الذى قال- ﷺ - : " بعثت لأتمم حسن الأخلاق "[1] .

وقد كان المصطفى- ﷺ - يتوجه إلى ربه بالدعاء من شرور النفس، التى ربما يوجد منها ما لا تقنع ولا تشبع ، وتجلى ذلك فى بعض أدعيته الكريمة ومنها : " اللهم نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا " وكان- ﷺ - يقول أيضاً : " اللهم إنى أعوذ بك من نفس لا تشبع " .

وفى ظلال هذا الهدى النبوى يذكر القرآن الكريم خمسة نفوس إنسانية هى : اللوامة ، والمطمئنة ، والأمارة بالسوء ، والمسولة ، والموسوسة بالإثم .

وفى ضوء ما ورد فيها – أى فى هذه النفوس – من القرآن الكريم تبرُزُ بعض الخصال المتعلقة بالنفس أيضاً وهى تزكيتها بمعنى مدحها ، والثناء عليها وقد تزيد عن بعض الحدود المقبولة فتزيد ثقة المرء بنفسه ، ويصير مصاباً بالغرور والتكبر عندما يرى ويستشعر تميزه عن الآخرين فيغضب

---

(١) رواه مالك فى الموطأ ، (كتاب حسن الخلق) .

ويثور وينفعل بدون ما يدعو إلى ذلك ، مع أن متطلبات الإيمان والثقة في الله تحتم على كل مسلم أن يضبط نفسه ، ويتحكم في غرائزه ولا يثور على الآخرين فيلحق بهم وبغيرهم من عامة الناس أضرارا تزيد وتنقص حسب طبيعة الموقف ، الذى عنَّ لهذا الثائر الغاضب الذى بلغ به الغرور والغضب مداه ، وأن الرغبة فى تغيير الفساد والمنكر في صورته العامة ينبغى أن ينطلق أساساً من الفرد الواحد أو الجماعة الصغيرة الذين عليهم أن يبدأوا أولاً بأنفسهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، كما أن نواتج هذا الانفلات تأتى نتيجة لكثير من العوامل التى لا ينبغى إهمالها أو السكوت عنها ، بل يجب معالجتها بحكمة وعدل وإنصاف .

٢- كيف يُعَد كظم الغيظ خُلقا إيجابيا بحق عباد الرحمن ؟

إن الغيظ صفة خلقية تعترى الإنسان فتدفعه إلى الحدة والتحرك المصحوب بالانفعال وعدم الرضا ، وقد يصل تأثيره فى الإنسان إلى الدرجة التى يثور فيها ويهيج فيُلحق أضراراً بالآخرين ، وقد يكونون من أقرب الناس إليه وكثير من الحالات تحتاج إلى المعالجة النفسية فى هدوء وسكينة وعدم انفعال.

وقد وردت هذه الكلمة كثيراً فى آيات القرآن الكريم ، لكن هذا الغيظ إذا ما أمكن السيطرة عليه ، ويكون ذلك باجتراعه والإمساك عن إبدائه ، ويحدث ذلك من خلال كظمه وإرجاعه إلى جوف الإنسان . ولذلك يأتى الغيظ فى حالته الخلقية المقبولة مقرونا بكظمه؛ ليتكون من مجموع الكلمتين خلق كظم الغيظ ،

---

(١) سورة الرعد : الآية / ١١ .

هذا الذى جعله الله سبحانه وتعالى من صفات المتقين ، هؤلاء الذين قال الله فى وصفهم : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

ومن مجموع هذا الكلام السابق يتأكد مدى احتياج كظم الغيظ إلى عزيمة قوية، وشخصية متميزة، تُحْسنُ التحكم فى عواطفها ومشاعرها فلا يسيطر عليها الهوى ، أما إذا فقدت النفسُ السيطرةَ على مكنوناتها فإن الانفلات يُهَيمنُ على السلوك المصاحب للغاضب .

٣- أخطار الغضب على شخصية المسلم :

إن الغضب خلق ذميم وسلوك شائن ينجم عنه – فى غالب الأحوال – ضرر كبير يلحق بالغاضب وبالآخرين ، وليس هذا من أخلاق عباد الرحمن ، الذين يتميزون بالحِلْم والصفح والإعراض عن الجاهلين .

فالغضب خلق سيئ يجتاح الإنسان فيفقدُه فى كثير من الأحوال السيطرة علي أقواله وأفعاله فينطق بما لا يجوز ، ويفعل ما يضر الآخرين ، وما على المسلم إلا أن يهدأ فى غضبه ويغير من وضعه ، ويسيطر على نفسه فلا يبالغ فى انفعاله ولا يفعل ما يتعارض مع مبادئ الإسلام .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال للنبى- ﷺ - : " أوصنى قال: " لا تغضب " فردَّد مراراً ، قال : " لا تغضب " (٢) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٣٤ .

(٢) رواه البخارى .



وروى أبو هريرة رضى الله عنه حديثاً آخر عن النبى- ﷺ - قال فيه : " ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب " (١).

ويفيد هذا الحديث أن سيطرة الشديد على نفسه فى حالة الغضب هى المعول عليه فى الحكم على المرء فإن الذى يقوى وينتصر على الآخر ويصرعه فليس ذلك هو الشديد ؛ لأن من يسلك هذا المسلك وينجح فيه مرة لكنه لن يستطيع أن يحقق الفوز بشدته دائماً ، وعليه فإن المنتصر الحقيقى هو الذى يسيطر على نفسه فى حالات الغضب ، ويقهر نزواته ولا يستثمر قوته فى إهانة الآخرين والاعتداء عليهم وإتلاف ممتلكاتهم ، أو الممتلكات العامة التى هى ملك للجميع ، والتى يجب أن يضبط الإنسان نفسه حيالها ؛ لأن أى إتلاف لها ينعكس سلباً على بقية الناس ، وقد كان أصحاب رسول الله وسائر عباد الرحمن نماذج متميزة فى كظم غيظهم ، ومقاومة أنفسهم والسيطرة عليها ، قبل أن تنجرف إلى الغضب المدمر الذى يضر ولا ينفع .. والله الهادى إلى سواء السبيل .

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

١٤- صلة الأرحام

لقد أوجب اللهُ على الإنسان أن يَصلَ نوات أرحامه ، تأكيداً للأهمية القصوى في نشر المحبة بين نوى القربى ، وتحريم قطعها ، كما ارتبطت هذه الصلة بالرحم ، التي يتكون فيها الجنين تأسيساً لخلقٍ جديد .

١- حديث القرآن الكريم والسنة النبوية عن صلة الرحم :

لقد قال الله تعالى في أول سورة النساء : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ (١) أي واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً عنه ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها .. ويعبر هذا المقطع من الآية عن حتمية التماسك والترابط بين مكونات المجتمع الإنساني ، ويأتي هذا ابتداء بين الأقارب ، فإذا ما صلحُت الحياة بينهم ، وتماسكوا وترابطوا فإن ذلك مدعاةٌ لنشر المحبة بينهم وانتقالها إلى الآخرين .

ونأتي إلى حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله- ﷺ - : "إن الله تعالى خلق الخلق،حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال: " نعم أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك " قالت: بلى، قال: " فذلك " ثم قال رسول الله- ﷺ-: " اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النساء : الآية / ١ .

(٢) متفق عليه .

والواضح من نص هذا الحديث أن الرحم قد تجسدت كياناً مستقلاً ، واستجارت بالله تعالى ممن يقطعونها ، ولا يصلونها ، فأعطاها الله سبحانه وتعالى وعداً بمكافأة من يصلها وعقاب من يقطعها ، ثم انتقل الحديث من قدسيته إلى إثبات ما ورد بحق القاطع لذوات أرحامه ، وذلك فى الآية القرآنية التى جعلت تقطيع الأرحام وعدمَ وَصْلها والإحسانَ إليها ، وذلك بالإفساد فى الأرض ممن لعنهم الله وأصابهم بالصمم والغيبة عن الحق ، وحَجْب أبصارهم ، وإصابتها بالعمى ، وفقد الرؤية التميزية عن صلة ذوات الأرحام.

٢- معايير صلة ذوات الأرحام :

يظنُ بعض الناس أن المعالجة الإيمانية لذوات الأرحام تقتصر على هدية مادية أو عينية يدفعها المؤمن بين حين وآخر لأقاربه،معتقداً أن ذلك يكفى فى ترطيب العلاقة بينه وبين من يصلهن من ذوات الأرحام ، ولكن العلاقة الإنسانية بين الأقارب أكبر من ذلك ، إذ عندما تتداعى ، وتقترب القطيعة فإن الوصال المادى آنذاك لا يكفى لمعالجة هذه العلاقة ، ولكن الذى يجب فعله فى أمثال هذه الحالة أن يبادر القريب إلى صلة الرحم المقطوعة ، ويكون ذلك مبادرة إيمانية رائعة تحدث آثارها فى العلاقة بين الأقارب ، ونذكر فى هذا الشأن أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ ، وأحلم عنهم ويجهلون علىّ . فقال : " لئن كنت كما قلت فكأنما تسفِّهم الملّ ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دُمْت على ذلك " [١] والملّ : هو الرماد الحار ، والمعنى أى " كأنما تطعمهم الرماد الحار ، وهو تشبيه لما

---

(١) رواه مسلم .

يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم،ولا شيئ على هذا المحسن إليهم، لكن ينالُهم إثمٌ عظيم بتقصيرهم فى حقه، وإدخالهم الأذى عليه" [١].

ذلك أن الإنسان عليه أن ينظر إلى تصرفاته، ويقوّم ما أعوج منها . فإذا ما استقبلت تصرفاته الإيمانية المفيدة استقبالا حسنا فنعم ذلك إن أساء الآخرون إليه، ولم يحسنوا فى سلوكياتهم معه فلا شيئ عليه، بينما يتحملون هم سائر التبعة، وقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى- ﷺ - قال: " ليس الواصل بالمكافئِ، ولكن الواصل الذى إذا قُطعت رحمه وصلها "[٢].

٣- كيف يكافأ الواصلون لأرحامهم :

إن الأفعال الإيجابية المفيدة لا يضيع ثوابها بين الله والناس ، وقد ذكرت أحاديث رسول الله- ﷺ - الكثير من المكافآت التى ينالها الواصل لذوات أرحامه، ونذكر فى ذلك ما رواه أنس رضى الله عنه أن رسول الله- ﷺ - قال : " من أحبَّ أن يُبْسَط له فى رزقه ، ويُنْسأ له فى أثره فليصل رحمه " [٣].

وقد اشتمل هذا الحديث على مكافأتين للواصل لرحمه ، أولهما : أن يبسط الله له فى رزقه بدون تحديد لهذا الرزق ؛ حتى يكون شاملاً ومفيداً . وثانيهما أن يمد الله فى عمره ؛ حتى يكون من خيرة عباد الله المتقين ، الذين تطول أعمارهم وتحسن أعمالهم ، وهذا الفريق الذى يمثله عباد الرحمن يصيرون – بحسن صنيعهم – نمانج هادية لسائر الخلق ، كما أن الواصل

---

(١) رياض الصالحين ص ١٥٤ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

لأرحامه يحظى بمجالسة الرسول- ﷺ - حـال وجـوده ، بينمـا يُحْـرم منهـا القاطع لها ، وفى هذا الشأن روى عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال : " كنا جلوساً عند النبى- ﷺ - قال : " لا يجالسنا اليوم قاطع رحم ، فقـام فتـى من الحلقـة فـأتى خالـة لـه ، قـد كـان بينهمـا بعـض الـشيئ فاسـتغفر لهـا ، واستغفرت له ثم عاد إلى المجلس ، فقال النبى- ﷺ - : " إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم " [١] إلى غير ذلك من المكافأت الإلهية التـى يمنحهـا الله تعـالى للواصـلين لأرحـامهم ، هـؤلاء الـذين يمثلـهم عبـاد الـرحمن قـديما وحديثاً ... والله أعلم

---

(١) رواه الأصبهانى ، كما رواه الطبرانى مختصراً .

١٥- إعطاء الحقوق لذوى القربى

تتواصلُ العلاقات الاجتماعية بين الناس ، وتنمو وتزدهر إذا اشتملت الأقارب ، وهم ذوو الأرحام ويزيدون عليهم ، فذوو الأرحام ما كانت صلاتهم مبنية على الارتباط بالرحم .

١- كيفية إكرام ذوى القربى :

لقد حضّ الإسلام على معاونة ذوى القربى ، وإسداء المعروف لهم ، وإذا لم يكن القرآن قد نصّ صراحة على توريث ذوى القربى فإنه قد حث على معاونتهم ، وإعطائهم شيئاً من الميراث مساعدة لهم ، وتطييباً لخواطرهم، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[1] على أن يكون ذلك قبل القسمة، وإذا كان المال قليلاً ولا يقبل التجزئة ، فالأولى الاعتذار لهم بلطف ومعروف ، وقد ترك الناس هذا الأمر المندوب منذ عهد الصحابة حتى قال بعضهم إنه نسخ بآية المواريث ، أو بآية الوصية، وهذا العطاء والرزق المدفوع إلى ذوى القربى ، وإن كان قليلاً غالباً ففيه أجر عظيم ؛ لأنه يطهرُ النفوسَ ، ويصلُ القربات ، ويُميت الكراهية والبغضاء .

وقد شرع الله الوصية قبل الموت ، وجعلها ﴿ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2] ، ولما نزلت آية المواريث ، وفُرضت

---

(١) سورة النساء : الآية / ٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ١٨٠ .

الفرائض نسخ الله حكم الوصية بالنسبة للوالدَيْن والأقربين (الوارثين) وبقى حكم الوصية قائماً لمن لا يرث من الأقربين من ذوى الأرحام ؛ لأنه لا وصية لوارث .

وهكذا أعطى الله سبحانه وتعالى الأقارب كلّ هذه الرعاية والعناية فأوصى بصلتهم ، وحذّر من قطيعتهم ، وأوجب لبعضهم حقوقاً فى الميراث ، ومن لم يرث جعله أحقّ بالوصية ؛ ليعلم كل مسلم ما عليه من تبعات تجاه أقاربه ، فلا يتحلل منها ، بل ينهضُ بها ؛ لتعم المحبةُ ، ويكثرَ الود ، وتتلاشى الكراهية بين النفوس المؤمنة بالله تعالى .

٢- الأخطار التى تترتب على الانحياز لذوى القربى :

لقد حذّر القرآن الكريم من قطيعة الرحم ، وجعلها كالإفساد فى الأرض أو نوعاً منه قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾(١) .

ولا ينبغى أن ينحاز الواصل إلى ذوى قرباه كلية ، خاصة إذا كانوا ظالمين جائرين ، فهذا الانحياز ليس صلة ، وإنما هو عصبية حمقاء وضلالة عمياء ، والأفضلُ إسداءُ النصيحة لهم ، وتوجيههُم إلى نواحى الخير ، ودفعهُم عن مواطن السوء ، ومنعُهم من الجوْر والضلال ، وأثبت القرآن حق ذوى القربى ، الذى يجب على الواصل بذله ، قال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٢) ، ولعل الآية تقصد إلى الحق المادى ، إذ يؤكد ذلك قوله " ولا تبذر تبذيراً " .

---

(١) سورة محمد : الآيتان / ٢٢، ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء : الآية / ٢٦ .

فالتبذير ينطوى على معان غير مقبولة ، لأن إعطاء نوى القربى أكثر مما يستحق غير جائز على الإطلاق ، إذ يُعَدُّ تعصباً لهم وانحيازا غير مقبول ، إذ ربما يلحق أضراراً بالآخرين .

٣- الأضرار التى تترتب على ظلم ذوى القربى :

لقد قال الرسول- ﷺ - عن ربه تعالى : " يا عبادى إنى حرمتُ الظلم على نفسى، وجعلتهُ بينكم محرّما فلا تظالموا وكونوا عباد الله إخواناً ... " (١).

وقال- ﷺ - لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : " واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " (٢) . ولله درُّ القائل :

لا تظلمَنَّ إذا ما كنت مقتدرا ∴ فالظلمُ يَرْجعُ عقباه إلى الندم

تنامُ عيناك والمظلومُ منتبه ∴ يدعو عليك وعينُ الله لم تنم

ومن أشد أنواع الظلم ما يكون فى شأن الميراث ، الذى أقره الله وأثبت فيه لكل ذى حق حقه ، فإذا كان القريب أخاً أو عمًّا ، وظلم قريباً أو ذا رحم فإن ذلك يترك آثاراً سيئة في نفوس من وقع عليهم الظلم ، ويورث الأحقاد للأحفاد وللأجيال التالية التى ترى الآخرين يتمتعون فيما كان ينبغى أن يؤول إليهم ، فالظلم من الكبائر، التى يحاسب الله العباد عليها حساباً شديداً خاصة إذا لحقت بالقريب ، الذى يستحق أن ينال العطف والمحبة .

ومما يعبرّ عن أخلاق عباد الرحمن فى شأن الإحسان إلى نوى القربى ما رواه على رضى الله عنه قال : قال النبى- ﷺ - : " ألا أدلُّك على أكرم أخلاق

---

(١) من حديث طويل رواه مسلم والترمذى .

(٢) البخارى ومسلم .

الدنيا والآخرة: أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وأن تعفو عمن ظلمك"[١].

والقرابة من القرب المادى والمعنوى ، والذى يجب مراعاته من خلال ذوى القربى كالعمات والخالات وغيرهن اللائى يشكلن بعض أركان الأسرة ، والتى فيها تتكون الأمة ، بمن فيها من الرجال والنساء والأطفال ، وقال الرسول- ﷺ - فى شأن العلاقة بين هذه الشرائح الاجتماعية المتقاربة " يا أمة محمد ، والذى بعثنى بالحق ، لا يقبلُ الله يوم القيامة صدقة " من رجل ، وله قرابة محتاجون إلى صدقته ، ويصرفها إلى غيرهم ، والذى نفسى بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة"[٢].

صدق رسول الله - ﷺ - فى دعوته وبيانه ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

١٦- ضبط الكيل والميزان

يرتبط ضبط الكيل والميزان بأخلاق إسلامية متعددة تشمل البشر جميعاً ، حكاماً ومحكومين ، كالعدالة التى يُعتبر عدم ضبط الموازين وسائر أدوات التقويم خرقاً لها ، واعتداء على ضوابطها ومعاييرها .

ويُعد هذا الخرق ظُلْماً بيِّناً ، إذ أن آثاره تنعكس على الكثيرين ومنهم الفقراء والضعفاء الذين يكونون فى أشد الحاجة إلى ما يَحْيَوْنَ به ويعيشون عليه ، فإن هذا الظلم يحتاج فاعلوه إلى من يردعهم ويردهم عن غيهم ، ويُسْلمهم إلى المنهج الصحيح حتى لو وصل الأمر إلى حبسهم أو إبعادهم عن وطنهم ، وليس فى الشريعة الإسلامية ما يخالف ذلك .

١- ضوابط الوفاء فى الكيل والميزان :

تعد الأمانة من أهم الصفات الخلقية التى يجب على المسلم الالتزام بها والحرص عليها فإذا ما خرج على ضوابط الكيل والميزان فإنه يعد من الخائنين للأمانة التى تتجلى مظاهرها فى إعطاء الحقوق لأصحابها من غير زيادة أو نقص .

إن المؤمن التقى الورع ينبغى أن يحرص على إعطاء الحقوق لأصحابها ، ومراعاة شعور المسلمين من ناحية أسعار السلع وعدم إحتكار الأطعمة ومجانبة الغش والخداع والتدليس والإيذاء .

ويجب الالتزام بسائر الأخلاق الحسنة التى تسير بها حركة الحياة مع مراعاة السهولة فى البيع والشراء ولين القول ، وعدم الغش وما شابه ذلك مما ينتشر فى كثير من البيئات الإسلامية .

إن الحاجة إلى ضبط الكيل والميزان لا يقتصر على مجموعة من الثمار والحبوب التى يستعان فيها بالكيل لإثبات الحق ، أو يكون الضبط من خلال

الموازين التى يُعْرف بها التقدير الصحيح للأشياء ، ولكن هذه القضية أكبر من ذلك ، فهى تشمل الحكام والمسئولين على اختلاف درجاتهم ، إذ يجب عليهم ألا يفرقوا بين شخص وآخر فى سائر متطلبات الحياة كما يتصل الأمر فى تقدير المعلمين لمستويات أبنائهم من الطلاب ، ويتواصل الأمر فى هذا الضبط والتدقيق إلى القضايا المعروضة على جهات الاختصاص ، تلك التى اعتبر الميزان فيها رمزاً منضبطاً إذ ينبغى أن يكون التوازن والتساوى هو الفيصل فى الحكم والتقدير .

٢- حديث القرآن والسنة عن ضبط الكيل والميزان :

لقد تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن وجوب الوفاء والضبط للكيل والميزان قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾(١).

وجاء الخطاب فى القرآن الكريم على لسان شعيب إلى قومه فقال : ﴿ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾(٢) ، وامتدح القرآن أسلوب يوسف عليه السلام فى المعاملة وتحقيق العدالة فقال تعالى على لسانه : ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾(٣).

وتعد آية الإسراء من بين الآيات المباركات التى تضع مجموعة من المعايير الإسلامية لسلامة المجتمع وضبط أحواله،فقال تعالى فيها : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٤).

والقسطاس المستقيم فى هذه الآية هو الميزان المعتدل ، الذى يعد استواؤه

---

(١) سورة الأنعام : الآية / ١٥٢ .

(٢) سورة هود : الآية / ٨٤ .

(٣) سورة يوسف : الآية / ٥٩ .

(٤) سورة الإسراء : الآية / ٣٥ .

وعدم ميل أحد جوانبه رمزاً للعدالة بين الناس .

وتضع مقدمة سورة المطففين رصداً لطبائع البشر ممن لَعبت رغائب الدنيا بتوجهاتهم من خلال اختلافهم فى التقدير ، وضبط أمور الكيل والميزان وذلك بالتفريق بين حالة الكيل لهم أو حالة الكيل منهم ، إذ أن الاختلاف فى معايير الكيل بين حالة وآخرى يَنُم عن ظلم بين ، وتجاوز بغيض ، لما أمر الله سبحانه وتعالى بضبطه واستيفائه وتحقيق العدالة به .

وقد رَوى ابن عباس رضى الله عنهما قال : " لما قدم النبى– ﷺ – المدينة كانوا أخبث الناس كيلاً فأنزل الله عز وجل ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ فأحْسَنُوا الكيل بعد ذلك "(١) وجاء التحذير فى مفتتح هذه السورة بإعلان الويل والعذاب للمطففين ، الذين تحددت جريمتهم فى التطفيف ، وهو مخالفة فى الكيل ومثلها التجاوز فى الميزان ، وأعقب هذا التجاوز فى بيان هذه المخالفات توجيه اللوم والعقاب لهذا الفريق من البشر، وإشعارهم بيوم البعث وهو يوم عظيم بما فيه من قيام الناس لربِّ العالمين ، وروى ابن عباس عن النبى قال : قال– ﷺ – : " خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سُلِّط عليهم عدوهم ، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقرُ ، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا ظهر فيهم الطاعون ، وما طففوا الكيل إلا مُنعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حَبَس الله عنهم المطر " (٢) .

تلك هى معايير الضبط للكيل والميزان ، وبيان أثر مخالفتها على أفراد المجتمع عامة .

---

(١) رواه ابن ماجة ، وابن حبان ؛ فى صحيحه والبيهقى .

(٢) خرجه أبو بكر البزار بمعناه ، ومالك بن أنس أيضاً من حديث بن عمرو وذكره القرطبى فى كتاب التذكرة وكتاب التفسير .

١٧- ضوابط الصداقة فى الإسلام

يهدف الإسلام إلى تنمية العلاقات الاجتماعية ، التى تقرب بين الناس، وتُنَمِّى أواصر الصداقة فيما بينهم انطلاقاً من الحرص على أن يحيا الناس أحباءَ متقاربين ، ولا يليق بالمسلم أن يعيش منعزلا عن الآخرين ، لا يتألم لما أصابهم ، ولا يُسَرُّ بما يسعدهم ، ولذا كانت الصداقة الحقة خلقاً إسلاميا يجب التمسك به ، والحرص عليه ، ولأنها علاقة خاصة تنشأ بين شخصين أو أكثر، أو بين جماعة مع أخرى ، وتنمو وتزداد فتكون بين الشعوب .

١- ضوابط الصداقة :

تُبنى الصداقة على ما اشتقت منه وهو الصدق ، فإذا صادق المسلم إنساناً، وتخلت العلاقة بينهما عن الصدق ، واستشرى فيها الكذب فليست بصداقة ولا يُعَد المشاركون فيها من قبيل الأصدقاء ، وأشهر الصداقات فى تاريخ الحياة الإسلامية ما كان بين الرسول- ﷺ - وصاحبه أبى بكر الصديق ، فقد تأسست العلاقة بينهما على الإيمان والصدق ، وكان أبو بكر أول المسلمين من الرجال حيث آمن برسول الله ، وبما أُنزل عليه ، وصدَّقه في كل ما جاءه عن ربه، واشتهر بلقب الصديق منذ أن صدَّق الرسول في حادثى الإسراء والمعراج ، وكان صاحبه وصديقه فى الهجرة إلى المدينة المنورة ، ودخلا معا غار ثور ، واختبئا فيه لمدة ثلاثة أيام ، وفى أثناء ذلك تسرب الخوف إلى أبى بكر ، وخشى من إجهاز المشركين عليهما ، والدعوة الإسلامية فى منتصف الطريق ، فقال له الرسول – ﷺ – : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، وتلا عليه قول الله

تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾(١) .

وتهدف دعوة الإسلام إلى الحرص على التجمع الهادف بين المسلمين ، ذلك الذى يتحقق فى مناسبات كثيرة مثل صلاة الجمعة والأعياد والحج ، وكثير من العبادات التى حضّ الإسلام على التجمع فيها بين أفراد الأمة ، ولذا يَعُدُّ اعتزال الناس وعدم مخالطتهم تفويتاً لعبادات كثيرة مثل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإذا استشرى العجز عن إمكانية تحقيق ذلك ، ونأى المسلم بنفسه عن حسن التعامل مع الناس ، فإن هذا يُعَدُّ إخلالاً بواجبات المسلم نحو الآخرين ، إلا إذا كان الاختلاط متواكباً مع عدم قدرته على التغيير ، فعند ذلك يُعذر فيما سار إليه نحو النأى بنفسه عن الاختلاط ، ولذا يجب أن يراعى المسلم حالته من حيث التجمع مع الآخرين أو الابتعاد عنهم حسب أحواله والظروف المحيطة به .

ولابد أن تُبْنى الصداقة الحقيقية على التقوى ، التى يتلاقى فيها المؤمنون العارفون لواجباتهم نحو الآخرين قال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٢) .

وتحتاج الصداقة لمن يحافظ عليها ،ويصونها وينميها بالإخلاص والصدق، والصبر على أذى الآخرين ، وهذا شرط مهم فى سبيل الحرص على استمرار

---

(١) سورة التوبة : الآية / ٤٠ .

(٢) سورة الزخرف : الآية / ٦٧ .

الصداقة وتواصلها ، قال- ﷺ - : " المؤمن الذى يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " (١) .

وينبغى أن تبرأ الصداقة من الأغراض الذاتية ، وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى ، وأن تنمو وتزهر ، ثم تثمر فى طريق الإيمان والإحسان والارتقاء إلى الحب فى الله تعالى .

٢- آثار الصداقة الصادقة :

إن الصداقة فى ظلال هذه الاشتراطات تبقى راسخة وقوية ، وتنعكس بآثارها الإيجابية على الفرد والجماعة ، وللأصدقاء من خلال ذلك درجات عليا من الثقة فى الله ، وعدم الخوف من أذى الآخرين ، وقد روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله- ﷺ - : " إن من عباد الله ناساً ، ما هم بأنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله ، قالوا يا رسول الله فخبرنا : من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فو الله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ : "ألاَّ إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (٢) .

والواضح فى هذا الحديث أن الصداقة الصادقة لابد أن تبنى على الحب تحت مظلة الإيمان وفى ظلال ذلك ينبغى أن ينظر المسلم إلى سلوك صديقه، إذ يمكن الحكم من خلال الشخص الذى يصادقه مصداقاً لقول رسول الله- ﷺ - :

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه أبو داود .

" المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل " [1] .

وتُنَمَّى الصداقة بالتعاون على الخير والتواصل بالإخلاص والصدق ، ولذا يجب على الصديق أن يخبر صديقه بما يكنه له حتى تنمو الصداقة على الخير وفي ذلك يقول رسول الله– ﷺ –:"إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه"[2]

وقال : " إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه ، وممن هو فإنه أوصل للمودة " [3] .

إن الصداقة الحقيقية المبنية على الصدق ، والخالية من الرياء ، خلق إسلامى حميد ، تنميها سلوكيات حميدة ، مثل الهدية والاجتماع على الطعام الحلال ، والتواصي بالحق والصبر ، والتعاون في الخير ، والحرص على الإحسان إلى الصديق ، وعدم الإساءة إليه والتفضل عليه بالنصيحة ، والمحافظة على أسرار ه ، ولكل هذه الاعتبارات يعد الصديق الوفى عزيز المنال فإذا تحقق وجوده وجب الحرص عليه ، والتمسك به وعدم الإساءة إليه ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه الترمذى .

١٨- تقدير العلماء

لقد أوجب الإسلام ضرورة التقدير للعلماء ، فهم ثروة عظيمة للدين والوطن بما يمثلونه من توجيه صحيح لغيرهم وملاذ للراغبين في العلم والمعرفة ، وقد أوجب القرآن والسنة ضرورة الاتجاه إليهم بالأسئلة فيما غاب بيانه ، واستغلق فهمه ، من ذلك قوله تعالى في بداية آيات كثيرة " يسألونك" وقوله تعالى : ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١] .

١- تقدير الخبرة والمعرفة :

لقد استعان الرسول– ﷺ – بأهل الخبرة في أحوال كثيرة من حياته ، واختار زيد بن ثابت ، ليكون مترجماً ومختصاً بالكتابة له ، ولما مات قال أبو هريرة : " اليوم مات حَبْرُ هذه الأمة ، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خَلَفا " . وتعددت استعانات ألرسول ، بأهل العلم والخبرة في الهجرة النبوية وفي المعارف العلمية،مثل استعانته بالطبيب العربي القديم (الحارث بن كَلَدة) كما جاء الإعلان عن الصلاة مرتبطاً برؤيا دقيقة ، رآها الصحابي عبد الله بن زيد فيما يخص الإعلان عن الصلاة ، وارتبطت المعرفة بالعلم من خلال ما جاء في القرآن الكريم والسنة داخل حدود كلمة " الفقه " التي جاءت على لسان رسول الله– ﷺ – بقوله : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين[٢] " وكانت ولا زالت دعوة الإسلام مرتبطة بالسعي إلى العلم ومعرفة شتى جوانبه ، ولذا وجب تقدير العلماء فهم ثروة عظيمة للدين والحياة ويستحقون المراعاة ،

---

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٧ ، النمل : الآية / ٤٣ .

(٢) رواه الأربعة ، واللفظ للبخاري .

وتحقيق الكثير من مطالبهم مما يؤهلهم لإرشاد الناس إلى ما فيه صلاح الدين والدنيا ، ويترتب على عدم تقديرهم أن يلجأوا إلى الهجرة خارج الوطن، مما يعد هذا التوجه ضرراً كبيراً يؤثر فى واقع الأمة ومستقبلها ، فإن أقلام العلماء التى يوظفونها توظيفاً صحيحاً تعد سياجات واقية لنشر السلام،وتحقيق الأمن على أرض الواقع،ويأتى توفيرهم تأييداً وتحقيقاً لدعوة الإسلام إلى ذيوع العلم، ونشر الفكر ، ونبذ الجهل ، فالصفوة من هؤلاء الصفوة مشاعل مضيئة على طريق الصلاح والإصلاح ، وهم بخشيتهم الله يعطون القدوة والمثل الطيب لغيرهم من بقية الخلق،قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[1].

وذكر القرطبى – رحمه الله – أن العلماء المعنيين فى هذه الآية هم "الذين يخافون قدرته ، فمن علم أنه عز وجل قدير أيقن بمعاقبته على المعصية "[2].

٢- دلالات تقدير الله للعلماء :

تعطى الآية دلالات قوية فى شأن العلماء بهذه الآية بمعنى أن ارتباطهم بهذه الخشية يتطابق مع إطلاق مصطلح العلم عليهم ، فإن تخلّوا عن خشية الله وابتعدوا عن صحيح العبادة فليسوا بعلماء ، وفيما يتصل بفضلهم ووجوب تقديرهم أسند الدارمى قال : قال رسول الله – ﷺ – : " إن فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم " ثم تلا هذه الآية – إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله وملائكته وأهل سماواته وأهل أرضهِ والنون فى البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير "[3] .

---

(١) سورة فاطر : الآية / ٢٨ .

(٢) تفسير القرطبى جـ ١٤ ص٣٤٣ .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسير جـ ١٤ ص٣٤٤ .

ونظراً لهذه القيمة المتميزة للعالم الثقة فقد ذكرها رسول الله- ﷺ - بقوله: " وموت قبيلةٍ أيسر من موت عالم"(١) تقديراً لدور العلماء فى توجيه الناس إلى ما يجب العمل به والحرص عليه، وقوله- ﷺ - : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسُئلوا فأفتَوْا بغير علم ، فضلوا وأضلوا " (٢) .

ومن دلالات تقدير الله للعلماء ما ورد بشأن عدم استوائهم مع غيرهم ، وذلك مدعاة ليقظة أولى الألباب ، وتذكرهم لقيمة العلماء بكل أشكال التوقير والتبجيل ، ومن أقلها التقدير بالكلمة الطيبة ، وذلك عند الحديث عنهم أو توجيه الخطاب لهم ، ولا يقتصر ذلك على سائر الناس ، وإنما هو توجيه ينبغى أن يكون عاماً ، ويأتى من القيادات التى تملك توجيه الكلمة وتنبيه الناس إلى حقوق العلماء ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٣) .

وينبغى أن يراعى عند التقدير حفظةُ كتاب الله ، الذين يعملون به ويقودون الناس إليه بالكلمة الطيبة والسلوك الحسن .

فعن ابن مسعود (عقبة بن عمرو البدرى الأنصارى) رضى الله عنه قال : قال- ﷺ - : " يؤم القوم أقرؤُهُمْ لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواء

---

(١) أخرجه الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء .

(٢) رواه الشيخان والترمذى .

(٣) سورة الزمر : الآية / ٩ .

فأعلمهُم بالسنة ، فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سناً ولا يؤُمَنَّ الرجل الرجل فى سلطانه ، ولا يقعد فى بيته على تكرمته إلا بإذنه " (١) .

إن إكرام العلماء ينبغى أن يكون وفقاً للمستوى الذى يرتقى إليه الرجلُ فى علمه ، تلك هى المنزلة التى ينبغى أن يوقر عليها وفق مستواه بين أقرانه، وفى ذلك ما روى عن رسول الله – ﷺ – قال : " أنزلوا الناس منازلهم " (٢) .

فهذا الإنزال بالدرجة التى يرتقى إليها الشخص هو ميزان عادل ، يقوم بمقتضاه العلماء مع مراعاة التفرقة بين عالم ،وآخر ، مع حتمية الحرص على التقدير والتبجيل للعلماء جميعاً .

---

(١) رواه مسلم وأحمد : فأقدمهم سنا : أى فى الإسلام – وقوله فى سلطانه : بمعنى أن رب الدار مقدم على الضيف، وتكرمته : أى وسادته .

(٢) رواه أبو داود .

١٩- الحفاظ على الأسرار

الحفاظ على الأسرار خلق إسلامي حميد ، ومقياس لمستوى قدرة المؤمن في السيطرة على نفسه ، ومغالبة نزعته في البوح بما يجب ستره وكتمانه عن الآخرين ، وليس ذلك في جميع الأحوال بكل تأكيد ، إذ يجب على المؤمن أن يبوح بما شاهده وعلمه من أمور يجب كشفها لإقرار الحق ، ودفع الباطل ، ومقاومة المنكر ، الذى يعد ستره والسكوت عليه وعدم إعلانه جرماً كبيراً وفساداً في الأرض ، وإساءة بالغة للإسلام والمسلمين .

١- معنى السر وقيمة الحفاظ عليه :

السرّ ما يسره المرء في نفسه من الأمور التي يجب كتمانها وإخفاؤها ، والله تعالى هو العالم بكل الأسرار على اليقين ومحاولة اختراق هذا العلم بأية وسيلة، والإدعاء بالوصول إلى ما في الغيب من أسرار يعد دجلا وكذبا وخداعاً، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [(١)] وقد تأكد ذلك بما جاء في القرآن الكريم ، أما الأسرار التي يتصل بيانها بالبشر ويتطلب السلوك الإنساني أن تبقى مختزنة لا يباح بها فإذا لم يلتزم المؤمن بذلك ، وانفرط لسانه في إذاعتها ونشرها بين الناس فعليه وزر ما يترتب عليها من نتائج وإساءات تتصل بمن تضرر بها أفراداً وجماعات ، وقد تلحق بمن أذاع السر ونشره ، فعليه تأتي التبعة بعد أن تخلى عما يجب حفظه وكتمانه ، ويعتبر السر صورة من صور الأمانة ، ولذا ينبغي ستره وعدم الإفصاح عنه .

---

(١) سورة النحل : الآية / ١٩ .

وقد تجلى الحفاظ على الأسرار في حياة الرسول– ﷺ – ، وخاصة في أحداث الهجرة النبوية، فقد اقتصر الإخبار عنها على عدد محدود قد لا يتجاوز ثمانية أشخاص دعت الضرورة إلى إعلامهم ، لينهض كل منهم بدوره في هذا الحدث العظيم ، وكان اختفاء الرسول وأبو بكر في غار ثور ثلاثة أيام جزءا من الالتزام بالسرية والكتمان ، وذلك وفق ما دعا إليه– ﷺ – وأقرَّ به فقال : " استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان لها فإن كلَّ ذى نعمة محسود" (١) .

وقد أوصى أبو بكر قائده " شرحبيل بن حَسَنَة " فقال له " وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرم مثواهم ، وأقلل حَبْسَهم ، حتى يخرجوا من عندك ؛ وهم جاهلون بما عندك ، وامنع مَنْ قِبلك من محادثتهم ، وليكن أنت الذى تلى كلامهم ، واستر فى عسكرك الأخبار ، واصدق الله إذا لقيت ولا تجبن فيجبن سواك" (٢) .

٢- أهمية المحافظة على الأسرار :

تعد المحافظة على الأسرار أكثر أهمية من المحافظة على الأموال وقد قال عمر بن عبد العزيز : " القلوب أوعية الأسرار ، والشفاه أقفالها ، والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل امرئ مفتاح سره ، وإذا تجاوز السر الاثنين فلا يكون سرا " .

---

(١) أورده الخرائطى فى اعتلال القلوب ، وأورد الطبرانى فى المعجم الكبير هذا النص : " استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان ، فإن كل ذى نعمة محسود " .

(٢) أحسن الكلام جـ ٦ ص٣٧٤ .

قال الشاعر :

إذا المــرء أفــشى ســرَّه بلــسانِهِ ∴ ولام عليــه غــيرَه فهــو أحمــقُ

إذا ضاق صدر المرء عـن سـرِّ نفـسهِ ∴ فصدرُ الذى يستودع السر أضيقُ

ويكون الإعلان وعدم الكتمان واجباً فى بدء الزواج قال رسول الله- ﷺ -: " أعلنوا النكاح " (١).

أما إذا بدأت الحياة الزوجية فإن أخطر ما يذاع من الأسرار ما يكون بـين الزوجين من الأمور الخاصة ، التى تخصهما وحدهما فقـال- ﷺ - : " إن مـن أشر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يُفضى إلى المرأة وتفـضى إليـه ، ثـم ينـشر أحدهما سر صاحبه" (٢) .

إن الحفاظ على الأسرار خلق متعدد الجوانب ، تراعى فيه مصلحة الفرد والجماعة،وذلك ما يجب الحرص عليه والالتزام به .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ، وجاء فى مسند البزار هذا النص : " اعلنوا النكاح ، واضربوا عليه بالغربال يعنى " الدف " .

(٢) رواه مسلم .

٢٠- إحسان الوجه للناس جميعاً

يعد وجه الإنسان مع سائر الحواس الكائنة فيه باباً للدخول إلى الآخرين، من حيث تغير الملامح بالابتسامة الرائقة، أو بالكآبة العابسة، وما أخطر أن يكون ظاهر الوجه مخالفاً لما في أعماق الإنسان.

١- أهمية التعامل مع الناس بوجه واحد:

ينبغي أن يكونَ المسلمُ صادقاً مع الله ومع نفسه ومع سائر الناس جميعاً، لأن مخالفة الظاهر لما في أعماق الباطن إحدى دلالات النفاق، التي يجبُ ألاّ يكون لها وجود من بين صفات المسلم، وأن الإحسانَ إلى الآخرين يكون بالكثير من الأسباب، ومن أولها الإحسان بالوجه، ففيه الكلام باللسان والنظر بالعين إلى غير ذلك من التحكم في مكونات الوجه كإظهار الابتسامة الصادقة، أو إبداء التقطيب لأجزاء الوجه، كما لا يقتصر الإحسانُ بالوجه على الملامح الظاهرة ولكن اللسان يسهم في ذلك، خاصة أنه عضو شديد التأثير في الخطاب مع الآخرين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تجدون الناسَ معادنَ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهة، وتجدون شرَّ الناسِ ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه"[١].

ومما يقع الناس فيه ولا يعبئون به ما يكون منهم عندما يتحدثون في الأماكن المغلقة بحديث يختلف عنه كثيراً ما يتم الكلام فيه والتحدثُ به عند

---

(١) رواه البخاري ومسلم ومالك.

ملاقاة الناس، ويعتبر سلوك هذا النوع من البشر من أخطر ما يـتمُ التعامـلُ بـه كثيراً في بعض البيئات الإسلامية، إذْ أن الواجبَ على المسلم أن يكون لـه وجـه واحد ولغة واحدة يتعامل بها مع الناس، متمسكاً بالصدق، ومتحاشياً الكذب، إذ أن التنـاقض الـذي سينكـشف عمـا قريـب أو بعيـد يزعـزع الثقـة في مجمـل الخطاب المطروح للبحث والنقاش، ومـن الواجـب أيـضاً أن تُراعـى في كـل ذلـك الأخلاقُ والمبادئ، التي يجبُ الالتزامُ بها وعدمُ التخلـي عنهـا، وأن الـصدقَ في القول والفعـل خلـقٌ إيجـابي مـن مجمـوع أخـلاق عبـاد الـرحمن، الـتي يجـب الحرصُ عليها، ونذكر في ذلك ما رواه محمد بن زيد أن ناساً قالوا لجده عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: "إنا لندخل على سلاطيننا فنتكلم بين أيديهم بـشيئ إذا أخرجنا قلنا غير ذلك ، فقال ابن عمر : كنا نعدُّ هذا نفاقاً على عهد النبـي صلى الله عليه وسلم"[١].

وينبغي في كل كذلك أن يكونَ الهدفُ من الإحسانِ إلى الآخرين عن طريـق الوجه هدفاً أصيلا وخلقاً إسلامياً متحققاً بين سائر المسلمين.

٢- بياض الوجوه وسوادها في الدنيا والآخرة:

يُكنى بياض الوجه عن السماحة والمودة والخلق النبيل، كما يُعبر بـسواد الوجه عن القسوة والشدة والإساءة، ويمكـن أن يتمثـل بيـاض الوجـه في المسلم التقي الورع، الذي يخاطب الناس بلغة واحدة وبوجه واحد.

وأما ذو الـوجهين فهـو الكـذاب المنـافق ، الـذي لا يتقـي الله، ولا يلتـزمُ

---

(٢) ورد هذا القول فى مسند أبي داود الطيالسى وورد قريب منه فى شرح صحيح البخـــارى لابن بطال .

بأخلاق القرآن فيلقي الناس بوجه ويلقى غيرهم بوجه آخر، وذلك ما ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه"[١] ذلك أن ذا الوجهين كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون وجيهاً عند الله تعالى.

وأن وجوه الناس ستخضع للتميز والاختلاف من جماعة إلى أخرى، قال تعالى في هذا الشأن ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[٢]

وحول هذا البيان القرآني رَوى ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يَعْني تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدع" وقد توجه الصحابة والتابعونَ في بيان هذه الآية فقال أنس بن مالك إنها في أهل الأهواء، وقال إنها في الكفار وهو اختيار الطبري.

وكل هذه التوجيهات جديرة بالقبول، فأهل الأهواء هم الذين لا مذهب لهم ولا منهج ولا التزام لديهم، وسائر الجماعات الأخرى الجديرة باستحقاقهم لسواد الوجه يوم القيامة قال تعالى في استكمال ذم ذي الوجهين:

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾[٣]

ومعنى: يستخفون : أي يستترون حال سرقتهم.

---

(١) البخارى ومسلم وأبو داود .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ١٠٦.

(٣) سورة النساء : الآية / ١٠٨.

ويبيتــون: أي يــدبرون، ومعنــى مــالا يرضــى مــن القــول: أي الكــذب والافتراء واتهام الناس بالباطل والإساءة إلى الأبرياء.

إن الإحسان إلى الآخرين لـه طـرق متعـددة، فقـد يكـون بالكلمـة الطيبـة والتعاطف المحمود والمجاملة اللطيفة والنظرة الحانية التي يرضى الله سبحانه وتعالى عنها، وأن إحسان الوجه بالبـشر والـصدق والتلطـف في القـول كـل ذلـك عندما يتوجه به المؤمن إلى غيره من عباد الله فإنه يكون قد أرضى ربه سبحانه وتعالى وأرضى الناس، ذلك لأن إرضاء الناس هو إرضاء لله تعالى.

٢١- حسن معاملة الضعفاء من البشر

جاءت رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً؛ لإرساء مبدأ المساواة بينهم في الحقوق والواجبات، وإقرار تميز بعضهم على بعض في أمور كثيرة كالرزق والصحة والجاه وصيانة حق الضعفاء وعدم الطغيان عليهم، خاصة من الأقوياء والمتجبرين.

١- عرض الإسلام لضعف الإنسان وبيان حقوقه وواجباته:

لقد جاء الإسلام لإخراج الناس من جاهليتهم الضالة إلى حياة جديدة، وبدأت آياتُ القرآن تتلى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان الكثيرون منهم يعيشون في إذلال وقهر من ذل العبودية،وقوة التبعية للآخرين وافتقادهم للقيم التي جاءت إليهم ، وقد خوطبوا بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾(١).

وكان انطلاق الإسلام استناداً إلى مجموعة من المبادئ بلا تفريق بين إنسان وآخر إلا بمقدار عمله وتقواه، مع إقرار التميز الذي لا حيلة للإنسان في تقديره ، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾(٢).

وكانت مسألة الضعف البشري موضع عناية الرسول وأصحابه، فمن خطبة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب حضٌ فيها على إقامة القضاء على أساس سليم من

---

(١) سورة الحجرات : الآية / ١٣.

(٢) سورة الأنعام : الآية / ١٦٥.

الكتاب والسنة، قال: "أيها الناس إنكم والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف، حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه".

ولا تبتعد هذه الكلمة كثيراً عن خطبة أبي بكر الصديق، التي توجه بها إلى الناس في أول خلافته، وإن الضعفاء المقصودين كثيرون، ومنهم الأبوان والنساء والأطفال والمرضى، وكبار السن والخدم والعاجزون عن اكتساب قوتهم اليومي، فهؤلاء وغيرهم يستحقون كل عطف ورعاية، وموالاة من أولي الأمر، ومن سائر الأقوياء الذين لديهم من القوة والنفوذ والمال ما يستطيعون به الإحسان إلى الضعفاء، وحسن معاملتهم؛ تقديراً والتزاماً بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- حسن المعاملة للضعفاء من البشر:

إن المعاملة الحسنة التي يتحقق الإحسان بها إلى الضعفاء، ويرضى الله سبحانه وتعالى عنها تكون بالقول وبالفعل، أما القول فهو مهم في أمر الإحسان والعطف على الضعفاء، فالكلمة الطيبة صدقة، وأن العلاقة بين الناس تنطلق من تحقيق مبدأ المساواة فيما بينهم ، قال الشاعر:

الناس للناس من بدوٍ وحاضرةٍ ∴ بعضٌ لبعض،وإن لمْ يشعروا خَدَمُ

وتنطلق المساواة إلى الشراكة فيها من خلال تحمل المسئولية التي خاطب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر أمته فقال: "كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته"(١).

---

(١) رواه البخاري.

ويهدف هذا الحديث إلى تحمل كل فرد للمسئوليات التي يتحتم عليه أن يتحملها ولا يتخلى عنها.

وذكر القرآن الكريم حُسْنَ العلاقة بالأبوين، ووجوب الإحسان إليهما والعطف عليهما، والقول الحسن لهما، وقد وصل التحذير من الإساءة إليهما إلى مستوى كلمة أف قال تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[1].

إنَّ المرأة في أساس بنائها الجسماني أضعف من الرجل، وإذا كانت زوجة فلا بد من تفعيل أخلاق الإسلام معها كالمودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[2].

ويمتد حديثُ القرآن والسنة إلى سائر الضعفاء كالمرضى والخدم والعاجزين عن اكتساب أرزاقهم، وكل فرد في احتياج إلى الآخرين ، وعليه فلا ينبغي للقادر أن يضنَّ بما تحت يديه، ويجب أن يُحْسن إلى الضعفاء، الذين لم ينالوا من الرزق ما يحقق لهم الاستغناء عن الآخرين قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾[3].

وتحدث القرآن الكريم عن أقوام من البشر كانوا ضعافاً، فحقق الله لهم من القوة ما جعلهم يتحولون من الضعف والذلة إلى النصر والقوة في مجالات الحرب والتملك وقيادة الآخرين.

---

(٢) سورة الإسراء : الآية / ٢٣.

(٣) سورة الروم : الآية / ٢١.

(٤) سورة النحل : الآية / ٧١.

ويبدو أن القسوة لا تتوقفُ فتنطلق بقوة إلى الضعفاء، وكذلك فيما بين الرؤساء والمرؤوسين فالأوائل لديهم – أحياناً – جبروتٌ وقسوة ، والمرؤوسون لديهم ضعف واستكانة، وكثيراً ما يعوجّ ميزان العدالة الفاصلُ بين الصواب والخطأ في العلاقة بين هؤلاء وهؤلاء.

٣- بعض السلوكيات البارزة في العلاقة بين الأقوياء والضعفاء:

لقد ظهرت في العصر الحديث كثير من المبادئ الداعية إلى احترام حقوق الإنسان، خاصة الضعفاء ، ذلك أن وقائع التاريخ الإسلامي تُرسي خُلُق التراحم بين الأقوياء والضعفاء، إقراراً بأن الإنسان في أساس وضعه ضعيف ، يمكن أن تنهار قوته في أي مرحلة من عمره ، وذكر القرآن ذلك في قوله: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾[1]، ونذكر أمراً احتفلت به السيرة النبوية؛ لما يمكن أن يقدمه من دروس مفيدة في معيار العلاقة بين البشر ، وهو لأبي ذر الغفاري، الذي كان من السابقين في الإسلام ، كما كان يحرم على نفسه ما زاد عن حاجته من المال، وذات مرة قال لبلال بن رباح (يا ابن السوداء) ووصل الخبر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مما دعاه إلى التصرف وفق ما رواه أبو ذر بلسانه إذ قال: "إني ساببتُ رجلاً فعيرته بأمه – فقال له النبي – ﷺ – يا أبا ذر أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم،جعلهم الله تحت

---

(١) سورة النساء : الآية / ٢٨.

أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلـبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم-[١] .

لقد قدم هـذا الحـديث نموذجـاً لتـصرف منفـرد لم يكـن لائقـاً بأصحاب رسول الله، ولكنـهم كانوا قريبي عهد بالجاهلية، فما كان مـن رسـول الله إلا أن أعلمهم ما يجب فعله، والتصرف فيه من تقدير للآخرين ، وعدم الإساءة إليهم والسخرية منهم. والله أعلم

---

(١) رواه البخارى وسلم وأبو داود أحمد .

٢٢- اتقاء الفتن

تعددت معانى الفتنة فى القرآن والسنة ، تلك التى تلحق ببعض الأفراد والجماعات ، ويزداد تأثيرها ومخاطرها ، إذا اشتملت الذين وقعوا فيما جاء النهى عنه على غير المنهاج الذى يتصف به عباد الرحمن ، هؤلاء الذين يتقون شرورها، ويدعون الله بالنجاة منها .

١- معانى الفتنة، وطرق التحذير من أضرارها.

لقد تعددت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول - ﷺ - ، تلك التى تحدثت عن الفتنة وأضرارها، ويدور معناها فى غالب الأحوال عن الابتلاء والامتحان والاختبار ، وتكون تعبيراً عن المحنة ، التى تلحق بالإنسان ، وتتجسد بعض معانيها فى الأموال والأولاد،كما تأتى- وقانا الله من شرورها- فى معنى الكفر، واختلاف الناس فى المعتقدات، وتلم بالإنسان ، فيعجب بالشيئ أو المرأة ، وقد تكون بمعنى الضلال والإثم والجنون والفضيحة، وتزداد معانيها قسوة عندما تعبر عما يقع بين الناس من القتال.

وذكر القرآن الكريم كثيراً من الآيات التى تعبر عن هذه المعانى وغيرها ، وأول ما يمكن أن يأتى من استعمالاتها هو التوجه بها إلى إصابة الجميع ، ولا تقتصر على الذين ظلموا فهى شديدة الأضرار، ويتجاوز شرها الظالمين إلى غيرهم ممن يرضون بسلوكياتهم قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٢٥).

والفتنة فى هذه الآية هى: المنكر ، الذى يظهر بين الناس ، ويرضى بـه المؤمنون ، وذكر ابن عباس رضى الله عنه أن هذه الآية نزلت فى أصحاب رسول الله – ﷺ – وقال: "أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر فيما بينهم ، فيعمهم الله بالعذاب"(١).

ورُوى عن زينب بنت جحش أنها سألت رسول الله – ﷺ – فقالت لـه يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون قال : نعم إذا كثُر الخبث "(٢).

وروى أيضا عن رسول الله – ﷺ – قال :"إن الناس إذا رأوا الظالم ، ولم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده"(٣)

وتتجه الفتنة فى أبسط معانيها وأقرب دلالاتها إلى إفساد العلاقة بين اثنين أو أكثر، خاصة إذا كانوا من جماعة المسلمين، ونمت بذور الفتنة أو أطلت بقرونها على فرد أو جماعة فإنها تفسد العلاقة فيما بينهم، أو تدمرها تدميرا ، بحيث تتوارى فى طريقها كل مظاهر القوة ، وتتبدل إلى ضعف وهوان وتمزق، وعند ذلك يجب أن تستيقظ الضمائر ، وتقوى العزائم ، وتواجه التفرق ، وكل ما يقع بين الناس من القتال ، وذلك بأسلحة القوة والاتحاد والتجاوز للصغائر والدنايا .

وتكون الفتنة كلمة مُفْسِدة أو ضالة تهدم العلاقات الحميمة ، وتكون جاهاً وسلطانا ونفوذا يضعف الإنسان أمامها ، ويعجز عن مقاومتها ، وتبرز

---

(١) تفسير القرطبى جـ٨ ص ٣٩١.
(٢) رواه مسلم فى صحيحه .
(٣) رواه الترميذى فى صحيحه .

فى الأفق الصفوة من عباد الرحمن الذين يهزمون كل دعاة الشر ، ويقهرون سبل الإضلال والإفساد ، وتكون الفتنة أموالا وأولاداً قليلا أو كثيرا ، وإن كان ذلك ليس مستهدفا لذاته ، وإنما لما يترتب عليه من عزة جوفاء تسيطر على المؤمن وتفقده كيانه ، ولا تلبث إلا أن تدمره ، وتفسد حاضره ومستقبله ؛ حتى تقضى عليه بسب الغرور الخادع ، والثقة الزائدة والفتنة الضالة .

٢- حديث القرآن والسنة عن الفتنة.

إن أخطر ما يوجه إلى الإنسان من فتن يكون من صنائع الشيطان وضلالاته، تلك التى ألحقها إبليس وأعوانه بالبشر منذ بدء الخليقة الإنسانية ، عندما أبى أن يسجد لآدم ، ثم امتدت شروره إلى أبناء آدم ، وتواصلت مكائده مع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ولازال متسلطا على الخلق ، ولذا جاء الخطاب القرآنى بتحذير بنى آدم من فتنة الشيطان قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [(١)] . ويتحقق الوقوع فى الفتنة والاستسلام لها إذا تحجرت قلوب بعض الناس عن التأثر بأنوار الإيمان ، وصاروا فاسدين فى أنفسهم ومفسدين لغيرهم ، وذلك بعض ما يمكن أخذه مما رواه أبو ذر - رضى الله عنه - إذ قال : إن رسول الله - ﷺ - قال : " إن بعدى من أمتى أو سيكون بعدى من أمتى قوم يقرأون القرآن ، لا يجاوز حلاقيمهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة"[(٢)].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٧) .

(٢) رواه مسلم و أبو داود .

وتزداد إيقاعات الحياة شرورا ومساوئ ، عندما تعم الفتنة ، وينتشر الفساد ويتوارى الدين ، وتشتد المحن ، قال تعالى فيما يخص فتنة الأموال والأولاد : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾[1].

لقد اتجهت بعض الآيات القرآنية إلى الدعاء طلبا للنجاة من الفتنة فقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

إن صور الفتن كثيرة ، وينبغي تجنبها وعدم الوقوع تحت مرغباتها ؛ حتى تتحقق السلامة للمؤمن ، والنجاة من الفتنة ولذاتها ، والتي تقوى فتسيطر على الإنسان ، وتدير حركته ، وقد تضعف فتؤثر بمقدار تحمل المفتتن لما يلحق به ، ويتوقف مقدار التأثير وعدمه على مستوى حصانة المؤمن وقوة إيمانه وعزيمته ... والله أعلم .

---

(١) سورة التغابن: الآية (١٥) .

(٢) سورة يونس: الآية (٨٥) .

٢٣- حب الوطن

يتوهج حب الوطن فى قلوب عباد الرحمن فهو أمانة فى أعناقهم ، فعلى أرضه عاشوا وتكاثروا ، ونعموا بعطاءاته ، واستلزم ذلك أن ينهضوا بما له من حقوق عليهم ، من حيث المحافظة على مكوناته ، والدفاع عن أرضه وسمائه، وسائر ممتلكاته .

١- قيمة الوطن وتأثيره فى شخصية المسلم .

يمثل الوطن قيمة وتأثيراً كبيراً فى شخصية المسلم؛ لإحساسه بأهمية المكان الذى ولد فيه ، ونما وترعرع على أرضه وتنسم هواءه ، واحتوى أباءه وأجداده. وتفيد كلمة الوطن معنى الاستقرار والهدوء والارتباط الشديد بتاريخ المكان ، وأحداث مسيرته ، وبكامل جغرافيته من جبال وأنهار وسهول ووديان ، فكل هذه المكونات تحدث تأثيراً إيجابياً فى شخصية المسلم، الذى يزداد حبه بوطنه كلما تقدم فى العمر، وارتبط بالمكان، وشهد أبناءه وإخوته وأحفاده وسائر أهله ، وهم ينعمون بما على الأرض من خيرات إلى الدرجة التى تستوجب أن يكون كل مواطن مدركاً لقيمة الوطن لديه ، وأنه أحد ملاكه وأصحابه ، فالوطن هو المنزل أو المكان الذى يقيم به الإنسان ، حتى لو لم يولد به ، ما دام قد اتخذه وطناً أو موطناً.

ومعنى : استوطنتُ الأرض : أى اتخذتها وطنا ، والجمع أوطان ومواطن كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة: الآية /٢٥ .

والمواطنة تشمل المسلم وغيره ممن يقيمون مع المسلمين فى ذات الديار ، وله من الحقوق ما للمسلمين، ويؤكد هذا المعنى ما كان حادثاً فى بيئة المدينة المنورة ، التى جمعت المسلمين وغيرهم ، وكانوا جميعاً مواطنين بها .

٢- متطلبات حب الوطن (بمعنى حقوق الوطن) .

إن متطلبات حب الوطن تقتضى أن يخلص كل مواطن للأرض التى يعيش عليها، سواء ولد بها أم اتخذها موطنا بعد وفادته إليها واستقراره فيها، واستحق أن يضمن ولاة الأمر له الحماية والرعاية، فضلاً عن حقوق أهل الأديان الأخرى ، فى الإحساس بالأمن وعدم الخوف قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾[(١)] تحدثت السيرة النبوية عن حب الرسول - ﷺ - لوطنه الأول مكة المكرمة التى ولد فيها، وعاش وتربى على أرضها ، فلما افتقد الأمن بها هاجر إلى المدينة،وهو متأثر بهذا الفراق ، فكان يناجيها فى ساعة الخروج منها قائلا : "والله إنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت"[(٢)].

وبقى على حبه لها وهو بعيد عنها ، حيث يحيا فى المدينة ، ويدعو ربه قائلاً: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد "[(٣)] .

فالوطن أمانة فى عنق سائر المقيمين عليه الذين استوطنوه ، واستقروا فيه، ، حتى لو لم يولدوا به إذ يلزم الاستجابة لنداء الخدمة العسكرية ، وحمل السلاح لمقاومة أى عدوان .

---

(١) سورة التوبة: الآية / ٦ .

(٢) رواه مسلم والترمذى .

(٣) رواه البخارى وأحمد .

ومن لوازم حب الوطن أن يخلص كل فرد فى العمل المكلف به والميسر له، فلا ينصرف عنه إلى ما لا يحسنه ولا يجيده ، فالزارع فى أرضه والعامل فى مصنعه، والباحث فى معمله أو مكتبه فكل ميسر لما خلق له ؛ حتى يزداد الإنتاج ، وتزدهر العلوم، ويتحقق الاكتفاء الذاتى للمواطنين ، فلا يكونون عالة على غيرهم يتسولون معونة أو قرضاً، أو إنتاجا متطورا حيث لم يجتهدوا بالشكل الذى يؤهلهم للتفوق والتميز ، ومن ثم التقدم وإفادة الآخرين .

وقد جمع القرآن الكريم فى شأن حب الوطن والإخلاص له ، بين العمل الدنيوى والجهاد المشروع فقال تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1] .

إذن فكل مسلم على تقوى من الله مطالب بأن يودى حقوق المواطنة بدون تهرب أو تكاسل ، لا يتفق والدعوة الإسلامية الرشيدة .

٣- بعض الأحداث والسلوكيات الدالة على أهمية حب الوطن .

إن حب المسلم لوطنه من صميم معتقداته ، التى تعظّم وتقدس الكثير من الأمكنة والأزمنة ، ونذكر فى هذا الشأن ما يخص مصر التى حرسها الله تعالى وقدرها، وعظم شأنها فقال تعالى عن أمنها ﴿ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[2] فالأمان أصل فيها، والتدين سلوك قديم لأهلها، وقد روى عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : "إذا فتح الله عليكم مصر

---

(١) سورة المزمل: الآية / ٢٠ .

(٢) سورة يوسف: الآية /٩٩ .

فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : ولم يا رسول الله ؟ قال : "لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة"[١] .

ويتجه حب المكان إلى من ارتبط به من الأشخاص أو الأحداث كما هو الشأن فى قول الرسول – ﷺ – عن جبل أحد : "هذا جبل يحبنا ونحبه"[٢] ففى هذا الحب تأتى لوازمه التى ارتبط بها عباد الرحمن فى سائر الأزمان ، وعليه فلا يصح أن ينحرف المواطن إلى إتلاف المكان أرضاً أو سماء بأية صورة. والله أعلم .

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم .

(٢) رواه البخارى جـ ٩ ص٤٦٥ (٤٠٨٤) .

٢٤- الحفاظ على أمن المجتمع

إن أمن المجتمع مسئولية جماعية ، يؤدى كل فرد فيها ما يناسب قدراته ، كما أن تحقيق الأمن تستفيد به جميع الشرائح الاجتماعية المقيمة على أرض الواقع أو الوافدة إليها والمستقرة بها ، وأن عباد الرحمن شركاء ايجابيون فى الحفاظ على أمن المجتمع .

١- نظرة الإسلام إلى أمن المجتمع

لقد أعطى الإسلام الأمن الاجتماعى والسلام الداخلى اهتماماً كبيراً ، وكانت دعوة إبراهيم عليه السلام معنية فى أمن مكة بالمقيمين فيها والمارين عليها، والتى أصبحت منذ رَفْعِ القواعد للبيت الحرام مقصداً للراغبين فى تطهير أنفسهم ، وتوطيد صلاتهم ببيت الله فى هذه المنطقة ، التى دعا خليل الله ربه بأن يجعلها بلداً آمناً مطمئناً ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾[١].

وجاء المنح الإلهى بإثبات الأمن للداخلين إليه، لما فيه من آيات بينات ، التى قال الحق تبارك وتعالى فى شأنها : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[٢] .

ثم ينتقل الخطاب القرآنى إلى إثبات الأمن لموقع آخر ، وهو مصر حيث تجلت نعمة الأمن فيها من خلال ما قاله القرآن الكريم على لسان يوسف عليه

---

(١) سورة إبراهيم: الآية /٣٥ .

(٢) سورة آل عمران: الآية / ٩٧ .

السلام إلى إخوته : ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (١) ذلك أن الأمن نعمة جليلة ، ومقدمة على غيرها من عطاءات الله كالصحة والمال والأهل والذرية ، وأكد القرآن بيانه بشأن نعمه الأمن ، التى ارتبطت بعبادة الله وتوحيده وتحقيقه للأمن والإطعام ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ (٢) وأكد القرآن الكريم حقوق عباد الله وسائر الخلق فى أن يعيشوا أخوة متحابين رجالاً ونساءً، قبائل وشعوباً تحت ظلال التقوى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣)، وأوصى كتاب الله المبين سائر المسلمين بحسن التعامل مع أهل الأديان الأخرى ، قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٤).

وقد ارتبط البر مع ما يتبعه بالعدل الذى يعد أهمَّ الأسباب لتحقيق العدل الاجتماعى.

٢- أمن المجتمع مسئولية كل المقيمين فيه .

يُناط الأمن أساساً بالشرطة التى يرتبط بدء تاريخها بأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، وأطلق عليها مصطلح العسس ، وكان أكثر نشاطها ليلاً ، ثم

---

(١) سورة يوسف: الآية / ٩٩ .

(٢) سورة قريش: الآيتان / ٣ ، ٤ .

(٣) سورة الحجرات: الآية / ١٣ .

(٤) سورة الممتحنة : الآية / ٨ .

أخذت شكلاً تنظيمياً فى عهد على بن أبى طالب كرم الله وجهـه ، وأطلـق علـى رئيسها صاحب الشرطة، هذا الذى كان يُدَقق فى اختياره لأهمية تحقيق الأمن الاجتماعى.

ولا ينفصل أداء الشرطة عن القضاء ، لما له من أهميـة قصوى فـى الفصل بين المتنازعين، وإيصال الحقوق إلى أصحابها، وعدم إتاحة الفرصة للخـارجين علـى القـانون أن يمارسـوا السطوة والإرهـاب وإشـاعة الفوضـى والاضـطراب فى المجتمع.

وعندما ولّى الرسول – ﷺ – على بن أبى طالب قضاء الـيمن ، قـال لـه : "إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقض للأول حتى تـسمع مـن الآخـر ، فإنـه أحرى أن يثبت لك القضاء" بمعنى استقرار الأوضاع وعدم ترويع الناس .

وقد تطور أداء القضاء فى عهد عمر تطوراً كبيراً ، إذ كان رضـى الله عنـه حريصاً على وضع النظم والقواعد فى الفصل بين المتنازعين ، استناداً إلى القـرآن والسنة، وللفاروق كثير من المبادئ القـضائية التـى تـسفر عـن تحقيـق الأمـن ، وأثبت الكثير منها فى رسالة عن القضاء والقضاة ، وقد تصدى المنهج الإسلامى للحياة وذلك للمشكلات الناجمة عن القتال بين الناس ، واعتبر القاتل والمقتول فى النار، وأن حمل السلاح بينهما ضد مبادئ الإسلام،فقال رسول الله– ﷺ –: "من حمل علينا السلاح فليس منا"[1].

٣– دور العلماء فى الحفاظ على أمن المجتمع

لعبـاد الله المـتقين فـى كـل وقـت وحـين دور كـبير فـى تحقيـق الأمـن الاجتماعى، وذلك بالدعوة الهادفة إلى البر والمعروف ومقاومة الخـارجين علـى

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

القانون الإلهى والنظام الوضعى ، فى حدود الاستطاعة ومساعدة المحتاجين تمهيداً لحجبهم عن الجريمة وإثارة الرعب بين الناس ، وإرشاد الضالين والتائهين وتبصيرهم بما لهم وبما عليهم، والإبلاغ عن الهاربين من العقوبة المستحقة، وينبغى إسهام الأسرة فى تحقيق الأمن ، وذلك بحسن توجيه الأبناء إلى الصواب ، وتتواصل المهام التعريفية والإرشادية إلى المدارس والجامعات والإعلام والثقافة والجمعيات الأهلية وغيرها.

ومن أهم الأدوار التوجيهية ما يناط بدور العبادة، التى ينبغى أن تنهض برسالتها التنويرية ، وبيان أن آثار الأمن تعود إلى جميع الناس فى المجتمع .

ويجب تذكير سائر عباد الرحمن بالرسالة المنوطة بهم ، فعليهم تبعة القدوة الطيبة لغيرهم، إذ أن بعض السلوكيات التى تصل إلى درجة الانفلات الأمنى تتحقق من أناس لا يقدرون نتائج أفعالهم، وإنما هم مدفوعون بتهور وبلا وعى مما يسيئ إلى المجتمع كله وما على عباد الرحمن إلا أن يَجِدُّوا فى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، ومقاومة المنكر فى حدود الإمكانيات المتاحة ، والله الموفق .

٢٥- المحافظة على الممتلكات العامة

إن الملكية العامة هي جميع ما يشترك الناس فى تملكه ، ويخضع لإشراف الدولة حسب التشريع الإلهي والقانون الوضعى ، ولهذه الشراكة آثار مترتبة عليها، فيجب على كل مسلم أن يسهم فى المحافظة على هذه الأملاك، وفى الاستفادة منها بالضوابط المقررة والقواعد الحاكمة .

١- مكونات الملكية العامة

لقد بدأ كيان الملكية الجماعية فى الوضوح والاستقلال منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ووضع – رحمه الله – المعايير التى تحفظ المال العام، الذى يتم جمعه وحصره حسب القواعد المقررة الثابتة ، وقد قال الفاروق عليه سحائب الرحمة والرضوان : "ما من أحد من المسلمين إلا وله فى هذا المال حق أعطيه وأمنعه، ومن أراد أن يسأل عن ذلك المال فليأتنى، فإن الله تبارك وتعالى جعلنى له خازنا وقاسماً"(١) .

ويتجلى ذلك فى الوقت الراهن : فى جميع الأراضى المملوكة للدولة، وما فى باطنها ، وما على ظاهرها من دور للتعليم وطرق ومستشفيات وقنوات ملاحية وأنهار عذبة ، ومساجد ومصانع ، وبحيرات طبيعية وصناعية وغيرها مما لا يختص به أحد من الناس، هؤلاء الذين لهم حقوق فى هذه الأملاك ، وقد ثبت عن النبى– ﷺ – أنه قال : "الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار"(٢) .

---

(١) الخراج لأبي يوسف .

(٢) رواه أحمد وأبو داود .

"وليس النص على هذه الأشياء للحصر بل قواعد الشريعة تقتضى أن كل ما كان مثل هذه المواد ضرورياً للمجتمع لا يصح أن يترك لفرد،أو أفراد تملكه، ولا سيما إذا احتكروه، واستغلوا حاجة المجتمع إليه"[١] فالمتلكات العامة لسائر الناس، وليست لفرد أو لمجموعة من الأفراد .

٢- كيفية المحافظة على الممتلكات العامة

تكون المحافظة على المتلكات العامة من ولاة الأمر ومن سائر الناس فالمسئولية جماعية ، خاصة فى الأملاك التى يكثر استعمال الناس لها، مثل الطريق العام ، ذلك أن المحافظة عليه تكون بعدم استغلاله لمصلحة فرد دون سواه، ويترتب على ذلك إعاقة الناس عن تمام الاستفادة به ، وتحقيق مصالحهم من خلاله ، وقد وضع الرسول أساساً وقواعد لعدم الطغيان على الطريق، وإعطائه حقه ، والتزام الجالس على جانبيه ببعض الأخلاق؛ احتراماً وتقديراً للمارين فيه ، وذلك برد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وغض البصر وكف الأذى وغيرها ، كما أن بعض الناس لا يتورعون عن الاعتداء على المتلكات العامة ، فيضعون أجزاء من الطرق إلى حيازتهم دون مراعاة لمصالح الآخرين ، أو يتلفون بعض هذه الملكيات ، التى يستفيد الناس منها مثل تعطيل أو إتلاف وسائل الانتقال من مدينة إلى أخرى .

ومن المؤسف أن بعض المسلمين الذين ينبغى عليهم أن يكونوا قدوة لغيرهم يمارسون بعض الطغيان على المتلكات العامة ، مع أن الأصل فى سلوكهم أن يكون مرشدا أو قدوة طيبة للآخرين ، ومظاهر هذا الطغيان كثيرة،

---

(١) التكافل الاجتماعى د. عبد العال أحمد ص١٩٦ .

لكن الشر أو التجاوز الذى يتجلى أمام الكثيرين يأتى مقابلاً له السلوك الإيمانى حافظاً ورادعاً ونموذجا طيبا لسائر عباد الله .

٣- عرض بعض السلوكيات المعبرة عن المنهج الإيمانى

لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نموذجا فريداً فى حفاظه على أموال المسلمين، وسعيه ليلاً ونهاراً لمراقبة الخارجين عن الشرع الحكيم ، ولم يكن سلوكه الإيمانى قاصراً على حفظ حقوق البشر وتطبيق العدالة، والمساواة بين الناس، وإنما امتد ورعه ورحمته إلى حفظ حقوق الدواب التى تعجز عن طلب حقها من المأكل والأمن وعدم الإيذاء .

فقد قال:"لو عثرت دابة بشط العراق لسألنى الله عنها يوم القيامة لِمَ لَمْ تسو لها الطريق".

ويحكى التاريخ الإسلامى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد رأى عمر رضى الله عنه ، وهو يعدو إلى ظاهر المدينة ، فقال له : إلى أين يا أمير المؤمنين قال : قد شرد بعير من إبل الصدقة فأنا وراءه أطلبه !! فقال على ابن أبى طالب : أتعبت الخلفاء من بعدك .. يا عمر" .

وهكذا كان حرصه – رحمة الله عليه – على الأموال العامة التى هى حق للناس جميعاً فكان شديد الحرص على هذه الأموال من الولاة ، ذلك أنه كان يحصى أموالهم قبل الولاية ليحاسبهم بها على ما زادوه بعد الولاية، مما لا يدخل فى عداد الزيادة المعقولة، ومن تعلل منهم بالتجارة لم يقبل منه دعواه؛ لأنه كان يقول لهم : "إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجاراً"[١] .

فالممتلكات العامة ملك للجميع بضوابط مشروعة ، حيث يجب الحفاظ عليها والاستفادة منها بحساب ومقدار، وبلا زيادة أو نقصان .

---

(١) عبقرية عمر لعباس العقاد ص١٤٤ طبع دار الهلال بمصر ١٩٦٨ .

٢٦- الاعتراف بالذنب

الاعتراف بالذنب خُلق إسلامى قويم ، وسلوك اجتماعى فريد ، ويمثل فى حق عباد الرحمن انتصاراً للإرادة الذاتية ، وعدم الخوف من العقاب الدنيوى المستحق ، والحرص على تنقية الذات من الذنب ومتعلقاته ، ويأتى تعبيراً عن صحوة الضمير ، وحماية النفس من توابع الأخطاء ، وهو أمر ليس هيناً ، ولا يحرص عليه إلا الأقوياء ، الذين استقر الإيمان فى أعماقهم ، وأيقنوا أن حياتهم فى ظل خطأ فعلوه ، ولم يحاسبوا عليه – فى منتهى الضعف والمعاناة ، والإحساس بتوابع الذنب، التى تتعاظم يوماً بعد يوم .

١- حديث القرآن الكريم والسنة النبوية عن خُلق الاعتراف بالذنب

إن كثيراً من الناس على اختلاف مستويات اقترابهم من الله وابتعادهم عنه مهيئون للتقوى والصلاح، ومهيئون كذلك للوقوع فى الخطأ صغيراً أو كبيراً ، وأن بعض الذين يفعلون الذنب بدوافعَ مختلفةٍ وشهواتٍ عارضة محققين كسباً مؤقتاً ، أو جرماً ؛ استجابة لرغبة جامحة ، لا يبالون بما يجب الالتزام به، والتوقف عنده،لكنهم لا يلبثون إلا أن تتحول حياتهم إلى نكد واضطراب بسبب إحساسهم بالذنب ، والابتعاد عن طريق الإيمان ، ومعاداة الله تعالى ، وعدم الوفاق مع كثير من البشر ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ

ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾(١) .

ويشترط فى الاعتراف بالذنب أن يكون وليداً للإرادة الحرة، وغير خاضع للإكراه أو السعى لحماية مذنب معين ، بمعنى أن يكون الذنب مرتبطاً بمن قام واعترف به،ولذا يقولون إن الاعتراف سيد الأدلة،وهو انتصار على النفس ، خاصة إذا كانت تستلذُ الخطأ بالخطأ، فإذا أحس المسلم بمدى تقصيره فى حق الله تعالى،وتقصيره فى حق نفسه،أو فى حق غيره من الناس،وكان قوياً فى توجهه، حريصاً على الصدق ودفع الضرر عن الآخرين ، فإنه يرى الخُروجَ من أزمته فى ظل الاعتراف بالأخطاء هو أُولى الخطوات لتصحيح المسار الإنسانى والعودة إلى الله بالتوبة الصادقة النصوح .

٢- بيان الآثار المترتبة على الاعتراف بالذنب :

يخضع تقويم الاعتراف بالذنب إلى بيان أسبابه ودوافعه، وهذا لا يخرج عن أمرين : الأول أن يكون الاعتراف بالذنب قد حقق استجابة لرغبة عارمة فى قلب المؤمن لسلوك سبيل التوبة والرجوع عن الذنب ، ورد المظالم إلى أصحابها ، فإذا تحقق العفو فى الدنيا فإن ذلك يكون نعمة وفضلاً ممن وقع الخطأ بهم ، أو أن يكون التقصير فى حق الله تعالى، وليس فى حق البشر، فإن هذا الاعتراف – إذا كان صادقاً – وبعيداً عن المكر والتلاعب يقبله الله تعالى ، حيث قال : ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾(٢) .

---

(١) سورة طه : الآيات / ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) سورة الزمر : الآية / ٥٣ .



ومن أدعية الرسول " ﷺ " : " رَبِّ تقبل توبتى ، واغْسِلْ حوبتى " [(١)]

والعفو من الذنب لمن أخطأ فى حقه بعد إقراره بذنبه يعد خلقاً عظيماً ، وسلوكاً نبيلاً ،فما أفضل أن يعفو الإنسان عند المقدرة ، وأن يتسامح عمّن جاء إليه مقراً بالخطأ ، ومعترفاً بالذنب ، وما يترتب على ذلك من رد للحقوق واسترضاء لجميع من وقع الخطأ عليهم، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [(٢)] وقال تعالى : ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [(٣)] وعن أنس رضى الله عنه قال : " ما رأيت رسول الله " ﷺ " رفع إليه شئ فى قصاص إلا أمر فيه بالعفو " [(٤)].

والقصاص : هو العقوبة المماثلة فى النفس ، أو الأطراف أو الجراح ، وما قاله أنس رضى الله عنه راوى هذا الحديث يشير إلى أن العفو الذى ذكره الرسول " ﷺ " كان من الشأن الدائم له ، والسلوك القويم مع أصحابه ، والأمر – بكل تأكيد – ليس على سبيل الوجوب ، وإلا لزم إبطال القصاص ، ولا يخرج كلام الرسول عن معنى التوجيه والإرشاد إلى ما فيه الخير ، ولو كان فيه بعض التنازل عن الحق ، لأن نواتج هذا العفو المبنى على الاعتراف بالخطأ كثيرة بين الناس جميعاً ، والمراد " التأكيد فى الحث على العفو والترغيب فيه،وأنه من مطلوب الشرع على وجه من التسامح والعفو والإصلاح،

---

(١) رواه ابن ماجه وأبو داود وغيرهما ، والحوبة : الظلم .

(٢) سورة الشورى : الآية / ٤٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية / ٢٣٧ .

(٤) أورده أبو داود والنسائى .

فإن رضيه أولياء الدم أو من اعتدى عليه بعوض من دية أو غيرها ، أو عفواً مطلقاً، كان ذلك خيراً لهم ، وإن أبوا إلا القصاص وجب على ولى الأمر بإقامة حدود الله، والقصاص من المعتدى ، كما أنه إذا رأى الإمامُ أن القصاصَ في حادث بعينه ، أو مع شخص بذاته أقوم للحدود وأردع للمعتدين ، وأسلم للمجتمع، كان القصاص حتماً لا خُلْفَ له ولا بديلَ عنه " [١] .

ويقترب من هذا المعنى ما رواه أنس رضى الله عنه قال : " كنت عند النبى " ﷺ " فجاءه رجل فقال يا رسول الله إنى أصبت حداً فأقمه علىّ قال: ولم يسأله عنه، قال : وحضرتْ الصلاة، فصلى مع النبى " ﷺ " فلما قضى النبى "ﷺ " الصلاة قام إليه الرجل فقال يا رسول الله : إنى أصبت حداً فأقم فىّ كتاب الله ، قال : " أليس قد صليت معنا ؟ قال : " نعم " ، قال : فإن الله قد غفر لك ذنبك أو قال : حَدَّك " [٢] .

ومعنى : أصبت حداً أى أصبت ذنباً أوجب علىّ حداً أى عقوبة، ويبدو أن هذا الذنب لا تصل عقوبته إلى الحد المقرر شرعاً بمعنى أنها من المعاصى الموجبة للتعزير ، أى أنها من الصغائر التى تُكفَّر بالصلاة ، وهذا الذنب فى حق الله تعالى المبنى على التسامح .

أما الأمر الثانى فإن الاعتراف بالذنب فيه حيلة أو خُدعة فى الدنيا ؛ للهروب من العقوبة فى الدنيا أو الآخرة دون الرغبة فى الصلاح ، وقد عرض

---

(١) المنتخب من السنة النبوية الشريفة المجلد٦ص١٤١طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
(٢) رواه أبو داود والنسائى .

القرآن الكريم، لذلك قال تعالى : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [١] ، والضمير في قوله : "قالوا " إلى الذين كفروا حسب بيان الآية المتقدمة،وقوله : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ أنهم – كما ذكر القرطبى نقلاً عن ابن مسعود : " كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم ثم أحياهم ، ثم أماتهم الموتة التى لابدَّ منها فى الدنيا، ثم أحياهم للبعث والقيامة، فهاتان حياتان وموتتان " [٢].

ومعنى : " فاعترفنا بذنوبنا " أى اعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف، وندمُوا حيث لا ينفعهم الندم، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ أى هل نرد إلى الدنيا لنعمل بطاعتكم ، وكانوا قد اعترفوا بذنوبهم، التى اقترفوها مثل إنكار البعث وما تبعه من المعاصى ، فهم يسألون الرجعة إلى الدنيا ، وهم وقوف بين يدى الله تعالى – وقريب من ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [٣].

٣- بعض السلوكيات الكاشفة عن هذا الخلق الإسلامى .

إنّ تاريخ الدعوة الإسلامية يشهد بكثير من المواقف، التى تجلّى فيها خُلق الاعتراف بالخطأ، والإقرار بالذنب ، والتراجع الشجاع عن تبرير خطأ

---

(١) سورة غافر : الآية / ١١ .

(٢) تفسير القرطبى ج ١٥ ص ٢٩٧ .

(٣) سورة النساء : الآية / ١٨ .

أو الحماس للمنكر خاصة فى حالة التوبة النصوح، وقد وردت عدة أحاديث للرسول " ﷺ " بحق اعتراف المرأة الغامدية وماعز بن مالك اللذين اعترفا بالفاحشة، ولم يتراجعا عن اعترافهما ورجماً بعد الاعتراف الرابع [١].

وأما المرأة الثانية فقد أقرت بخطئها ، واعترفت بارتكابها الفاحشة " فروى عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت رسول الله " ﷺ " وهى حبلى من الزنى فقالت يا رسول الله : أصبت حداً فأقمه على ، فدعا نبى الله وليها ، فقال أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتنى، ففعل فأمر بها رسول الله " ﷺ " فشُدّت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ، ثم صَلّىً عليها ، فقال له عمر : نصلى عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: لقد تابت توبة لو قُسِمَتْ بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل منْ أنْ جادت بنفسها لله " [٢].

وفى الحديث دليل على أن المحدود تُحفظ عورته من الكشف . ويقال إن الرسول قد أقر عقابها بالرجم ، وأجل التنفيذ إلى أن أتمت فطام ولدها ؛ وذلك استجابة لمتطلبات رحمة الله تعالى بخلقه ، وتقديراً لإقرار المرأة بالذنب، وعدم تأثر الصغير بما اقترفته أمه ، فضلاً عن إمكانية تنكر أبيه له وتخاذله عن وجوب تحمل آثار جريمة الأم فى حق ولدها ، والله غفور رحيم .

---

(١) انظر نيل الأوطار للشوكانى ج ٧ ص٩٦ .

(٢) رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجة، وراجع السابق ج ٧ ص ١١٢ .

٢٧- التلطف فى الأقوال والأفعال

التلطف سلوك إسلامى حميد ، يشمل سائر تعاملات الإنسان مع الآخرين فعلاً وقولاً ، وذلك لعدم الإضرار والإيذاء ، وتحاشى الغلظة ، وعنف الفعل ، وجهامة الوجه وجفاف القول ، وعدم الاختيال والتكبر والغضب ، والحرص على تطهير اللسان بالكلمة الطيبة الصادقة ، التى تؤلف بين القلوب، وتقرب بين النفوس بما يجلى جانباً من الصورة الحضارية للإسلام .

١- حديث القرآن الكريم والسنة النبوية عن التلطف :

لقد تحدث القرآن الكريم عن معايير التعامل بالفعل والقول مع الآخرين، بحيث تتناغم المنظومة الأخلاقية فتشمل الناس جميعاً رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً ، أغنياء وفقراء ، متعلمين وأميين ، بحيث يختفى التكبر والغرور والتعالى ، وتنتشر المحبة والصدق والتوقير ، وتجلى ذلك بحق رُسل الله وأنبيائه إلى البشر فهم دُعاة الخير والتعاطف والتلطف فى جميع السلوكيات الإنسانية التى صبغها الإسلام صِبغة حضارية، ولا يوجد أحسن من الله صِبغة، إذ قال تعالى مزكّياً رسولنا " ﷺ " : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [١] ، وجاء الخطاب شمولياً فى الأمر الإلهى للبشر بحتمية القول الحسن ، الذى تتجلى مظاهرة فى العديد من التعاملات القولية ، وما يترتب عليها من أفعال وتقريرات قال تعالى : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [٢] .

---

(١) سورة القلم : الآية / ٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ٨٣ .

فالتلطف خُلق إسلامى ، ومظهر حضارى ، وسلوك شامل يتجمل به المؤمن فتنعكس آثاره على الجماعة، وفق الأوامر والنواهى، التى كَشَفَتْ عنها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية .

واللطيف من أسماء الله الحسنى، وهو المحسن والمنعم على عباده ، ومفرج همومهم ، ورافع الكروب عنهم، دون أن يفطنوا إلى ذلك كثيراً ، فاللطيف هو الخالق الرحيم ، الذى اجتمع فى ذاته الرفق فى الفعل ، والعلم بدقائق المصالح التى يصل نتاجها إلى المستحق لها من خلقه ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١) ، وقال : ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ (٢) .

فهذا الاسم أو الوصف الإلهى تصل آثاره وسائر نواتجه إلى الخلْق ، بحيث يأخذون منه أقل القليل ، فيتراحمون به فيما بينهم .

٢- بعض الأحوال التى يتجلى فيها التلطف فعلا وقولا :

تخضع علاقة المسلم بالناس إلى ضوابط عديدة،يستلزم التعامل بها مع الآخرين ، وذلك كما يلى:

أ - حتمية أن يكون التعامل القولى مع الآخرين محكوماً بالتراحم وعدم الإيذاء ، فلا يُلقى الكلام على عواهنه ، فتنمو الضغائن ، وتشتد الكراهية ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله " ﷺ " " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " (٣) .

---

(١) سورة الحج : الآية / ٦٣ .

(٢) سورة الشورى : الآية / ١٩ .

(٣) متفق عليه .

وعلى خلاف ذلك الخير المذكور فى هذا الحديث النبوى : الكلام الكثير الذى يضر ولا ينفع، ويزداد فيه السخط ، والذى يُسقط المتحدث من أعين الناس وتقديراتهم ، ولربما انتقل المتحدث بالكلام الكثير والثرثرة الفارغة إلى مشاحنات وخصومات مع الآخرين ، خاصة إذا كان الكلام المتحدث به لا يعنيه فى شيئ ، وهذا ما نبه إليه الرسول " ﷺ " فى حديث قال فيه " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " (١) .

ب – إيضاح المقصود بكلام مفهوم ، وذلك بأن يكون الغرض منه واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا التواء ، وحتى لا تضيع الحقائق فى وسط حدة قولية أو عبارة شاردة أو تداخل مع الآخرين .

وقد روى أنس رضى الله عنه " أن النبى " ﷺ " كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ؛ حتى تفهم منه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً " (٢) .

ج – طلاقة الوجه عند اللقاء ، لقد جاءت الدعوة إلى ذلك فى القرآن الكريم والسنة النبوية ويكون ذلك بالضحك والابتسام ، وخفض الجناح ، وعدم الهمز واللمز ، والتواصى بالحق والصبر ، إلى غير ذلك من الأخلاق الإسلامية عند اللقاء وعند الافتراق ، فعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله " ﷺ " : " لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك

---

(١) رواه مالك والترمذى وابن ماجه .

(٢) البخارى فى كتاب العلم .

بوجه طليق " [١] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢] .

تلك هى بعض المظاهر السلوكية التى يتجلى فيها التلطف فعلاً وقولاً .

٣- أثر التلطف فى الأفعال والأقوال على البادئ والرادّ :

تمتد أثار التلطف إلى الفريقين من كان منه ومن وصل إليه ، وذلك أن الأثر الإيجابى الصادق لذلك قد تحقق فى شأن من وصل إليه ، ثم يأتى ثانياً إلى من سعى إلى التلطف وحرص عليه ، وقام بتفعيله ، ويتجلى ذلك كثيراً بين الناس فى كل الأوقات، مثل إلقاء السلام والتحية ، فالمبادرة اللازمة قد جاءت ممن التزم بهذا القول، وألقاه على الآخر فرداً أو جماعة ، ثم تزداد التبعة على الثانى، وذلك بالرد الجميل قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [٣] .

وجاء الأمر بالتلطف صريحاً بلفظه ومعناه فى قصة أصحاب الكهف، والتى تُذكر لسيدنا محمد " ﷺ " وهى قصة جماعة من الشباب فروا بدينهم من قومهم؛ لئلا يفتنوهم فيه ، ولجأوا إلى كهف فى جبل ؛ ليختفوا عن قومهم، وسألوا الله اللطف بهم ، واتجهوا إليه بقولهم : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [٤] .

وناموا فى الكهف سنين كثيرة ثم استيقظوا من رقادهم ، وتساءلوا عن أيام النوم ، وسعوا إلى الأهم وهو احتياجهم للطعام ، فأرسلوا واحداً منهم،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة الحجر : من الآية / ٨٨ .

(٣) سورة النساء : من الآية / ٨٦ .

(٤) سورة الكهف : من الآية / ١٠ .

وكان الأصغر بدراهم مضروبة من الفضة إلى مدينتهم التى هربوا منها ، وهى طَرَسُوس [(١)] ليتأمل مستوى جودة الطعام ورخصه ، وليتلطف فى التعامل حتى يكتسب مودة الناس ولا يُغبن فى البيع ، ولا يشعر به أحد ، وحتى لا ينكشف أمرهم فيرجموا بالحجارة؛ لأن ذلك عقوبة مخالفة دين الناس آنذاك، قال تعالى : ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ [(٢)] .

وقد أوصى الفتية زميلهم المبعوث منهم ؛ لشراء الطعام بالتلطف على إطلاقه ؛ ليشمل الخروج والذهاب ، والشراء والإياب ، ومستوى الطعام والشراب دون أن يشعر به أحد ؛ تجاوباً مع الحرص والحذر عند مخالطة الناس بعد مدة من غياب ، ولو وصل التلطف إلى التكلف ؛ الذى يتطلبه الموقف؛ حتى لا ينكشف أمرهم ، ويكون ذلك عند دخوله المدينة ؛ ليأتى بألطف شئ وأطيبه ، ومراعاة كتمان السر ، والحذر فى التعامل مع مراعاة التلطف فى كل الأحوال .

إن التلطف بالفعل والقول سلوك إيجابى ، ومظهر حضارى ، وتقدير للآخرين ، تنعكس آثاره على الصادر منه والواصل إليه؛ احتكاماً واستناداً إلى مجموع عطاءات القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .

---

(١) ذكر المسعودى فى مروج الذهب أن المدينة هى أفسيس من أرض الروم ، وكانت يقظتهم فى عصر الملك أوالس ، وهو على دين النصرانية (مروج الذهب ج ١ ص٣٣٤) .

(٢) سورة الكهف : من الآية / ١٩ ، ٢٠ .

٢٨- المحافظة على الأعراض

يُشّكل الإسلام منظومة مُحكمة تترابط فيها العلاقات الإنسانية ، خاصة بين الأقارب الذين يجب عليهم التواصل فيما بينهم فى حدود الاستطاعة ، وتوجب التكليفات الإسلامية على القادرين أن يحافظوا على أعراضهم ، وعلى كل من يتحملون تبعته من كافة وجوه البر والرعاية والنصح والتوجيه .

١- المقصود بالأعراض فى ظل المجتمع الإسلامى :-

لقد توسعت المعاجم اللغوية فى بيان المقصود من الأعراض ومفردها العِرْض فقيل: هو ما يُمدح ويُذم من الإنسان ، سواء أكان فى نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره ، وقيل: هو الحسب ، وهو نفس الإنسان ، وأعراض الناس أعراقهم وأحسابهم وأنفاسهم ، وقيل هو جانبه الذى يصونه من نفسه وحسبه، ويحامى عنه أن ينتقص أو يُسلب، أمّا فى الاستعمال المتداول على ألسنة الكثيرين من الناس فإنه يشمل أهل الرجل من الأم والأخت والزوجة والبنات وسائر الأقارب من النساء، كما قد يراد به الآباء والأجداد ، ولا يمتنع أن تكون هذه المحافظة مطلوبة من المرأة أيضاً ، فتحافظ – بقدر استطاعتها – على حسبها ونسبها ، وأهلها وأقاربها بما يتواكب مع مستلزمات المسئولية الجماعية، التى حضّ الإسلام عليها ودعا الرسول " ﷺ " فى بيان له إلى تحديد أطرافها ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله " ﷺ " يقول : " كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذى على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة

عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده ومسئول عنه ، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته [١] .

إن المسئولية الأسرية أو الاجتماعية فى الإسلام مسئولية مشتركة لا يصح أن يتحلل الإنسان منها ، وعلى القادر أن ينهض بدوره فى متابعة رعيته، والمحافظة عليها بإعطاء الحقوق الشرعية، والإرشاد إلى ما ينبغى فعله وقوله ، خاصة المشمولين بمصطلح الأعراض ، والذى يشمل كثيراً من الأقارب وذوى الأرحام ، ونظراً لأن المرأة تمثل الجانب الأضعف فى الحياة فوجب على الرجال أن يحرصوا على المحافظة عليها وصيانة حقوقها ، وعدم الطغيان على مستحقاتها المادية والمعنوية وغيرها .

وقد ذكر حسّان بن ثابت شاعر الرسول لفظ العِرْض فى شعره ويقصد به نفسه أو حسبه ، فقال مدافعاً عن الرسول " ﷺ " :

فإن أبى ووالده وعِرْضى لِعرْضِ محمد منكم وقاءُ [٢] .

وأعطى الرسول " ﷺ " الحفاظ على العرض عناية قصوى فقال " ﷺ " : " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " [٣] .

فالتحريم يشمل البدن المعبر عنه بالدم ، ويشمل المال والأهل من أمٍ وزوجةٍ وأخت وابنة وسائر من اشتملهم مصطلح الأعراض .

٢- دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى حفظ الأعراض :

لقد أعطى الإسلام المرأة عناية بارزة ، حِفظاً لحقوقها وصيانة لكرامتها، وهى تمثل للرجل علامة فارقة فى مجموع من أطلق عليهم القرآن الكريم

---

(١) متفق عليه .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ج١ ص١٧ طبع دار صادر بيروت .

(٣) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

مصطلح الأرحام، وأوجب مراعاة تقوى الله فيهن ، وجاءت سورة بكاملها فى القرآن الكريم عن النساء ، إضافة إلى ما تحدثت به كثير من السور عن شؤونهن من زواج وطلاق وميراث وحقوق أخرى كثيرة ، وبدأ الخطاب القرآنى بهذه الدعوات لا إلى المسلمين والمؤمنين فحسب ، وإنما لسائر الناس جميعاً فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) فالأولى بالرعاية والحفظ هن النساء، وخاصة ذوات الأرحام ، اللائى يحتجن كثيراً إلى من يحافظ عليهن ويصون كرامتهن، وقد ذكر الرسول " ﷺ " حديثاً جعل فيه المرأة فى صورة رحم تستغيث بالله، وتطلب الحماية فى المراحل الأولى من خلق البشر، وذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله – ﷺ – : " إن الله خلق الخلق ، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت هذا مقام العائذ من القطيعة ، قال نعم : أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت : "بلى" قال فذاكَ لكِ، ثم قال رسول الله " ﷺ ": اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (٢).

إن هذا الضعف الأنثوى متعدد الجوانب، خاصة أن كثيراً من أمور المرأة كالقوامة فى الزواج تعود إلى الرجل ، الذى يجب عليه أن يتحسس نقاط

---

(١) سورة النساء : الآية / ١ .

(٢) سورة محمد : الآيتان/٢٢، ٢٣ والحديث متفق عليه وراجع صحيح مسلم ج١٦ ص١١٢ بشرح النووى .

الضعف عند المرأة، ويحسن التعامل معها بما يطيب خاطرها، وذلك ما أشار إليه بطريقة تشبيهيه بليغة – رسول الله " ﷺ " في حديث رواه الإمام أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله " ﷺ " : " ... واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضِلع، وإن أعوج شئ فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً " (١) .

ويشير هذا الحديث بطريق غير مباشر إلى ما فى المرأة من ضعف مرتبط بطبيعتها النسائية ، وأن الإشارة إلى محاوله تسوية عضوٍ من جسمها يفيد عدم قدرتها على التحكم فى لسانها أحياناً ، والكلام فى مجموعه مبنى على التشبيه، لكن مغزى الحديث واضح ومؤكد بأسلوب الأمر فى أوله وآخره .

لقد أعطى الإسلام وصية الحفاظ على الأعراض عناية فائقة فجعل الرسول " ﷺ " من يتق الشبهات ويبتعد كلية عن الحرام جعله طالباً للصيانة والمحافظة والبراءة لدينه وعرضه، فقال " ﷺ " فى حديث رواه النعمان ابن بشير : " فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه " (٢) وخطب فى حجة الوداع فقال : "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا " وينبغى أن توجه عناية المسلم إلى أقاربه،خاصة النساء اللاتى يحتجن إلى المحافظة على أعراضهن، وتقبُّل البر والصدقة فى حالة الاحتياج ، وذلك ما أقسم به النبى " ﷺ " فى حديث قال فيه : "والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله

---

(١) متفق عليه ، واللفظ للبخارى .

(٢) اللفظ للبخارى .

صدقة من رجل ، وعنده قرابة محتاجون لصدقته ، ويصرفها إلى غيرهم، والذى نفسى بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة "[١] .

ويُعد النكاح من أقدس العلاقات التى تربط بين الرجال والنساء ، ويكون العقد بين الطرفين ميثاقاً غليظاً لا ينبغى الطغيان على ما أوجبه بحق كل من الزوج والزوجة ، وجاءت العناية جلية واضحة فى كل متطلبات الزواج ، بدءاً من الخِطبة التى يتحرى فيها كل من الرجل والمرأة دوافع اختياره ، حيث ينظر كلٌ إلى الآخر ، وذلك ما رواه المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة ، فقال له النبى " ﷺ " : "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما " [٢] .

ودعا الإسلام الرجال إلى حتمية المعاشرة بالمعروف ، والصبر على منغصات الحياة الزوجية ، وعدم التسرع فى اتخاذ القرار عند الرغبة فى التفريق قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٣] .

٣- بعض المواقف (الأحداث) الكاشفة عن حتمية التواصل بين الأقارب :

تذخر كتب الأحاديث النبوية والسيرة المحمدية بعدد من الصور البارزة، والمعبرة عن شمولية الحفاظ على الأعراض لكل المكلفين، الذين يسعَون إلى تأصيل المودة والرحمة بين الكبار والصغار، وبين الرجال والنساء ؛ حتى

---

(١) أورده الطبرانى فى المعجم الأوسط .

(٢) رواه النسائى والترمذى ، وحسّنه .

(٣) سورة النساء : الآية / ١٩ .

تتأصل هذه المعانى ، وتتعمق فى القلوب ، ويصبغ المجتمع كله بالصبغة الإسلامية، التى يعد الخروج عليها تفريطاً فيما يجب الالتزام به من أحكام للشريعة الإسلامية، ونذكر فى ذلك ما تحدثت به أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر قالت : " جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتُها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة ، لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها – أى طلبتا منها أن تطعمهما فشقت التمرة – التى كانت تريد أن تأكلها – بينهما ، فأعجبنى شأنُها، فذكرت الذى صنعت لرسول الله " ﷺ " فقال : إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار " [(١)].

وهكذا تجلى حب المرأة لبنتيها وتجسّد فى شئ بسيط ، لكنه كان مؤثراً ورائعاً، ونذكر أمراً آخر ذكره القرآن الكريم فيما يخص بيعة الرسول للنساء ؛ تدليلاً على صيانة الإسلام لحقوق المرأة، وأنها فى معظم التكليفات لا تقل عن الرجل ، والخلاف فى التشريع بين الاثنين راجع إلى طبيعة كل من الرجل والمرأة ، وذلك أنه – ﷺ – لما فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة نزلت آية المتحنة، الخاصة ببيعة النساء ، إذ أن الرسول قد بايع الرجال على الإسلام والجهاد ، ثم بايع النساء والتقى بهن عند الصفا بمكة المكرمة، وكان معه عمر ابن الخطاب ، وكانت هند بنت عتبة تراجع الرسول فى بنود المبايعة والرسول يرد عليها ، إلى أن انتهى اللقاء، وتم إقرار البيعة، التى أعطت النساء حقوقهن فى ضوء الأحداث القائمة آنذاك،وأما آية البيعة فهى قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ

---

(١) مسلم وأحمد وابن حبان .

شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

وتكشف هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى جلاء ووضوح عناية الإسلام بالمرأة، ووجوب المطالبة الشاملة لسائر المكلفين بالحفاظ على الأعراض، وصيانة الحقوق بدون ظلم وطغيان، وذلك هو الخلق الإسلامى، الذى يجب أن يلتزم المسلم به، حيث يحسن باطنه وظاهرة فى ضوء العلاقة الشمولية بين الناس جميعاً، خاصة فيما يتصل بشمولية الدعوة إلى الحفاظ على الأعراض ... والله أعلم.

---

(١) سورة الممتحنة : الآية / ١٢ .

٢٩- محبة الأخ لأخيه

ينبغى أن يمثل الأخ دعامة قوية ، وسداً منيعاً لأخيه ، فيُسدى له النصيحة فى الخير ، وينصره فى الحق، ويصدّه عن الشرّ، ويتعهده بالزيارة، ويقترب منه بالمحبة والعطف ، ويُفضى له بالأسرار والودّ ، ويستشيره فى الملمات ، ويستره فى حضوره ، ويدافع عنه فى غيابه ؛ حتى يصير الاثنان بمثل رجل واحدٍ ، وتنتقل المحبة التى بينهما – فى ظل هذا التوافق والتوحد والتعدد بين كثير من الإخوة – إلى أبنائهما وزوجاتهما ، ومن ثمَّ إلى الآخرين تحت ظلال الرحمن الرحيم .

١- حديث القرآن الكريم والسنة النبوية عن علاقة الأخ بأخيه .

لقد أنبأت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن متطلبات العلاقة بين الأخوين الشقيقين ، أو لأب أو لأم ، وحَذّرت من الإخلال بواجبات هذه العلاقة ، وما يترتب عليها من حقوق لكل واحدٍ على الآخر، ذلك أن الحاصل فى الواقع المعاصر يشهد بكثير من الخروجات التى لا يجوز حدوثها؛ لما لها من آثار منافية للدستور الأخلاقى للإسلام، ومن ذلك التجاوز البغيض إلى درجة الاعتداء على النفس والمال والعرض والأبناء ، وكأنهما لم يرتبطا بوشائج مقدسة رعاها الشرع ، وأوجب صيانتها وعدم الطغيان عليها .

ويحدث أن يتمادى الأخَوان أو الإخوة فى الخصام والعناد ، واعتداء أحدهما على الآخر ، ويكون الرد على الخطأ بأشدّ منه ، وتنتقل الكراهية إلى الأبناء والزوجات ، وقد تصل إلى الأحفاد ، ثم تحدث اليقظة من الغفوة

والإفاقة من الغضب ، وتأتى المراجعة لشطط النفس ، وغواية الشيطان، ويقترب الأخ من أخيه ، وتعود مياه العلاقة إلى قنواتها الطاهرة ، مما يعنى أن الأصل فى هذه العلاقة هو الحب والتعاطف والتقارب ، وأن الخروج عن هذا الأصل لا يتجاوز كونه سحابة صيف تبدو للناظر ضئيلة ، ثم تتلاشى وتعود السماء إلى تمام الصحو والصفاء .

أ – لقد اجتمع الحب والكره فى قصة يوسفَ عليه السلام وإخوته ، وأورد القرآن – فى السورة التى سُمّيت باسمه – لفظ الأخ منفرداً بأحوال متعددة ، أربع عشرة مرّة ، وجمعا أربع مرات، حيث عَرضت الأحداث فى معظم السورة للعلاقة بين يوسف وإخوته ، وتعلقه بأخيه الشقيق، الذى تمّ التفريق بينهما إلى أن التقيا على المحبة والإخلاص والوفاء .

وقد أعمى الشطط الإخوة ، فغابوا عن الصواب ، وسيطرتْ عليهم القسوةُ والكراهية ، فمكروا بأخيهم، وألقوه فى الجُبّ ؛ حتى يخلو لهم وجه أبيهم، وتنّبه الوالد عليه السلام لمكائد الشيطان، وحذر يوسفَ مما يمكن أن يلحق به من شرور إخوته ، قال تعالى على لسان يعقوب : ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [1] .

وطالت أيام القسوة على يوسف ، وهو ينتقل من المبيت على صخرة فى الجُبّ إلى تقييد حريته فى قصر العزيز، إلى الزج به فى السجن ؛ حتى نال البراءة ، وصار أميناً وراعياً لخزائن الحكم بأرض مصر ، وأقرّ إخوته بالذنب

---

(١) سورة يوسف : الآية / ٥ .

في حقه ، وطلبوا من أبيهم الغفران لهم ، فقال تعالى على ألسنتهم : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١) .

ب – كانت حياة موسى عليه السلام قلقة مضطربة في سبيل التبليغ لرسالته ، واحتاج إلى من يعينه ، ويشدُّ من أزره ، ويقْوَى معه على مواجهة أعدائه ، وأبدى رغبته في انضمام أخيه (هارون) إلى معيته ، قال تعالى : ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ (٣) ، وتجلت مكانة هارون وتأثيره في مسيرة الدعوة السماوية ، فهو أخ لموسى ، وصادق معه ، وأفصحُ منه لسانا ، وأكثر الخلق إخلاصاً له في التصدى لفرعون وملئه ، وأشادت آيات القرآن بشأن هارون وأثره في دعوة أخيه ، فقال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا (٤) يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة يوسف : الآيتان / ٩٧، ٩٨ .
(٢) سورة طه : الآيات / ٢٩– ٣٢ .
(٣) سورة مريم : الآية / ٥٣ .
(٤) ردءا : أي درعا .
(٥) سورة القصص : الآيتان / ٣٤، ٣٥ .

وقد ألقت هذه الآيات القرآنية الأضواء على جوانب الصورة، التى تؤلف بين الأخوين موسى وهارون عليهما السلام .

جـ - وجاء المشهد الثالث بالقرآن الكريم عن العلاقة بين الأخ وأخيه ، وهو مشهد أكثر قسوة وإجراماً ، وجَرتْ وقائعه فى المرحَلة المتقدمة من عمر الإنسان على الأرض ، ويُعد نموذجاً بشعاً لطغيان الأخ على أخيه ، حيث سيطرت الكراهية والأنانية على قلب (قابيل) بن آدم الذى أصرّ على زواج منْ ليست له ، وصدَّ مسامعه عن نصيحة والده ، فقتل أخاه (هابيل) الذى قبل الله قربانه ، ولم يتقبل سبحانه وتعالى قربان (قابيل) الذى طعن الأخوة فى مقتل ، ودمّر وشائج المحبة والألفة،قال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (١).

د - وتكون المساعدة للأخ فى مسارها الصحيح عندما يقع عليه الظلم ، أو يُسلب منه الحق ، لكن الأمر يختلف عندما يكون الأخ ظالماً متعديا ، وأوضح الرسول " ﷺ " بيان الحال فى هذا الشأن فقال : " انصر أخاك ظالما أو مظلوماً، فقيل : يا رسول الله عرفنا كيف ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره " (٢) .

إذ يجب على المسلم التصدى للظلم ومنعه عن الآخرين ؛ حتى لو كان الظالم أخاه ، إذ لا ينبغى ألا تحول العصبية فى الانتصار للأخ عن مقاومة الظلم والظالمين .

---

(١) سورة المائدة : الآية / ٣٠ .

(٢) البخارى ومسلم .

٢- واجبات الأخ وحقوقه عند أخيه .

لا تتوقف الأخوة عند حدود العلاقة بين الأخ وأخيه ، ولكنها تمتد إلى المعنى الأشمل والأعم وهو الأخوة فى الدين أو فى الإنسانية ، دون الاقتصار على العصب أو اللون أو النوع أو الجنس، وتجلى ذلك بوضوح فى قول الرسول"ﷺ" لزيد بن حارثة: "أنت أخونا ومولانا " (١) أى أخونا فى الدين، ومولانا أى تابعنا ، وقد كانت المسافة بينهما كبيرة من نواح كثيرة ، واعتبر الرسول أن الأخوة الإسلامية التى يلتقى فيها مع زيد تتجاوز ما بينهما من فروق واختلافات .

ويكشف الحديث الآتى عن بعض واجبات الأخ تجاه أخيه ، وهى حقوق للثانى على الأول ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله " ﷺ " قال : " المسلم أخو المسلم لا يَظلمهُ ولا يُسْلِمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كُرْبة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " (٢) .

ومن ذلك أيضاً الحرص على الصلح بين الأخوين عند الفرقة والنزاع ، وجاء بيان ذلك فى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣) ، ويكون الصلح محكوماً بالضوابط

---

(١) البخارى (التاج) ج ٣ ص ٢٦٢ .

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخارى ، ومعنى لا يُسلمه ، أى لا يلقيه إلى الهلكة ، ولم يحمه من عدوه ، وكربة : أى غُمة .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

الشرعية الثابتة، دون تغليب للهوى وما يصحبه من محاباة واحد على حساب الآخر ، فإذا كان الصلح خالصاً ، وابتغى به وجه الله ، وإصلاح ذات البين ، أثمر ذلك عن نتائج طيبة، تزول بها أسباب الشقاق والنزاع ، ويتحقق العفو والتصالح والتسامح ، وتحل المحبة والمودة محل الكراهية والبغضاء .

٣- أبعاد العلاقة بين الأخوين .

للعلاقة بين الأخوين معالم كثيرة ينبغى أن يقف عليها كلُّ أخٍ صدوق ، وأن يضع فى اعتباره أهمية الاستقواء بالأخ قبل غيره، فإن العلاقة التى تربط بين الاثنين علاقة متينة ، سواء أكانت علاقة دم أم دين ، ولا يصح أن تلتصق بها خيانة أو كراهية أو خداع، ولا يستشعر ذلك إلا من حُرم من نعمة الأخوة، وكأنه ذاهب إلى حرب بلا سلاح ، كما قال الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخاً له .:. كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

ويلقى الإنسان فى حياته كثيراً من العنت والشقاق والغموم والهموم ، ولا يجد من يربتُ على كتفه ويطيب خاطره ، وينشرح له صدره إلا الأخ، الذى يصدق فى المشورة والنصيحة ، ويستر الهفوة ويُقوِّى العزيمة ، ويحضُّ على الخير ، ويحرص على الزيارة والعيادة ، ويقدم القرض الحسن ، ويتغاضى عن التقصير ، ويبشُّ عند اللقاء ، فعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال الرسول " ﷺ ": " لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق " [1] .

---

(١) رواه مسلم .

ولا ينبغى أن يحدث الخصام والهجر بين الأخوين مهما كانت البواعث على ذلك ، وإذا حدث فلا ينبغي أن يزيد عن ثلاث ليال ، فعن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله " ﷺ " قال : " لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيُعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام " (١) .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى " ﷺ " قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (٢) فهذا الحب أصدق دلالات التقارب والامتزاج بين الأخوين ، فما أعظم أن يتحقق الحب والإخلاص بين الأخوين القريبين، ثم بين الأخوين فى الإسلام ، وصولاً إلى تمام المحبة فى الأخوة الإنسانية ، وذلك هو الهدف الأسمى الذى حضّ عليه الإسلام .

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى فى كتاب الأدب .

(٢) البخارى ومسلم .

القسم الرابع

فى التأمل والاعتبار

١- التدبر فى آيات القرآن الكريم .
٢- وجل القلوب بذكر الله تعالى .
٣- اطمئنان القلوب بذكر الله تعالى .
٤- النظر إلى آثار رحمة الله تعالى .
٥- التأمل فى تصريف الرياح .
٦- مقاومة أهواء النفس .
٧- التطهر .
٨- الابتلاء بالشرّ والخير .
٩- الاتعاظ من زيارة القبور .
١٠- اجتناب التشاؤم .

١- التدبر فى آيات القرآن الكريم

يكشف التدبر فى آيات القرآن الكريم عن معالم جديدة وأحوال متعددة ، تعطى مزيداً من الدلالات التى لم يهتد إليها السابقون ، ولازال العطاء الإلهـى المتستر فى أعماق الآيات يحتاج دَوْماً إلى من يتحراه ويبحث عنه ، خاصة عباد الرحمن ، وتلك بعض أخلاقهم التى يمثلون بها القدوة لغيرهم من البشر .

١- دعـوة القـرآن الكـريم ، وتنبيـه الـسنة النبويـة إلى دراسـة القرآن الكريم ، والتدبر فى آياته :

لقد دعت بعض آيات القرآن الكـريم إلى وجـوب التـدبر لآياتـه ، ومعنـى التدبر فى الآية القرآنيـة أن يُعمـل القـارئ المـؤمن عقلـه وتفكـيره فـى دلالات الألفاظ ومعانيهـا ؛ لأن القـراءة الـسريعة الخاطفـة مـن غـير أن تكـون راصـدة لخشوع وخضوع بحق جلال اللفظ والمعنى لا تحقق المستهدف الإيمانى والتـدبر المعرفى ، وعليه يلزم التأمل والبحث عما يؤول إليه الفكر ، ويسفر عنه الوعى فى أعقاب القراءة التدبرية التى نزل الأمر بها ، أو الحض عليها .

وقد كان النص القرآنى الـداعى إلى تـدبر آيـات القـرآن متقدما فـى عمـر النزول بمكة المكرمة ، ومن ذلك قول الله تعـالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [١] وفى هذه الآية دليل علـى وجـوب معرفة معانى القرآن ، ودليل على أن الترتيل أفضلُ مـن سـرعة القـراءة ، فمـع السرعة لا يتحقق التدبر المـستهدف ، ومـن بـين معـانى التـدبر اتبـاع دلالات المعنى ، وهذا شأن أصحاب العقول [٢] ، كما أن التدبر لآيات القـرآن يـؤدى إلى

---

(١) سورة ص : الآية / ٢٩ .

(٢) بتصرف من تفسير القرطبى جـ ١٥ ص١٩٢ .

اليقين بأن كلام الله تعالى يختلفُ عن أحاديث البشر ، إذ يتبينُ من خلال التدبر الاختلاف الكثير وهذا هو مضمون قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1] وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أول من جَهَر بقراءة القرآن ، بعد أن استمعَ إليه من رسول الله– ﷺ – ثم سعى القرشيون إلى الاستماع للقراءة من النبى – ﷺ – الذى قال : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " [2] .

وانتقلت متابعة أصحاب رسول الله للقرآن الكريم إلى النظر والتأمل فى آياته ، ودراستها وتدبر معانيها ، فقال عليه الصلاة والسلام : "...وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده " [3] .

إن طول العهد بالقرآن الكريم منذ أن نزل منجما على الرسول– ﷺ – فى مكة والمدينة ، والدراسات عنه لم تتوقف ، إيذانا باستمرار عطائه لعباد الله المتقين جيلا بعد جيل ؛ولسوف يبقى عطاء القرآن متجدداً ومضيئاً ، وكاشفا عما كان بعيداً عن الأفهام فى مراحلَ سابقة .

٢- نتائج التدبر لآيات القرآن الكريم :

إن الهدف الإيمانى من تدبر آيات القرآن الكريم هو العلم والهداية ، وبحيث ينتقل المتلقى لكتاب الله من حالة الاستماع والإعجاب الظاهرى إلى

---

(١) سورة النساء : الآية / ٨٢ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

التدبر الهادئ ، والفهم الواعى ، والارتقاء إلى مصاف الخاشعين ، أمام مجالات الإعجاز ، حيث لم يصل المؤمنون إلى نهاية العلم فى هذا الكتاب العظيم ، وقد ذكرت الآيات بعض هذه النتائج المعرفية للتدبر ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

ولقد خاطب القرآن الكريم الكافرين والفاسدين فى الأرض ، والمقطعين لأرحامهم ، والملعونين من الله تعالى ... خاطبهم القرآن بحتمية تدبره ، والانتقال من حالة غلق قلوبهم وخلوها من الإيمان وذلك للاستفادة من معطيات التدبر، ويدأ هذا الخطاب بالاستفهام التوبيخى لهذه الصنوف من البشر، فقال جلت قدرته : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٣) ، وقد كانت هذه الآية مما خُوطب به الرسول من القرآن الكريم بالمدينة، ذلك أن كثيراً من المعاندين لم ترطبْ قلوبهم بالهداية والمعرفة ، من خلال قراءة القرآن وتدبر معانيه واستقراره فى صدور الذين أوتوا العلم، والذين يخشون الله سبحانه وتعالى ، وتزداد خشيتهم بالتمعن فى الآيات المحكمات والأخريات المُتشَابهاتِ ، ولذا وجب على أحباب كتاب الله أن يَزيدُوا من تقديره ، وذلك

---

(١) سورة الإسراء : الآية / ٩ .

(٢) سورة يوسف : الآية / ٢ .

(٣) سورة محمد : الآية / ٢٤ .

بالتأدب معه ، وإجادة الاستماع إليه وحسن الإنصات له قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

ولا يقتصر الاستماع على الصمت ، وإنما يرتهن بالتدبر والتأمل، وزيادة الخشوع والطمأنينة ، ومحاولة التعرف على ما يختزنه القرآن من سبل الإعجاز فى اللغة والبيان والبلاغة والتشريع والكون ومشتملاته ، وسائر المعارف الإنسانية ، والإشارات العلمية ، والأحداث التاريخية ، والكثير من التأويلات التى انتهى إليها السابقون منذ عصر بعث الرسالة المحمدية .

٣- ابرز الجوانب التى يُعتنى فيها بالقرآن الكريم :

إن من أهم ما يجب على المؤمنين بحق كتاب الله المبين المداومة على قراءته وعدم هجره ، ووجوب الانشغال به آناء الليل وأطراف النهار ، والبحث عن أسراره التى لا تنكشف إلا بالتدبر ، ومحاولة الاتساع فى الفهم ، وقراءة تفاسيره على اختلاف أنواعها وتأويلاتها ، وبحيث تتوثق صلة القارئ أو المستمع بالقرآن ، مع تحذير المسلمين دوماً من خطورة هجره ، وعدم إحياء المعرفة به ، وقد حذر الرسول- ﷺ - قومه من هذه الحالة التى تنعكس بآثارها السلبية على جماعة المسلمين ، فتضعف العقيدة ، وتتهاوى كثير من أواصر التقارب فيما بينهم ؛ لأن القرآن الكريم هو حبل الله المتين ، الذى يجب الاعتصام به ، والحرص عليه ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأعراف : الآية / ٢٠٤ .

(٢) سورة الفرقان : الآية / ٣٠ ومهجورا : أى متروكا لا يؤمنون به .

لقد كانت بداية نزول القرآن على الرسول بكلمة (اقرأ) والقراءة هي أوسع أبواب العلم والمعرفة ، ورُوى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى - ﷺ - قال : " لا حسد إلا فى اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" [(١)] .

ومن نواتج التدبر لآيات القرآن الكريم الحرصُ على سلامة اللغة ، ووقاية اللسان من اللحن ، فقد أنزله الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [(٢)] .

وذلك حتى يكون دعما للسان العربى ، وتشجيعاً للمسلمين من غير العرب أن يحرصوا على تعلم لغة القرآن ، فهى أهم السبل للتقريب فيما بينهم، وشحذ سبل القوة التى يواجهون بها خصومهم وأعداءهم ، وذلك بفضل الحرص على القرآن الكريم وتدبر معانيه والعمل بما جاء فيه ... والله أعلم .

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الزمر : الآية / ٢٨ .

٢- وجل القلوب بذكر الله تعالى

الوجل : درجةٌ عالية من الإيمان الذى يَستقرُ فى القلوب عند ذكر الله تعالى ، أو عند اطمئنانِها لقبولِ ما تقربتْ به إلى الله ، أو فى حالةِ استشعارها الخوف والفزع من عدم القبول ، وهذا ما يتحققُ فى شأن عباد الله الذين ارتقوْا درجاتٍ عليا من الإيمان .

١- معنى الوجل ، كما جاء فى القرآن والسنة :

لقد تعددت الآيات القرآنية التى وَرَدَ فيها وصف (الوجل) الذى ارتبط بيانه حسب وروده من آية لآخرى ، لكن أغلبَ ارتباطاتِه كانت بالقلب ، وهو محل العواطف والمشاعر التى تقوى وتضعف من شخص لآخر ، وأقرب تفسير للوجل هو الفزع والخوف ، ذلك أن حالة المؤمن ، الذى يخشى على نفسه من أحداث الدنيا ، وما يعتورُها من تغيير ، ويهابُ آخرته ، تخوفاً من عدم قبول عباداته ، هذه الحالة تسيطر على المؤمن ، وتشمل ظاهره وباطنه ، ويصير قلبه مرتعشاً بالوجل ، خاصة فى الأحوال التى يستجيبُ فيها لذكر الله ، ومشاهد عظمته وسلطانه وجلاله ،فالوجل وصف لحالة القلب الذى يخشع فيها لذكر الله حدوثاً فى الدنيا واستشعارا وإحساسا بالخوف من نتائج الحساب فى الآخرة، قال تعالى فى بيان بعض أوصاف المؤمنين حقا ،الذين هم من خشية ربهم فى وجل دائم: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[1] فهم يتصدقون فى الدنيا ، وقلوبهم فى فزع ؛ خوفاً من عدم النجاة من عذاب الله.

---

(١) سورة المؤمنون : الآية / ٦٠ .

وتتّضحُ بعض دلالات الوجل في قول الشاعر [١] .

لعمرُك ما أدرِي . وإني لأوجلُ ∴ على أيِّنا تغدُو المنيةُ أولُ

ويسفر الوجل كثيراً عن حركة ارتعاشية لا إرادية ، تصدر من القلب ، أو تعبر عنه عند ذكر الله تعالى ، وذكَرَ بعض العلماء معنى الوجل فقال : " هو هذه الارتعاشة الوجدانية التي يُعبِّر عنها بالوجل ، لمجرد ذكر الله تعالى ، وهي نفسُها التقوى ، والقلب المتصل بالله المستشعر لهيبته ينتفض بالوجل لمجرد ذكر اسم الله الأعلى " [٢] .

وجاء هذا الخلق مرتبطا في أكثر الآيات بالقلب وهو وإن كان قريباً في الدلالة من الخشية والرهبة والهيبة ، ولكن الوجل يختلف عن هذه الصفات في شدة ارتباطه بالقلب .

٢- أسباب الوجل ودواعيه :

يأتي الوجل تالياً لذكر الله تعالى ، وهو أحدُ مسبباته ، ولا يكون إلا ممن استجاب قلبه لمتطلبات اليقين والإيمان ، وبقي في فزع ؛ تخوفاً من عدم قبول طاعته،ويتجلى ذلك في قول الله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٣] .

وقد وصفت الآية حال المؤمنين بالفزع والخوف عند تلاوة آيات الله تعالى، ووصفتهم آية أخرى باطمئنان القلوب عند ذكر الله تعالى، قال :﴿ وَتَطْمَئِنُّ

---

(١) هو (معن بن أوس المزني) .

(٢) موسوعة أخلاق القرآن للدكتور الشرباصي جـ ٤ ص٢٢٣ .

(٣) سورة الأنفال : الآية / ٢ .

قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] فحالة المؤمن هى التى تُفصح عن وصفه ، وذلك ما جاء مجتمعاً بالصفتين معا فى قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [(٢)] ، وجاء ارتباطُ الوجل بالقلب مصحوباً بذكر الله فى آيات أخرى من القرآن الكريم .

٣- أحوال الوجل مسبباته وآثاره – فى شأن المؤمنين :

تتعدد أسباب الوجل التى تهيمنُ على قلوب المؤمنين فى أعقاب ذكر الله تعالى ، ويتحققُ ذلك فى كثير من العبادات ، التى تتطلبُ خشوعاً وخضوعاً متميزاً كالصلاة ، إذ يستحضرُ المؤمنُ فيها كبرياء الله تعالى وعظمته ، فينتفض بدنُه ويقشعر جلده ، ويستشعر الوجل من عظمة الله تعالى ، ولا يكونُ الإحساسُ به على هذه الصورة ما لو كان الوجل مسببا عن الخوف من عذاب الله كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [(٣)] ويكون هذا الخلق ناشئا عن الصبر على المكاره والنوازل ، التى ينقطع قلب المؤمن فيها عما سوى الله تعالى ، وذلك هو المراد من قوله جلت قدرته : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة الرعد : الآية / ٢٨ .

(٢) سورة الزمر : الآية / ٢٣ .

(٣) سورة فاطر : الآية / ٢٨ .

(٤) سورة الحج : الآية / ٣٥ .

ويكون الوجل صادقاً ، وهو فى أعلى درجاته ، عندما يَعْمُرُ قلب المؤمن به ، وإذا تحول إلى حالة تخوف مُدَّعى فهو وَجَلٌ كاذب ، ليس الهدف منه سوى التظاهر البغيض ، الذى لا يعبر عن أحوال عباد الرحمن .

ونذكر فى ذلك ما روته السيدة عائشة رضى الله عنها حيث قالت للنبى - ﷺ - : يا رسول الله : الذين يُؤتون ما آتَوْا وقلوبهم وَجِلَةٌ " هو الذى يسرق ويزنى ، ويشرب الخمر وهو يخاف الله ؟ فقال :

" لا يا بنت الصديق ، ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق ، إنهم إلى ربهم راجعون ، يا رسول الله هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله ، قال : لا يا بنت أبى بكر يا بنت الصديق ، ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل " [1] .

وهكذا يُعَد الوصف بوجل القلوب عند ذكر الله من أخص مواصفات عباد الله المتقين ، الذين يزداد لديهم ويسيطر عليهم فى أشد حالات القرب من الله تعالى ، وهو أعلى وأعلم .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده .

٣- اطمئنان القلوب بذكر الله تعالى

تتفاوت مكانة المؤمن عند ربه من شخص لآخر ؛ استجابة لدرجة خشوع القلب واطمئنانه ، وتجاوزه للخوف من الله تعالى ، مع اعتبار ذكره تعالى حالة متميزة يحياها المؤمن فى صلاة واستغفار ، تزداد بها القلوبُ خشوعاً واطمئنانا بذكر الله تعالى .

١- حقيقة ذكر الله تعالى ، وكيفية اطمئنان القلب بذلك :

إنَّ اطمئنان القلوب بذكر الله تعالى أحد فضائل الإسلام ، وهو خلق تتجاوب فيه الأعضاء كالقلب واللسان مع متطلبات العبادة ، فيبقى المؤمن على اتصال وثيق بربه ، لا يُشغل فكره إلا بقضاء الله وقدره ، وأراد أن يزداد قلبه اطمئنانا إلى رحمة الله تعالى ، وارتقى يقينه الإيمانى إلى تحقيق ذلك بذكر الله تعالى فى ضوء قوله تعالى بحق جماعة من المؤمنين : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[1] وقد تحدث الرسول - ﷺ - عن الترابط القويم بين الفوز برياض الجنة ، وحلقات ذكر الله تعالى ، فقال فيما رواه أنس رضى الله عنه : " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا – أى فاجلسوا فيها – قالوا: وما رياضُ الجنة،قال: حَلَق الذكر" [2].

ويتحقق ذكر الله – أى استحضاره وتذكره – من خلال الاستغفار بسائر الأدعية ، وأداء الصلاة وقراءة القرآن ، وحضور مجالس العلم ، وما يستتبع

---

(١) سورة الرعد : الآية / ٢٨ .

(٢) رواه الترمذى .

ذلك من خشوع وحضور لله رب العالمين ، ففى هذا التشبع الإيمانى ، وتخليص القلب من أى ولاء للشيطان ، وزيادة الثقة فى الله فيما يتصل بمتطلبات الحياة كالأموال والأولاد والصحة والجاه ، وما سواها من كل غرض دنيوى ربما يسهم فى زحزحة المؤمن عن الولاء العظيم لله رب العالمين ، ونذكر فى ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى- ﷺ - قال : " إن الله عزّ وجل يقول : " أنا مع عبدى إذ هو ذكرنى ، وتحركت بى شفتاه " (١) والمعنى أن ذكر الله تعالى يشمل باطن الإنسان وهو قلبه ، كما يشمل ظاهره الذى يتمثل فى تحريك الشفتين وهما بوابة الكلام .

إنّ إقبال المؤمن على ذكر ربه ، واستحضاره فى القلب تزداد تجلياته من خلال تدبر عطاءات الخالق للبشر ، وأعظم أوقات هذه التجليات عند قراءة القرآن وتدبر معانيه ، قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢) فذكر الله يحيى القلوب ويزيدها خشوعاً واطمئنانا ، وتوكلاً على الله تعالى .

٢- كيف ينمو ذكر الله تعالى فى قلب المؤمن؟

إن أعظم دعائم الإيمان هى قراءة القرآن وتدبر معانيه ، والتى يزداد معها قلب المؤمن خشوعاً واطمئنانا وزيادة فى معدل الإيمان لديه ، وقد صور القرآن الكريم ذلك ، تعبيراً وتشخيصاً لأوصاف جماعة من المؤمنين الذين قال

---

(١) رواه ابن ماجة واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه

(٢) سورة ص : الآية / ٢٩ .

الحق تبارك وتعالى مصوراً أحوالهم : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١).

لقد جمعت هذه الآية بين أعظم صفات الإيمان لديهم ، وهى أن قلوبهم تضطرب ثم تخشع وتطمئن ، ويزداد إيمانهم رسوخاً إذا تَلَوْا آيات القرآن الكريم ، أو تُليت عليهم ، وتكتمل دلالات الإيمان لدى هذا الفريق بأن توكلهم لا يكون إلا على الله تعالى ، ويكون إنماء الذكر من الرجال والنساء بالمداومة عليه ، وعدم الانقطاع عنه ، وهذا من جملة أوصاف المؤمنين ، الذين قال الله فى حقهم : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢).

ويُنَمِّى ذكر الله تعالى بالقضاء على مقدمات الشك فى اتساع قدرة الله تعالى، فإذا كان مقياسُ الاطمئنان القلبى لم يصل إلى تمامه فإن الحرص على زيادة الخشوع تمثل ارتقاءً وسمواً لمعدل الاطمئنان بذكر الله ، وتجلى ذلك فى سؤال خليل الرحمن إلى ربه عن كيفية إحياء الموتى ، والذى تحققت الإجابة فيه بطريقة عملية ماثلة للعيان ، وذكر القرآنُ مبدأ السؤال والردّ عليه ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنفال : الآية / ٢ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٣٥ .

(٣) سورة البقرة : الآية / ٢٦٠ .

وتبقى تلاوة القرآن مع التدبر أهم وأقوى مقومات ذكر الله تعالى ، والتى تزداد بها القلوب خشوعاً واطمئنانا .

٣- الأسباب التى تُحد من تواصل قلب المؤمن مع ذكر الله تعالى :

إنَّ من أوجب ما ينبغى تحذير المؤمنين منه هو الانسياق وراء قساة القلوب الذين غفلت قلوبهم عن ذكر الله ، واتبعُوا أهواءَ الشياطين من الإنس والجنّ ، وأسرفوا فى العصيان والضلال ، إذ أن الثابت عند المؤمن ، الذى استقر الإيمان فى قلبه أن يكون ولاؤه لله تعالى ، وليس للفاسدين ، الذين تعمق الفساد فى سلوكياتهم ، وانتقل الضلال منهم إلى غيرهم ، فهم فاسدون فى أنفسهم ، ومفسدون لغيرهم ، وذلك مفاد قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾(١) .

وقد تحدث القرآن الكريم عن مقابلة بين فريقين أولهما : السائر فى أنوار الإيمان ، والآخر من تحجّر قلبه ، ولم يَلِنْ فؤاده أمام ذكر الله ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(٢) .

إنّ الاطمئنان الحقيقى للقلب يكون بذكر الله مع التدبر والخشوع ، أما قساوة القلب فتؤذن بالفرقة والانقسام،وهذا مالا يتفق مع أخلاق عباد الرحمن.

---

(١) سورة الكهف : الآية / ٢٨ .

(٢) سورة الزمر : الآية / ٢٢ وراجع سورة الحديد الآية / ١٦ .

٤- النظر إلى آثار رحمة الله تعالى

تحدثتْ آياتٌ كثيرةٌ من كتابِ الله تعالى عن حتمية تحرك المؤمن وسعيه في الأرض ، لينظُرَ متأملاً ومتدبراً إلى صنائع الله ، وما تحققه من رَحَمات تتجلى آثارُها في كثير من مشاهدِ الطبيعة الحية والصامتهِ ، والتى يجبُ ألاَّ تغيبَ عن عقول عباد الرحمن .

١- معنى النظر والتأمل فى آثار رحمة الله تعالى :

إن دعوة المؤمن إلى السير والنظر فى الأرض تهدف إلى تثبيت الإيمان فى القلوب ، وتقوية دعائم المؤمن فى إقباله على الله ، وأن مظاهرَ الطبيعة ليستْ إلا آثارا وأخباراً عن بديع صنع الله تعالى ، ذلك أن الكثير من هذه المشاهد ترتبط بقوة الله وقدرته على سكب رحماته على سائر مخلوقاته ، العاقلة وغير العاقلة فهى على اختلاف مداركها تسبِّح بحمد الله تعالى الذى قال : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[١] .

وقد وردت كلمة الأثر والأثارة فى القرآن الكريم ، وفى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك أن معنى الأثر هو بقية الشيئ وهو الأجل والخبر ، والأثارة : العلامة وما يؤثر من العلم قال تعالى : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾[٢] أى نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ، ونكتب آثارهم .

---

(١) سورة الإسراء : الآية / ٤٤ .

(٢) سورة يس : الآية / ١٢ .

وفي الحديث النبوى الشريف : " من سره أن يبسط الله له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه " [١] ومعنى: " وينسأ في أثره " أي يؤجل في عمره.

وقال تعالى : ﴿ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [٢].

وآثار رحمة الله تعالى في الكون لا يمكن حصرها ، وهي من نعم الله تعالى التي ذكرها القرآن الكريم فقال : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾.

والمعنى كما قال القرطبي رحمه الله : " لا تحصوها " ولا تطيقوا عدّها ، ولا تقوموا بحصرها لكثرتها ، كالسمع والبصر وتقويم الصور إلى غير ذلك من العافية والرزق ... وهذه النعم من الله وهلا استعنتُمْ بها على الطاعة " [٣].

٢- أبعاد دعوة الإسلام إلى النظر والتأمل في آثار رحمة الله :

لا تقتصر تجلياتُ رحمة الله تعالى على الإنسان العاقل المفكر ، وإنما تنسب إيقاعاتُها على الدواب والطيور والأسماك ، ففي كل هذه الكائنات يشهدُ المتابعُ مظاهرَ رحمة الله تعالى عندما تتهادى الرحمة والشفقة والعطف من الوالدين ، خاصة الأم تلك التي تنتقل على الأرض وتطير في السماء ، وتلتقط بمناقيرها حبات الغذاء المعبأ بالماء ، وتعود إلى أعشاشها ومرابضها ، فتلقى

---

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة الأحقاف : الآية / ٤ .

(٣) القرطبي جـ ٩ ص ٣٦٧ .

بحصيلة المشقة والحركة والسعى الدءوب فى فم الوليد الصغير ، الذى ينتظر ما يعينه على تواصل الحياة .

قال تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾(١) وآثار الرحمة فى الآية هى : المطر ، والأمر بالنظر يأتى مشفوعاً بالاستبصار والاستدلال على أن الله سبحانه وتعالى هو القادرُ على إنزاله وتسخيره لخدمة البشر من خلال المياه ، التى تتساقطُ على الأرض الجدباء فيبعثُ فيها الحياة ، وتلك هى بعض آثار رحمة الله التى لا تخفى على الراغب فى النظر والتأمل فى صنائع الله تعالى ، وآثاره على الأرض .

إن مشاهد الطبيعة ينبغى أن تكون حافزاً على تثبيت دعائم الإيمان التى تأتى نتيجةً للسير والنظر إلى دلائل الرحمة الإلهية قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٢) ، والناظر المتأمل إلى دورة الشمس فيراها سبيلاً لتعريف الإنسان بحدود الزمن ، وضبط الأوقات، وهى فى بعثها للحرارة إشعار للمؤمن بضعفه وعجزه عن المواجهة ، والتى يجبُ عليه أن يراجع نفسه أمام أنوار الله وآثار رحمته التى يلحظُها فى الماء والهواء وفى كل أثر من آثار الله تعالى .

٣- النتائج التى يجب تحقيقها من النظر إلى آثار رحمة الله تعالى :

إن كثيراً من مشاهدات المؤمن لآثار رحمة الله توحى بالعظة والاعتبار ، ولكن الأمر فى حقيقته ينبغى الاَّ يمر على أبصار المسلم وبصائره مرورا عابراً ،

---

(١) سورة الروم : الآية / ٥٠ .

(٢) سورة الرعد : الآية / ١٩ .

وإنما يتحتم أن يرتهن بالنظر والتأمل والتدبر لما جاء الأمر به صريحاً فى كلام الله تعالى . ويتحقق ذلك بالنظر العابر الذى يشهده الإنسان بصفته أباً أو أما ويفقد عزيزا لديه مثل الابن أو الأخ ، ويظن أن ما لحق به مصيبة بما يشبه الجنون وعدم قدرته على التحكم فى النفس ، وإذْ برحمةِ الله تعالى تتقاطر كالماء البارد الذى ينزل على قلب المصاب ، وتتجلى رحمة الله تعالى فيُلهم – سبحانه – المصابين ، ويرشدهم إلى القدرة على المواجهة ، وتحمل صدمات الأزمة ، ويشهد المتابع لتجليات الموقف ، ولا يستطيع أن يتفهم الأمر إلا على أنه رحمة ورأفة من الله تعالى ، تلك التى تبدو أمام المتابع دَرْسا وموعظة وهداية للآخرين .

إن آثار رحمة الله فى الكون هى بعض نِعَمِه على خلقه ، التى يستحيل حصرُها ويجب على كل مؤمن أن يديم النظر إليها ، ويتخذها سبيلا إلى ورعه وإيمانه واقترابه من الله تعالى .

٥- التأمل فى تصريف الرياح

تتجلى بعض دلالات العظمة الإلهية فى تصريف الرياح ، وما يعقُبها من تحقيق النعمة للبشر ، وتكون إعصاراً أو هزيما مرعبا، فتحقق آثاراً ضارة، ولكنها ذاتُ دلالات على إنذار الله وتحذيره لعباده ، وينبغى أن يكون ذلك كله مصحوباً بالتأمل والاعتبار .

١- حديث القرآن والسنة عن الرياح وارتباطه بالتأمل والاعتبار

لقد جاءَ ذكرُ الريح فى القرآن الكريم مفرداً وجمعاً ، وهى الهواء المتحرك فى السماء ، وارتبط الحديث عنها ببعض صفاتها مثل الذاريات، والعاصفات ، والمرسلات ، وجاء معظم ورودها بالإفراد فى مقام الضرر والعذاب والهلاك كقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ [1] ، كما جاءت فى مقام الخير والنصر لأولياء الله كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [2] ، ووردت فى القرآن الكريم بلفظ الجمع كثيراً فى مواضع الخير ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [3] وسواء أكانت الكلمة إفراداً أم جمعاً ، أو كانت فى الرحمة والخير أم فى الضرر والشرّ فإن ذلك يستدعى التأمل والاعتبار ، خاصة من عباد الرحمن الذين يثقون فى الله تعالى ،

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١١٧ ومعنى صِرٌّ : برد شديد .

(٢) سورة يونس : الآية / ٢٢ .

(٣) سورة الروم : الآية / ٤٦ .

ويؤمنون بقضائه وقدره ، ويحمدون الله تعالى على نعمائه وضرائه ، ولا يخفى على المدرك البصير قيمة ما تحمله الرياح من لقاح للأشجار،وتحريك للسحب، وتسيير للفلك ، وهى جزء من تصريف الله فى كونه الواسع العظيم ، ومجال للتأمل والعظة ، وليس للازدراء والاحتكار ، فقد قال الرسول - ﷺ - : " لا تسبُّوا الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : " اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أُمرت به ، ونعوذُ بك من شرٍّ هذه الريح ، وشر ما فيها وشرٍّ ما أُمرت به " [(١)] ذلك أن الإسلام دستور شامل لمنهاج الحياة، ولا يليق بالمسلم أن يأتى الكلام الفاحش على لسانه ، ويجب عليه أن يتذكر الريح على أنها آيةٌ من آيات الله تعالى محملةٌ ببعض دلالات قدرته .

وقد ذكر الرسول شأن الريح ، وما يترتب عليها من نعمةٍ أو نقمة ، وعلّم أمته بعض وسائِل التعامل معها فى عنفها ولينها فقال- ﷺ - : " الريح من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها ، وسلوا الله من خيرها ، واستعيذوا بالله من شرّها " [(٢)] .

وعلى ذلك يجب أن يأخذ المسلم من تقليب الليل والنهار ، وحركة الفلك فى البحار ، وحمل الرياح لما يعود على البشر بالخير وبالشر ، تلك التى سخرها الله تعالى لسليمان عليه السلام بحيث تجرى بأمره حَسْبَ رغبته واختياره ، وبتقدير الله وتدبيره .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه أبو دواد بإسناد حسن

٢- كيف جاءت آيات الريح مرتبطة بالرحمة والخير.

جاءت آيات القرآن الكريم عن الرياح مرتبطة بالخير ، الذى يتجلّى فى نزول المطر ، وإحياء الأرض ، وما يعقب ذلك من آيات وتوجيهات للمؤمنين والموقنين والعاقلين ، وما يترتب عليها من تأمل واعتبار فيكونُ وصفا حقيقياً لعباد الرحمن ، ففى شأن نزول القرآن الكريم من الله العزيز الحكيم جاء ذكر تصريف الرياح مسبوقاً بتوجيهات متعددة تسهم كلها فى حتمية التبصر لحركة الرياح ، وورد ذلك بياناً مفصلاً فى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

وقد جاءت هذه الآيات متعانقة ؛ سَعْياً إلى وجوب التأمل والاعتبار خاصة فى أمر الرياح ، التى ذُكرت مقرونَةً بالتصريف ، فالله بقدرته يقلبها مَرَّةً جنوباً ومَرَّةً شمالاً فى أحْوالٍ متعددة ، باردةً وحارةً وذات منافع وأضرار لحكم متعددة يجب على المؤمنين استيعابها ، والاعتبار بها وذلك شأن العقلاء من عباد الله ، فهم منارات وإضاءات لغيرهم من البشر .

فالريحُ تَهُبُّ ليِّنةً رخوْة تبعثُ الحيويّةَ والنشاط والحركة فى الإنسان ، وتتجلى فى النسيم الذى يُصافحُ وجوه الخلق عندما تقسُو الحرارةُ عليهم ، وهى فى مقام الخير تحرك السفن ناقلةً للإنسان وغيره من الكائنات كثيراً من

---

(١) سورة الجاثية : الآيات / ٣ ، ٤ ، ٥ .

الخيرات التى يستفاد بها ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[1] .

فلا زال للريح دور فى حركة السفن وإيقافها بلا حراك على ظهر الماء ، وكلّ ذلك يستدعى الصبر على متغيرات الأمور ، والشكر على نعم الله سبحانه وتعالى .

٣- كيف يمكن أن يُعَبِّرَ ارتباط الريح بالضرر والعذاب عن التأمل والعظة والاعتبار:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الريح الشديدة آيةً من آيات تحذيره وإنذاره لخلقه ، وأوجبت الآيات القرآنية أن يتمخض ذلك عن التأمل الإيجابى لعباد الله المتقين ، وتحقق ذلك فى غزوة الأحزاب عندما هبّت رياح شديدة فحقق الله بها الهلاك لأعداء الله ،الذين سعوا لحجب رسالة الإسلام عن الذيوع ، حيث أرسل الريح التى كانت دماراً بالنسبة لهم ، فولوا مدبرين مقهورين كما كانت نصراً لأولياء الله تعالى ، الذين أخلصُوا لعقيدتهم ، وسَعَوْا للدفاع عن المدينة المنورة،قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[2].

وقد كشفت هذه الآية عن الدور المزدوج لتفريق الله تعالى للريح ، إذ كانت هلاكا وتدميراً المخطط أعداء الله ونَصْراً وتأييداً للمتقين من المهاجرين والأنصار،

---

(١) سورة الشورى : الآيتان ٣٢، ٣٣ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٩ .

الذين حَفِظهُمُ الله بحفظ أرواحهم، وصيانة مدينتهم التى أحبوها وعاشوا فيها، وتعلقوا بها .

فالرياح التى يُصرِّفُها الله تعالى تخضعُ لقوانين شديدة الانضباط فى الحركة التى تحمل الخير ، كما تحمل الشرّ ، وفى كل الأحوال يجب أن يتمخض تصريف الله لها عن التأمل الإيجابى ، الذى يتحول اعتقاد المؤمنين به إلى قوة مُحرِّكة ودافعة ، وموجهة إلى تحقيق المزيد من الإيمان بالله تعالى .

٦- مقاومة أهواء النفس

تختلف النفسُ الإنسانيةُ من شخص لآخر ، فهى تقوى وتـضعُفُ حَسْب مستويات الإيمان ورسوخه فى القلب ، وأن الاستعداد للتغيير والتحول من أهم ما يتميزُ به صفوة الخلق،الذين تتجلى طبائعهم الإيمانية فى عباد الرحمن.

١- النفس والأهواء التى ترتبط بها :

النفس – فى بعض معانيها – هى الروح التى يُحتكم إليها فى تحديد مكنونات الإنسان ، كما أنها ذات الشيئ وأصلُه فى ضوء ما يمكن فهمه من قول الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[١] وتطلق على الروح التى تدير حركة الإنسان وتوجه رغباته ونزعاته .

والأهواء – هى الميول والاتجاهات التى توجه غالباً إلى الأفعال والنوايا الضالة . وأما مقاومة الهوى فتكون بمغالبته ومحاربته ، والتصدى لمخاطره وأضراره ، والتخلص من ضلالات الشيطان خاصة شياطين البشر ، الذين يزينون السوء والضلال ، كما تطلق النفس على آدم عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[٢] وكان الرسول يحزن على ضلالات قومه ، وابتعادهم عن الالتزام بمتطلبات العقيدة ومعايير السلوك الحميد ، فخاطبه القرآن الكريم بقول الله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَا

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام : الآية / ٩٨ .

(٣) سورة الكهف : الآية / ٦ ، ومعنى باخع نفسك : أى قاتل نفسك ؛ لعدم إيمان قومك .

﴿ تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾[(١)] ومن أهواء النفس تجرؤ البشر على خداع الله سبحانه وتعالى ، مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[(٢)] .

ولما كانت النفس لا تستقر على حال ، وتُحركها الميول والرغبات ، وقد تصفو وتسمو فتحرك عقل الإنسان وتفكيره ، وتخضعه إما إلى الاتزان والاعتدال ، وإما إلى الفساد والضلال، ولا تخفى هذه الحقيقة على الناقد البصير، الذى يقرُّ الحقّ ولا يجادلُ فيه ، وينكرُ المنكرَ ولا يختلف حوله ، تلك هى بعض الثوابت فى معايير التعامل مع الآخرين،والحكم لهم أو عليهم، ونذكر فى هذا الشأن قول الشاعر :

إذا اجتمع الناس فى واحدٍ ∴ وخالفهم فى الرضا واحدُ

فقدْ دلّ إجماعهم دونه ∴ على عقله أنه فاسدُ [(٣)]

٢- سبلُ مقاومة الإنسان لأهواء نفسه :

تتعدد سبل المقاومة الإنسانية لأهواء النفس ، وأول ما ينبغى التنبيه إليه فى هذا الصدد هو تحقيق الخوف الصادق من الله تعالى ، واتجاه الإنسان إلى لوم نفسه ، وكبح شهواتها والانتصار عليها ، خاصة إذا كانت من نوعية النفوس الأمارة بالسوء .

ويؤكد بيان هذه المعانى الإيمانية قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾[(١)] ، كما تتضح بعض

---

(١) سورة فاطر : الآية / ٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية / ٩ .

(٣) أدب الدين والدنيا للماوردى ص ٤٤١ .

سبل المقاومة فى الثقة بالله تعالى ، وعدم اليأس من رحمته ، خاصة ممن جاء النص الكريم فى شأنهم، إذ قال جلّت قدرته: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾(٢).

ومن بين سبل المقاومة الفاعلة لأهواء النفس قدرةُ المؤمن على تغيير ما يختزنه فى باطنهِ ، ويتمسكُ به ويتحمسُ له فإن هذا التغييرَ من أهم أدوات الانتصار على النفس ، وإعادة تقويم الذات ؛ لتحديد موقف الإنسان من ربه بين إسباغ النعمة عليه ، وحجبها عنه ، وهذا ما يتضح فى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣).

ويتحتم فى ظل هذه المنظومة الأخلاقية استعداد الإنسان للتخلى عن الإعجابِ بنفسه ، وعبادة ذاته ، ومفارقة شهواته ؛ لأن العصر الحاضر لم يعدْ فيه مثل ما كان فى الجاهلية من عبادة للأحجار والنجوم ، وإنما صار الأمر مختلفاً ، فأصبحت عبادة الهوى والمادة الفاعلة ، والنفوذ الطاغى هى التى تجعل الإنسان فى أدنى مراحل الضعف ، وفقد الرؤية الصائبة ، ويزيدُ هذه الإدراكات وضوحاً قول الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة النازعات : الآيتان ٤٠، ٤١ .

(٢) سورة الزمر : الآية / ٥٣ .

(٣) سورة الأنفال : الآية / ٥٣ .

(٤) سورة الجاثية : الآية / ٢٣ .

وتكتفى آية أخرى بالاستفهام التعجبى فى بدايتها ، والاستفهام المنفى الإنكارى فى خاتمتها وذلك قول الله فيها : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [١] وينبغى مقاومة هذه الأهواء بالعودة إلى صحيح الإيمان ، واتباع أصول الشريعة الإسلامية ، ومجانبة أهواء الضالين من البشر ، الذين يجهلون أحكام الدين ، وأبعاد السلوك وتمام المنهج ، وقد جاء هذا الأمر للرسول ، ولسائر أمته من عباد الرحمن والذى حدده قول الله تعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢]، ولا تتوقف مقاومة أهواء النفس عند عدد محدد من الأسباب، وإنما تتسع ؛ لتشمل حتمية استقرار النفس ، وحفظها من الضعف والانهزام .

٣- إيضاح بعض السلوكيات التى انتصر فيها المؤمن على أحوال نفسه .

لقد كانت حياةُ صهيب الرومى نموذجاً إيجابياً للمسلم ، الذى يُضحِّى بالكثير – إن لم يكن بجميع ما يملك – فى سبيل نصرة دينه ، وحمايةِ عقيدته ، فقد باع نفسه فى سبيل الله ، وسجَّل القرآن الكريم موقفه عند الهجرة بما لم يحدث للكثيرين ، ويكفى أن كتاب الله تعالى قد نزل به ما يخصه ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [٣] .

---

(١) سورة الفرقان : الآية / ٤٣ .

(٢) سورة الجاثية : الآية / ١٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية / ٢٠٧ ومعنى يَشْرى نفسه أى يبيع نفسه .



وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت فى صهيب الرومى فإنه أقبل مهاجراً إلى النبى- ﷺ - ، ثم اتبعه نفرٌ من قريش ، فنزل عن راحلته ، وامتثل ما فى كنانته ، ثم قال : " يا معشر قريش لقد علمتُمْ أنّى من أرماكم ، وايمُ الله لا تصلون إلىّ ، حتى أرمىَ كلَّ سهم معى فى كِنانتى ، ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شيئ ، ثم افعلوا ماشئتم ، وإن شئتم دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى ، فقالوا : نعم ، فلما قدم إلى النبى- ﷺ - بالمدينة قال: "ربح البيع أبا يحيى" ونزلت هذه الآية [1] .

ذلك أن انتصار الإنسان على أهواء نفسه يدفعه إلى حتمية التبصر بسلوكه فى الدنيا ، والتنبيه إلى ما يمكن أن يلحقه فى الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [2] .

وقد تكون هذه الآية آخر ما نزل من القرآن الكريم ، وفضلاً عن ذلك فقد نبهت إلى كينونة يوم القيامة ، وما يتحقق فيه من محاسبة النفس على ما كانت عليه بدون ظلم ، كما جاء فى هذه الآية ... والله أعلم .

---

(١) بتصرف عن تفسير القرطبى جـ ٣ ص٢٠ ، وغيره .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٨١ .

٧- التطهر

يسعى المؤمن إلى طهارة بدنه من كافة أشكال النجاسة الحسية ، كما يحرص على التطهر المعنوى من الذنوب ، وسائر الصفات القلبية كالشك والحسد مما يؤهله للسير فى أنوار الإيمان .

١- ملامح الطهارة الحسية :

يتحتم على المسلم أن يحرصَ على التطهر الحسي والمعنوى ، ومن كل قبيح ظاهرى وباطنى فى إقباله على ربه ، وعند لقائه بسائر خلق الله تبارك وتعالى .

والتطهر على العموم من مستلزمات شخصية المسلم التى ينبغى أن تكون منزهةً عن الدَّنس والنَّجس وعن كل القبَائح ، أما التطهر الحسِّى فيشمل طهارة الأعضاء والملابس والمكان الذى يقيم به ، أو يعبد الله سبحانه وتعالى فيه، كما يشمل طهارة البدن من الحدث ، وذلك بالوضوء والغسل والتيمم .

وارتبط التطهر – ابتداءً – بالعبادة ، وبهدف المحافظة على صحة الإنسان – بكافة الاعتبارات – وقد شرع الإسلام الوضوءَ الذى تتحقق به نظافة الأعضاء كل يوم عدة مراتٍ ؛ حتى يلقى الله سبحانه وتعالى ، وهو على أفضل صورة ، كما يشمل التطهر نظافة الملبس ؛ حتى تتحقق بها الزينة عند ارتياد المساجد ؛ لممارسة شتى أنواع العبادة ، قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية / ٣١ .

وقد ارتبط غسل الأعضاء بحتمية التطهر للصلاة ، وجاء ذلك صريحاً مباشرا فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ (١) أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) ، وفى سبيل الحرص على طهارة المسجد ونظافته ينبغى أن يشمل ذلك الذاهبين إليه، والعابدين الله فيه،وقد رُوى عن رسول الله– ﷺ – قوله : " من أكل ثوماً أو بصلاً فلعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا " (٣) .

وروى عن رسول الله– ﷺ – حديث يعرض لنظافة الضمِّ وطهارته مما يمكن أن يلحق به من الروائح المنفرة لبيت الله تعالى ، فقال عليه الصلاة والسلام : " لولا أن أشقَّ على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة كما تتوضئون" (٤) .

وينبغى الحرص على التطهر وتنظيف جميع أجزاء الجسم ، ومن ذلك شعر الرأس واللحية ، وقد روى مالك رضى الله عنه أن رسول الله – ﷺ – كان فى المسجد ، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية فأشار إليه رسول الله – ﷺ – بيده أن اخرج ، كأنه يعنى إصلاح شعر رأسه ولحيته ففعل الرجل ثم رجع فقال رسول الله – ﷺ – : " أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدُكُمْ ثائر الرأس

---

(١) أى قضاء الحاجة .

(٢) سورة المائدة : الآية / ٦ .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه أحمد بن حنبل .

كأنه شيطان " [١] ، فالتطهر الحسى ضرورى لصحة العباد ووقاية الجسم ، والتزين المرتبط بدخول المساجد ولقاء الناس .

٢- ملامح الطهارة المعنوية :

إن الطهارة المعنوية ذات أحوالٍ وهيئات متعددة ، فتشمل تطهير النفس من آثار الذنوب والمعاصى ، وذلك بالتوبة الصادقة حَسْب الاشتراطات التى أقرها العلماء ، وتطهير القلب من وساوس النفس وآثار الشك والحسد والبغض وما شابهها من كل ما يسيئ إلى باطن الإنسان ، كما أن التطهر الحسِّى يمكن التعامل معه ، وذلك بإزالة ما يدنس الجسد والملبس والمكان من وسائل التطهير كالماء وغيره ، أما التطهر المعنوى فهو أمر ليس من السهل مباشرته ، وصولاً إلى تنظيف باطن الإنسان من كل ما يسيئ إليه ، وتصل آثاره إلى بقية خلق الله تعالى فقال جلَّت قدرته فى حق مريم : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ذلك أن الاصطفاء غير منفصل عن التطهر ؛ حتى تؤهلَ مريم عليها السلام لأن تكون مفضلة ومميزة على نساء العالمين ، كما عرض القرآن الكريم بشأن التطهر بحق عيسى ابن مريم عليه السلام فقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [٣] .

ويشمل التطهر أموراً أخرى ذات قداسةٍ ومنزلة متميزة عند الله تعالى ، والقَصْدُ من ذلك هو كلام الله المنزه عن الضلال والشرك وتطهيره ، مع المكانة والمنزلة التى نص القرآن الكريم عليها ، وذلك واضح الدلالة فى قول الله تعالى:

---

(١) رواه مالك فى الموطأ والبيهقى فى الآداب .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ٤٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآية / ٥٥ .

﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ (١) .

فالتطهر معنى أخلاقى كريم يؤكد صلة عباد الرحمن بربهم سبحانه وتعالى من خلال كل متطلبات التطهر المعنوى ، كما يمتد هذا التطهر إلى أموال الزكاة والصدقات التى تنقّى بها نفوس المؤمنين من كل ما يلحق بها من شح وبخل وأنانية لا تصلح لأن تكون بعض مكونات المسلم الحقيقى ، وقد قال تعالى فى هذا الشأن : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (٢) .

ويتواصل التطهر المعنوى الذى يلامس القلب ويستقر فى أعماق المؤمن راسخاً ثابتاً ، حيث يأتى تعبيراً من صفوة المؤمنين ، الذين ارتبط وجودهم الإسلامى بأول مسجد أقيم على أرض قباء بمدينة رسول الله ، إذ كانت رغبة أهله صادقة وقوية فى أن يتحصنوا بتطهير أبدانهم مما يؤهلهم بأن يكونوا من صفوة المؤمنين ، الذين يحميهم الله تعالى ، قال سبحانه فى شأن هذا المسجد ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (٣) .

إن التطهر الإنسانى خلق فاضلٌ ووصف رائع يتحلّى به المسلم فى صيانة بدنه من كل دنس حسّى يصيبُ جسَمه أو ملبسَه ، كما يمتدُ وصفُ التطهر إلى نقاء بدن الإنسان ومتعلقاته من الناحية المعنوية ، التى تشكل أهمية بالغة بالنظافة القلبية ، التى بمقتضاها تتحدد توجهات الإنسان نحو ربه وسائر خلقه ... والله أعلم .

---

(١) سورة البينة : الآية / ٢ .

(٢) سورة التوبة : الآية / ١٠٣ .

(٣) سورة التوبة : الآية / ١٠٨ .

٨- الابتلاء بالشر والخير

يتعرض المؤمن فى حياته لكثير من الابتلاءات ، التى تأتى فى الشر فيتصدى لها ويصبر عليها ، وذلك هو الشائع المعروف لمعنى الابتلاء عند كثير من الناس ، ولكنه لا يقتصر على ذلك فيأتى فى الخير أيضاً ، وهذا ما ينبغى شكر الله عليه فهو أشد وطأة وأصعب مراساً ، والقلة القليلة هى التى تصمد للابتلاء به ، وقد قال تعالى فى هذا الشأن ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[1] .

وفى بيان المعنى لهذه الآية قال القرطبى رحمه الله : " (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) أى نختبركم بالشدة والرخاء ، والحلال والحرام ، فننظر كيف شكركم وصبركم . (وإلينا ترجعون) : أى للجزاء بالأعمال" [2] .

١- معنى الابتلاء

معنى الابتلاء : الاختبار والتجريب ، وابتلاه الله : أى امتحنه فالله سبحانه وتعالى يبتلى العبد بلاء حسنا ، لقياس مدى قدرته على التصرف فيما يمتحن به من خيرات ، إذ أن بعض الناس عندما يُرزق بالمال الوفير والمركز المرموق ، والذرية الكثيرة ، فإذا وفق إلى حسن التعامل مع هذه المعطيات وأجاد التصرف معها ، ولم يصب بغرور أمام الآخرين ، أو ينصرف عن أخلاق التواضع والشكر وحسن العبادة فإن عاقبته ستكون خيراً ، ويصير نموذجاً تقياً

---

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٣٥ .

(٢) تفسير القرطبى جـ ١١ ص٢٨٧ .

ورعاً موفقاً فيما منح ، مستثمرا ما لديه فى طاعة الله وعدم عصيانه ، والتوجه إليه بالشكر والطاعة ، ولذا كان من دعاء رسول الله : " اللهم لا تبتلينا إلا بالتى هى أحسن ، أى لا تمتحنا ولا تختبرنا إلا بما هو خير " .

وأن الابتلاء بالشر هو واضح لدى الناس فى مفهومه وأحواله ، فإذا لحق بالمسلم ضر وأذى ولجأ إلى ربه فاستعان به ، واحتمى برعايته ، وصبر على ما ابتلى به ولم يجزع من رحمة الله فهذا هو التوفيق فى تعامل المسلم مع ما يلحق به من سوء وضر .

وقد قال رسول الله- ﷺ - : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " [١] .

والملاحظ فى حديث رسول الله- ﷺ - إن الخير يتحقق للمؤمن فى حالة ابتلائه بالخير والشر ، وإن نزول الخير به مثل نزول الشر فكلاهما خاضع لقضاء الله وداخل فى ابتلائه وتقديره ، وقيل الأمران السراء والضراء — كما قال الحديث — إصابة الأمرين ، وكلاهما ينبغى المواجهة ، ففى السراء بالشكر وفى الضراء بالصبر ، وقيل الأمران أيضاً خير للمؤمن كما ذكر هذا الحديث .

٢- متطلبات المواجهة للابتلاء بالشر والخير .

يتطلب ابتلاء المؤمن بالإصابة أن يتيقظ يقينه وتقوى علاقته بربه ، ويجأر إليه بالتوبة والاستغفار، الذى يزداد بمقدار زيادة صب البلاء عليه ؛

---

(١) رواه مسلم بسنده ، فى كتاب الزهد والرقائق

لأن متطلبات الصبر مع المصيبة تحتاج لمزيد من الصبر واليقظة والقدرة على الإحساس بالمواجهة .

أما فيما يتصل بالابتلاء بالخير فإنه أيضاً أمر ليس سهلاً هيِّنا ، وإن كانت المقدرة على التعامل مع معطيات الخير تحتاج إلى عزيمة قوية ، وانتصار على النفس ، خاصة إذا كانت متقلبة وغير مستقرة ، وتتجه إلى ممارسة الأمر والتوجه إلى السوء والشر .

وقد ذكر رسولنا- ﷺ - حديثاً قدسياً عن ربه قال فيه : " يقول الله لملائكته : " انطلقوا إلى عبدى ، فصبُّوا عليه البلاء صباً ، فإنى أحبُّ أن أسمع صوته " [(١)] ويطلق الابتلاء على التكاليف الشرعية التى يؤمر بها العبد ، وبقدر تعامله معها يكون تميزه عن غيره خاصة أنها : أى التكاليف تمثل مسارات العلاقة بين المؤمن وربه ، وهى نوع من التربية الإلهية ، التى يتاح من خلالها سعى المؤمن إلى درجة من الكمال تعلو شيئاً فشيئاً ، إلى أن تصل إلى ما يريده الله تعالى .

ومن معالجات القرآن الكريم للابتلاء فى الخير ما كان فى شأن أصحاب الجنة ، الذين اختُبروا بالخيرات فأخفقوا فى هذا الاختبار قال تعالى :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾[(٢)] ، وتحدث

---

(١) رواه الطبرانى عن أبى أمامة .

(٢) سورة القلم : الآيات ١٧، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

القرآن عن الابتلاء بالضراء كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

لقد عرض القرآن الكريم لصور عديدة من ابتلاءات الله تعالى ، وخاصة فى جانبى الشر والخير اللذين يتجلى فيهما إخفاق المؤمن وفشله ، أو نجاحه وتوفيقه فى ابتلاءات الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ١٥٥ .

٩- الاتعاظ من زيارة القبور

تهدف زيارة القبور من عباد الرحمن خاصة إلى تذكر الموت والاعتبار بالراحلين من الرجال والنساء وقطع أطماع الدنيا ، والتحرر من مغرياتها ، والاستعداد للقاء الله تعالى فى الدار الآخرة .

١- حكم زيارة الرجال للقبور :

لقد كان العهد فى بداية البعثة المحمدية هو قطع الصلة بما كان عليه أهل الجاهلية باستثناء بعض الأخلاق الحميدة ، التى وضع الإسلام لها الضوابط التى تحكم موقف المسلمين منها ، ومما وضعه الرسول- ﷺ - فى ميزان القبول والرفض ما كان عليه أهل الجاهلية من زيارة القبور والتفاخر بتاريخ الراحلين ، الذين غابوا ودفنوا تحت الثرى ، وهذا ما جاء بيانه فى قول الله تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾[١] .

وقد انتقلت بعض هذه السلوكيات إلى الحياة العربية فى الإسلام ، إذ صار الناس مولعين بالتفاخر والتكاثر وبناء الأضرحة ، وكتابة الأسماء عليها مما جعل الأمر يخضع فى بداية الإسلام للصواب والخطأ والجائز والممنوع ، فكان التحريم من زيارة القبور لما يتلبث بها من منكرات نهى الإسلام عنها نهياً عاماً للرجال والنساء إلا أن صياغة النفس البشرية فى الإسلام قد صارت ذات تشكيل توجيهى وتذكيرى بما يجب أن يكون عليه حال المسلم فى حياته الجديدة ، من حيث أهمية تذكره للموت ، والاستعداد للآخرة ، ولهذا صارت

---

(١) سورة التكاثر : الآيتان / ١، ٢ .

الزيارة بهذه الاعتبارات مستحبة للرجال دون النساء فقد رَوى عبد الله بن بريده عن أبيه عن الرسول- ﷺ - قال : " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة " (١) .

فهذه الدعوة التي أباح الرسول- ﷺ - بها زيارة القبور لسائر المسلمين من الرجال ، وذلك لما ورد في هذا الحديث من أنَّ الزيارة تذكر الناس بالآخرة وما يترتب على ذلك من وءد الأنانية لديهم ، وإحياء للمحبة والمودة للآخرين وقد روى أبو هريرة حديثاً آخر ذكره الرسول- ﷺ - بشأن تطبيق هذا المعيار عليه بخصوص طلبه الاستغفار لأمه وزيارة قبرها ، وجاء في هذه الرواية أن النبي- ﷺ - زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال النبي- ﷺ - : " استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنت في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروها (٢) فإنها تذكر الموت " (٣) .

ومن الملاحظ أن أمر الزيارة بالنسبة للرجال واضح في حكمه وبيانه خاصة أن إتمام مراسم دفن الموتى ينهض بها الرجال دون النساء .

٢- حكم زيارة القبور بالنسبة للنساء :

إن الأصل في حكم زيارة القبور بالنسبة للنساء محرم على الإطلاق ، وذلك لقلة صبرهم على النوائب ، وكثرة جزعهن من الموت ، وخروج الكثير منهن عن متطلبات الزيارة من حيث العظة والاعتبار ، وجاء في ذلك بعض الأحاديث عن رسول الله- ﷺ - منها قوله : " لعن الله زوارات القبور " (٤) .

---

(١) رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن .

(٢) أي القبور .

(٣) رواه أحمد ومسلم .

(٤) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه .

وقد رُوى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه حديث تحاور فيه الرسول - ﷺ - مع بعض النسوة، قال الإمام كرّم الله وجهه، خرج رسول الله - ﷺ - فإذا نسوةٌ جلوسٌ قال : " ما يجلسكن ؟ قلن : ننتظر الجنازة قال : " هل تُغَسِّلَن ؟ قلن : لا ، قال : " هل تَحْمِلن "؟ قلن : لا ، قال : " هل تُدْلين فيمن يُدْلى ؟ " قلن : لا ، قال : " فارجعن مأزورات غير مأجورات " [١] .

ولعل هذا هو الرأى المختار للإفتاء عند جمهرة العلماء ، إلا أن بعضهَم أباحَ الزيارة للنساء ، ولكن ذلك مشروط بأمن الفتنة والمفسدة ، حيث تتحقق مع الكبيرات ، وقد فسّر القرطبى رَحَمِهُ الله اللعن المذكور فى حديث رسول الله من أنه خاص بالمكثرات من الزيارة .

وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله- ﷺ - مَرّ بامرأة عند قبر تبكى على صبى لها فقال لها : " اتقى الله واصبرى " فقالت : وما تبالى بمصيبتى ، فلما ذهب قيل لها إنه رسول الله- ﷺ - فأخذها مثلُ الموت ، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين ، فقالت يا رسول الله : لم أعرفك ، فقال: " إنما الصبر عند الصدمة الأولى " .

ووجه الاستدلال كما قال الشيخ سيد سابق - رحمه الله - أن الرسول - ﷺ - رآها عند القبر فَلَمْ يُنْكر عليها ذلك ، ورغبت السيدة عائشة رضى الله عنها فى زيارة مقابر المسلمين بالبقيع ، فأذن لها الرسول ، وعلمها ما تقوله عند الزيارة وهو : " السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحمُ الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون "[٢] .

---

(١) رواه ابن ماجة .

(٢) رواه مسلم .

وقد نُقلت عن الرسول بعض الروايات الأخرى ، فيما يتصل بالسلام على الأموات ، وفى ضوء هذا الإذن للنساء بالزيارة ينبغى أن تكون مبرأة من البدع المنكرة ، والعادات الخارجة عن آداب الزيارة كالتمسح بالأضرحة وتقبيلها والنواح والصراخ عليها وشق الجيوب ، وكل ما هو على شالكة ذلك .

٣- قيمة العظمة والاعتبار من زيارة القبور :

نذكر أن الغزالى – رحمه الله – قال فى إحدى نصائحه لواحد من تلاميذه: " اجعل الهمة فى الروح ، والهزيمة فى النفس ،والموت فى البدن ؛ لأن منزلك القبر، وأهل المقابر ينتظرونك فى كل لحظة متى تصلُ إليهم ، إياك إياك أن تصل إليهم بلا زاد " [(١)].

إن الغرض الأساسى من زيارة القبور هو العظة والاعتبار ، وذلك بتذكر الموت وعدم الغفلة عن الآخرة ، ومراعاة سائر الآداب الإسلامية فى الزيارة وتجنيبها لكل سبل التفاخر والنواح وشق الجيوب ، فإلى وقت قريب كان الكثيرون يغفلون عن أهداف الزيارة ، فيقعدُون أمام المقابر ويوقدون المشاعل ويرفعون الأصوات ، ويجلسون فوق المقابر ، ويضعون عليها السُّرُج ، ويبالغون فى ذلك أيام الأعياد التى شُرعت للبهجة والسرور فيحولونها إلى مآتم وأحزان غافلين عما شرعه الله وأقره رسول الله عليه الصلاة والسلام .

---

(١) أبو حامد الغزالى ص ٢٥٠ إعداد د . النشرتى .

١٠- اجتناب التشاؤم

انتقل الإسلام بالفكر الإنساني إلى مرحلة حضارية جديدة، تُنبَذُ فيها الأوهام والضلالات، ويخضع الناس حيالها لقضاء الله وقدره، وإن أي استجابة بغيضة لتشاؤم من طير أو حيوان ، أو حتى إنسان لا تقدم شيئاً في ظلال الإرادة الإلهية للبشر، كما أن شأن الصادقين من عباد الله المتقين أنهم يَرْضَون بما كَتَب الله لهم أو عليهم دون خضوع بالفعل أو بالقول لاعتقادات باطلة تناقلتها الأجيال، إلى أن بقيت على محك التمحيص والرفض في ظلال الإسلام.

١- حديث الرسول - ﷺ - عن التشاؤم:

إنَّ التشاؤم سلوك أو اعتقاد في بعض الكائنات ، التي ارتبط وجودها بحالة من اليأس وعدم الرضا في تصوير كثير من الناس، وذلك بشأن بعض الأمم البدائية التي تربط كثيراً من موجودات الحياة وظواهرها باعتقادات الناس التي توجه إلى الشر واليأس، وعدم الرضا؛ خضوعاً للقوى الغيبية التي لا تظهر للإنسان، أو يأتي ظهورها في هيئة يفسِّرها الإنسان حسب اعتقاده ، الذي ينبني غالباً على الوهم والخيال، فالتشاؤم نوع من التطيّر ، وغالباً ما يكون رد هذا الفعل مكروهاً ، وعكسه التفاؤل إذا كان رد الفعل مقبولاً. وكان الإنسان قديماً يحاول التصدي لهذه القوى الظاهرة، أو المتسترة بإعداد تميمة فيها ورقة مكتوبة أو خرزة يعلقها على صدره ، أو يضعها في جيبه؛ حتى يقاوم ما سوف يلحق به من شرور وأضرار.

وأول ما يذكر في هذا الشأن حديث رسول الله - ﷺ - الذي قال فيه: " لا عدوى ولا طِيرَة ولا هامة ولا صفرَ..." (١). فالحديث ينفي العدوى، على أنها

---

(١) رواه البخاري ومسلم.



لا تؤثر بنفسها ، وإنما تُنقل من إنسان لآخر بإرادة الله تعالي، وكم من أناسٍ يتعرضون لأسباب ودواعٍ تحقق العدوى بنفسها، فبعضهم تنتقل إليه عدوى المرض ولا تنتقل لآخرين، وهذا محل المشاهدة والنظر والتأمل في الحياة المعاصرة.

أما الطِيَرة فقد تحدَّث عنها أحد أساتذتنا(١) فقال: "أما الطيرة فقد كان العربي يعتقد أن من أراد البدء في عمل أو الشروع في سفر فيحسن به أن يتوثق أولاً من نجاحه أو إخفاقه ، بأن يزجر الطير الذي يلاقيه فإن انصرف إلى جهة اليمين تفاءل وتسرع في عمله، وإن انصرف إلى غيرها تشاءم، ورجع عن عمله، فنفى صلي الله عليه وسلم شرعة التطير، ليُعْلِم أنه ليس لذلك العمل تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر، ومثل الطير كل ما يتشاءم منه فيحول دون المضي في أمرٍ كان يعتزم المضي فيه"(٢).

ولازال الناس في الواقع المعاصر يتشاءمون من طيور وحيوانات محددة، مثل الغراب والبومة والكلب الذي يعوى ليلاً، وما أقسى وقع ذلك على أسرة تعتقد بذلك، ويكون منها شخص مريض أو على نية سفر، أو قادم على عمل جديد ، وما شابه ذلك.

وأما الهامة فكانت من بقايا الزمن الجاهلي قبل سطوع أنوار الإسلام، وهي أساساً أعلى رأس الإنسان، ولكن نَفْى حدوثها وتأثيرها؛ لأن العرب كانت تزعم أو تعتقد أن روح القتيل ، الذي لم يُؤخذ بثأره تصير هامة فتزق

---

(١) هو الدكتور عبد العال أحمد عبد العال.

(٢) المنهل العذب الفرات، ج٥ ص ١١٦.

وتقوى وتصيح عند قبره تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أُدرك بثأره طارت، وبقى هذا التوهم أزمنة طويلة، فقال الشاعر ذو الإصبع العَدْواني(١) يلوم ويعتب على ابن عم له:

يا عمرو لا تدعْ شَتْمي ومنقصتي ∴ أضربْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسقوني(٢)

ويقال عن الهامة إنها البومة، والتي إذا سقطت أو اقتربت من منزل أحد الأشخاص اعتقد أنه هو أو بعض أهله هالك لا محالة.

وقول الرسول: "ولا صفر" المقصود نفي حدوث الشيء الضار في هذا الشهر لمجرد حدوثه فيه، ولذا كانوا يتشاءمون منه فلا يعقدون فيه زواجاً ولا يبدؤون خلاله في عمل جديد، أو يسافرون أثناءه لتجارة أو لغيرها، فنفى الرسول - ﷺ - حدوث أي شيء ضار لمجرد حدوثه في هذا الشهر، وتولد هذا السلوك لديهم لوقوع شهر صفر بعد الأشهر الحرم.

فالتشاؤم تفسير الأحداث أو المواقف تفسيراً سيئاً يعبر عن الكراهية واليأس ، وعدم الرضا بما يلحق به، فيلجأ الشخص أحياناً لوقاية نفسه - حسب اعتقاده - وذلك بتعليق تميمة يصنعها له محترف ، أو مدعي العلم بهدف الكسب، وهي عبارة عن خرزة أو ما يشابهها يعلقها الجاهل معتقداً أنها تقيه من العين أو السحر ، وذلك ضلال مبين.

وقد نهى الرسول - ﷺ - عن ذلك فقال: "من علّق تميمة فلا أتمّ الله له، ومن علق وَدَعَة فلا أودع الله له"(٣).

---

(١) ذو الأصبع: شاعر من قبيلة عَدْوان، وعاش في الطائف قبل الإسلام.

(٢) شرح المفضليات، ج٢ ص٩١.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلي بإسناد جيد، والحاكم وصححه.

ومن المؤسف أن هذه الاعتقادات الباطلة لا زالت تعيش في فكر وخيال كثير من الجُهال فيسيئون بذلك إلى أنفسهم ودينهم وبيئتهم،التي يحيون بها.

٢- مقاومة الاعتقاد بالتشاؤم:

لقد عاش الرسول – ﷺ – حياته الأولى في الزمن الجاهلي، ثم نزل عليه الوحي القرآني، وبدأ في تبليغه للناس مدعوماً بالأحاديث النبوية، التي لا ينطق فيها – ﷺ – عن هواه، وشرع في محو الباطل والقضاء على الموروثات البالية، وكان منها التشاؤم، ولم تكن لديه القدرة البشرية على تنقية الجاهليين مما ترسب في خيالهم في مدة وجيزة، وكان التدرج في التشريع منهجاً ثابتاً وواقعاً ، وتحقق في تحريم الخمر، وفي التشاؤم، إذ رضى الرسول ابتداء بما كان لدى الجاهليين من تشاؤم في الفرس والمرأة والمسكن. [١] .

وانتقل الرسول بالدعوة إلى مرحلة جديدة كانت المواجهة فيها بالدعاء وترسيخ الإيمان في القلوب، ورفض الأوهام والجهالات الضالة فروى عنه أنه – ﷺ – قال "إذا رأيت من الطيرة ما تكره فقل: "اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك"[٢].

وكان التطير سمة غالبة ومسيطرة على خيال كثير من الجاهلين ، فكانوا يعلقون الوَدَع أو العظمة أو كعب الأرنب أو الطوق الرأسي يحيط بالعنق معتقدين، إن ذلك يقي من العين ، وجاء الإسلام وأهدر كل هذه العادات والمعتقدات وعلّم الرسول – ﷺ – الناس كيف يثقون في الله تعالى: ﴿ وَإِذَا

---

(١) الموطأ ص٦٠٢.

(٢) أورده ابن القيم في زاد المعاد ج٢، صـ٣٤.

مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[(١)] ، وروى عن الرسول – ﷺ – أنه استعان بالثقة في الله – عن طريق الرقية الشرعية ونصها: "ذهب الباس، رب الناس، اشفِ، وأنت الشافي، لا شِفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً"[(٢)].

كان التشاؤم اعتقاداً وسلوكاً جاهلياً متوارثاً، وأصبح بقاؤه في الإسلام منافياً ومتعارضاً مع الإيمان الصادق بالله تعالى، ولازال بعض الناس – إلى الزمن الحاضر – يتشاءمون من أشياء كثيرة، مثل بعض الأرقام العددية، وبعض الطيور والحيوانات والأماكن، فضلاً عن التشاؤم المقيت من بعض الرجال والنساء.

وهذان حديثان نبويان يكشفان عن المعالجة الإسلامية لهذا السلوك الشائن ، فعن يحيى بن سعيد قال: "جاءت امرأة إلى رسول الله – ﷺ – فقالت: يا رسول الله دار سكناها والعددُ كثير ، والمال وافر، فقل العدد، وذهب المال، فقال الرسول – ﷺ –: "دعوها ذميمة"[(٣)]، ولعل الرسول قد أراد أن ينهي الموقف ، وأن يغلق الباب ، الذي لو بقى مفتوحاً لانتشر هذا الاعتقاد، وتطاير شرره، ولرُبما تأتي الأيام لهذه الدار بمن يتفاءل بها، ولا يتشاءم منها.

والحديث الثاني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "جاء في ركب عشرة إلى الرسول – ﷺ – [(٤)] فبايع تسعة ، وأمسك عن رجل منهم، فقالوا

---

(١) الشعراء (٨٠).

(٢) المعالجة الإيمانية الوقائية للتشاؤم.

(٣) أخرجه أبو داود عن أنس في كتاب الطب (باب الطيرة) .

(٤) بايع: أعاهد.

ما شـأنه؟ قـال إن في عـضده تميمـة[١]، فقطـع الرجـل التميمـة فبايعـه رسـول الله- ﷺ - " وقال : " من علَّق فقد أشرك " [٢] .

وقـال تعـالي: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[٣] أي لا أحد يستطيع أن يلحق خيراً أو شراً بإنسان، ولن يصيبه إلا ما قدره وحكـم بـه الله تعالى.

فالتشاؤم والتطير والاستعانة بالوَدَع لا تقي من شـر، وأن الاعتقـاد فيهـا يتعارض مع صحيح الإيمان بالله تعالى.

---

(١) التميمة خرزة يعلقها الجاهل ، معتقداً أنها تقية ، والعضد غليظ الذراع ، وهو من المرفـق إلى الكتف

(٢) أورده الحاكم فى المستدرك .

(٣) سورة التوبة : الآية /٥١.

كُتب للمؤلف

أولاً: فى الأدب والنقد :

١- شعر الحماسة في العصر العباسي الثاني- مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٨٤م.

٢- ياقوت الحموي أديباً وناقداً- دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٨م.

٣- امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين- دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م.

٤- الغموض في شعر أبي تمام- دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م.

٥- فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور- دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م.

٦- شعراء الطائف في الجاهلية والإسلام- دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م.

٧- من روائع الأدب العربي في العصرين العباسي الأول والأندلسي- دار الطباعة المحمدية ١٩٩٠م.

٨- من روائع الأدب العربي في العصرين الأموي والعباسي الأول- دار الطباعة المحمدية ١٩٩١م.

٩- أوزان الشعر دراسة في العروض والقافية- مطبعة الضوي بالزقازيق ١٩٩٤م.

١٠- فن الرواية في المملكة العربية السعودية (بين النشأة والتطور)- من منشورات المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة ١٩٩٥ (الطبعة الثانية) .

١١- دراسات في الأدب الجاهلي- مكتب آيات بالزقازيق- ١٩٩٨م.

١٢- أطوار الأدب العربي في العصر الإسلامي- مكتب آيات بالزقازيق- ١٩٩٨م.

١٣- دراسات في الأدب الأندلسي- توزيع المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة ١٩٩٩.

١٤- تاريخ الأدب الجاهلي٢٠٠١م.

١٥- أدب البيئة بين الأصالة والمعاصرة عام ٢٠٠٤م.

١٦- دراسات في الأدب العربي الحديث عام ٢٠٠٧م.

١٧- أصوات- الأرض الحب والثورة طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠١٠م.

١٨- دراسات أدبية – فى عصر صدر الإسلام وبنى أمية- عام ٢٠١٢م.

ثانيا: فى الثقافة والعلم والتعلم :

١- مناهج البحث فى الأدب واللغة والتربية – نشر مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠٠٠م.

٢- رحيق المعرفة – نشر مكتبة الآداب عام ٢٠٠١م.

٣- ألوان من الأدب والفكر والحياة عام ٢٠٠٧م.

٤- قضايا ثقافية ، طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف عام ٢٠٠٩م.

٥-شخصيات وقضايا فى العلم والتعلم والتربية طبع دار الإسلام بالمنصورة عام ٢٠١٤م.

ثالثا:فى الدراسات الإسلامية :

١- قطوف من السيرة والدعوة عام ٢٠٠٦م.

٢- الثروة في الإسلام – طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة ٢٠٠٧ م.

٣- أنوار اليقين طبع مكتبة الآداب بالقاهرة عام ٢٠٠٩م.

٤- بصائر للناس - توزيع مكتبة الآداب بالقاهرة عام ٢٠١٢ م.

٥- أضواء الإيمان طبع ٢٠١٤.

٦- سلامة الإنسان فى الإسلام .

رابعا: فى الدراسة والتحقيق

١ - أصداء من زمن بعيد - ديوان شعر د/ شامل أباظة ، طبع مكتب آيات بالزقازيق ، عام ٢٠١٢م .

٢ - الأعمال الكاملة لأحمد عبدالمجيد الغزالى - الجزء الأول (الشعر) الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣ - الأعمال الكاملة لأحمد عبدالمجيد الغزالى - الجزء الثانى (النثر) الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤- الدكتور / صابر عبدالدايم ، خمسون عاماً من العطاء - دار الأقصى للطباعة عام ٢٠١٤م .

- تطلب الكتب المذكورة من دور الطبع والنشر الآتية

١- المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة - ٩ درب الأتراك خلف الأزهر الشريف ت ٠٢/٢٢٥١٢٠٨٤

مكتبة الآداب - ٤٢ ميدان الأوبرا القاهرة ٠٢/٢٣٩٠٠٢٦٢

بيان استرشادى لموضوعات الكتاب

م	الموضـــــوع	تاريخ التسجيل ببرنامج عباد الرحمن بإذاعة القرآن الكريم- مصر
١	حسن الإعداد للهجرة	٢٠١٠/١١/٢٦م
٢	بناء المجتمع فى المدينة بعد الهجرة	٢٠١٠/١١/٢٦م
٣	الاعتدال فى مخالطة الناس	٢٠١١/١/٢٨م
٤	الثقة فى الله تعالى	٢٠١١/١/٢٨م
٥	الأخذ بالأسباب	٢٠١١/١/٢٨م
٦	اجتناب قتل النفس البشرية	٢٠١١/١/٢٨م
٧	الرسول بين أصحابه	٢٠١١/١/٢٨م
٨	التأمل فى تصريف الرياح	٢٠١١/١/٢٨م
٩	عمل المعروف والدعوة له	٢٠١١/٣/١١م
١٠	اجتناب المنكر والنهى عنه	٢٠١١/٣/١١م
١١	قضاء حوائج الناس	٢٠١١/٣/١١م
١٢	الاستغفار	٢٠١١/٣/١١م
١٣	الحرص على وحدة الأمة الإسلامية	٢٠١١/٣/١١م
١٤	التدبر فى آيات القرآن الكريم	٢٠١١/٣/١١م
١٥	النظر إلى آثار رحمة الله تعالى	٢٠١١/٤/١٥م
١٦	الاستقامة فى الأقوال والأفعال	٢٠١١/٤/١٥م
١٧	اتقاء الفتن	٢٠١١/٤/١٥م
١٨	وجل القلوب	٢٠١١/٤/١٥م
١٩	التمتع بالطيبات	٢٠١١/٤/١٥م
٢٠	الإصلاح بين الناس	٢٠١١/٤/١٥م
٢١	اجتناب النزاع والشقاق	٢٠١١/٦/٣م
٢٢	الافتقار إلى الله تعالى	٢٠١١/٦/٣م

٤٨	إسلام الوجه لله تعالى	٢٠١١/١٠/٢٨م

م	الموضـــــوع	تاريخ التسجيل ببرنامج المجلة الإسلامية بالبرنامج العام بمصر
١	إتقان العمل	٢٠١١/٤/٢٥م
٢	الكلمة أمانة	٢٠١١/٥/١م
٣	ضبط الكيل والميزان	٢٠١١/٥/١م
٤	ضوابط الصداقة فى الإسلام	٢٠١١/٥/١م
٥	تقدير العلماء	٢٠١١/٥/١م
٦	الابتلاء بالشر والخير	٢٠١١/٥/١م
٧	الحفاظ على الأسرار	٢٠١١/٥/١م

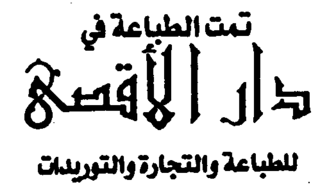
م	الموضـــــوع	تاريخ النشر فى بعض الصحف والمجلات الإسلامية
١	حب الوطن	نشر فى صوت الأزهر فى ٢٠١٣/١/١٤م العدد : ٦٩٣
٢	المحافظة على الممتلكات العامة	نشر فى صوت الأزهر فى ٢٠١٣/٢/١٥م العدد : ٦٩٩
٣	اتقاء الفتن	نشر فى صوت الأزهر فى ٢٠١٣/٤/١٢ العدد : ٧٠٧
٤	الحفاظ على أمن المجتمع	نشر فى صوت الأزهر فى ٢٠١٣/٤/٢٦ العدد : ٧٠٩
٥	مقاومة الإشاعات الكاذبة	نشر فى صوت الأزهر فى ٢٠١٣/٥/٣ العدد : ٧١٠
٦	إحسان الوجه للناس جميعاً	نشر بجريدة صوت الأزهر فى ٢٠١٤/٣/١٤م العدد : ٧٥٥

٧	التلطف فى الأقوال والأفعال	نشر بجريدة صوت الأزهر فى ٢٠١٤/٢/١٤م العدد : ٧٥١
٨	الاعتراف بالذنب	نشر بجريدة صوت الأزهر فى ٢٠١٤/٢/٢٨م العدد : ٧٥٣
١	التأمل فى تصريف الرياح	نشر بعنوان (آيات الله فى تصريف الرياح) بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ
٢	الطريق إلى وحدة الأمة الإسلامية	نشر فى مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ
٣	تجليات الوفاء فى حياة الرسول	نشر فى مجلة الأزهر عدد شعبان– ١٤٣٥هـ
١	المحافظة على الأعراض	نشر فى مجلة منبر الإسلام فى غرة جمادى الأولى ١٤٣٥هـ
٢	محبة الأخ لأخيه	نشر بعنوان (من حقوق الأخوة) بمجلة منبر الإسلام فى غرة شعبان ١٤٣٥هـ
١	حسن معاملة الضعفاء	موضوعات لم تذع ولم تنشر حتى تاريخ طبع الكتاب
٢	الشهداء بين الحقيقة والإدعاء	
٣	تفويض الأمر لله تعالى	
٤	اجتناب التشاؤم	

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٧٧٩١ / ٢٠١٤م
الترقيم الدولى : ٢-١٥٩٧-٩٠-٩٧٨٩٧٧



تمت الطباعة في


القاهرة – مصر 1 شارع توكل أمام محطة مترو جامعة القاهرة
الهاتف : 0101710963 - 33307762 (202)
البريد الإلكتروني : alaksaprint@yahoo.com